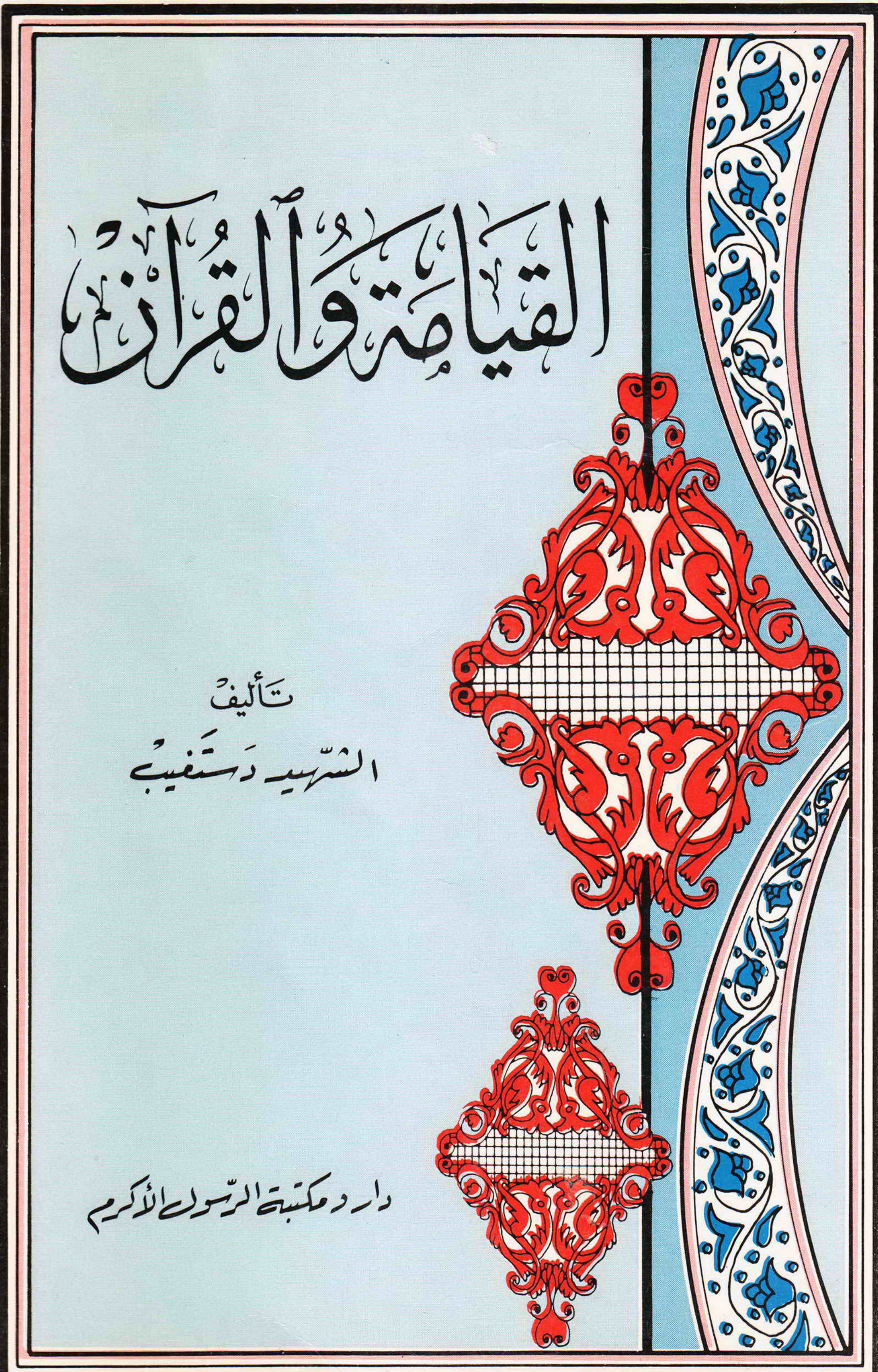

القيامة والقرآن
تأليف
الشهيد دستغيب
دار مكتبة الرسول الأكرم



القِيَامَة وَالقُرآن

الشهيد دستغيب

القيامة والقرآن

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

باسـم تعـالـى

تنطلق أقوال الأفراد والمجتمع في هذه الأيام من منـطلق يتّسم بالبعـد عن الدين ، كـما يتّسم بضعف الاعتقاد بيوم الجزاء ؛ فبعد أن خلت قلوبنـا من ذكر الـرحمن أضحت مرتعـاً للشياطين ، ورحنا نقضي أيامنا بمشاغل الدنيا التي لا تعدو كونها مجرّد لهـو ولعب ، كما جـاء في محكم التنزيل :

﴿ اعلموا أنّما الدنيا لعب ولهو ﴾ [(١)] .

لهذا فقد ظهرت لدينـا الأمراض المهلكـة ، كالحـرص والحسد والبغضـاء ، والتي هي نتيجة لتوجهنا نحو الدنيا ، وإدارة ظهورنا لـلآخرة ، وانصرافنـا للتمتع بـالمنافـع الماديـة ، فانتفى حس الرقابة عن أعمالنا ، وصـارت مبعثاً للفتن ، حتّى جـرّت إلى الجَرح والقتـل ؛ وغدت الحياة صعبة لا تطاق ، ذلك أنّنا ابتعدنا عن ذكر الله ؛ وهو عزّ وجلّ يقول :

﴿ ومَن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً ﴾ [(٢)] .

أما علاج هذه الأمراض فهو الإيمان بالله ويوم الجزاء ، فإذا مـا اعتقد كـلّ إنسان بـأنّ أعـماله وأقـواله ومعتقـداتـه ستكـون مـوضـع سؤال[(٣)] ، وأن كـلّ قـول يتلفّظ بـه سيكتب عليه[(٤)] ، وأن كلّ صغـيرة أو كبيرة تصـدر عنه ستكـون موضـع حساب ، حسنـةً كانت أو سيئة[(٥)] ، فكيف يصبح إنسان كهذا غير مبالٍ بعقائده وأعـماله وأقـواله ؟! يقينـاً ، إن أذاه لن يبلغ حجم النملة كما يقال ، بل لن يصدر عنه سوى الخير ، تمامـاً كالتـاجر الـذي يفهم نفعه وضرره جيداً ، لذا فهو يتوجّه نحو ما فيه نفعه ، ويدير ظهره لما فيه ضرره .

---

(١) الحديد / ٢٠ .

(٢) طه / ١٢٥ .

(٣) ﴿ إنّ السمع والبصر والفؤاد ، كلّ أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ الإسراء / ٣٦ .

(٤) ﴿ ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد ﴾ ق/١٨ .

(٥) ﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره ﴾ الزلزلة/٨ و ٩ .

وهنـاك أمر آخـر ، وهو أنّ آليّـة المجتمع اليـوم وصلت إلى الضيق من وضع الـدرهم المـادي ، وأدرك الناس شيئـاً فشيئاً أنـه ما لم تُـراع الحالـة المعنويّـة في العمل ، فـإنّ الحيـاة الحيوانيّة ـ بما فيها من تزاحم ومتاعب ، والأسوأ من كل ذلك ، عدم استقـرارها ودوامهـا ـ لا نتيجة لها ، كما أدركوا معنى أنّ الدنيا تكون عبثاً ما لم يمتزج العمل بالمعنويات والآخـرة ؛ قال تعالى :

﴿ أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً ، وأنّكم إلينا لا تُرجعون ﴾[1] ؟.

لذا ، فإذا تقبّل أحكام دينه وتوجيهـاته بشكـل صحيح ، وطـرح أغراضـه الشخصيّة جانباً ، قُبل ذلك منه .

هذا ولا يمكن إيجاد نور الإيمان واليقين بالمعاد بين الأفراد إلاّ بالمعنويات الكاملة ، ذلك أن الـتزاحم والانشغال بـالمادة زاد بقـدر لم يدع للتـوجيهات العـادية أثـراً يذكـر في الدفـاع والوقوف في وجـه الفجور والانحـطاط الأخلاقي . نعم ، لـو استفاد الإنسـان من نورانيّـة القرآن المجيد ـ الذي هو الثقـل الأكبر ، والـذي هو المعجـزة الباقيـة لنبيّ الإسلام (ص) ـ لتركت آياته نفسها في القلوب الصـافية المتعـطشة للهـداية أثـراً كافيـاً نجد نمـاذج عنه فيـما نقرأه ، فنرى أن مسير حياة الشخص تتبدّل حتى آخر عمره بقراءتـه لآية واحـدة من القرآن المجيد ، وتتّجه نحو الصلاح .

بناء على هـذا الأصل ، فقـد جرى التصميم عـلى البحث في سور القـرآن المجيد التي ترجع في أغلبها إلى أصول العقائد والمبدأ أو المعاد ؛ ومن جملة البيـانات والأبحـاث تفاسـير آية الله السيد دستغيب ، التي وصلت إلى الطبع ، ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

وعليكم في هذا الموضوع الخطير واجب هو أن تقرأوا هذه الكتابـات ، وأن تسهموا في تعريف أصحابكم ومعارفكم بهذه الكتب ، وفي هدايتهم إلى الإيمان بـالمعاد ، والـوقوف في وجه المفاسد .

إنّ تقبّـل الناس لهـذه الكتب التي لا نظير لهـا ، ونشرنا لثـلاثين ألف نسخـة من هـذا الكتاب ونظائره . يعتبر نموذجياً ، غير أنه يجب أن يتّسع انتشاره أكثر بمنّه وكرمه عزّ وجلّ .

نجل المؤلف

السيد محمد هاشم دستغيب

---

(١) المؤمنون / ١١٥ .

المقـدمـة

الخواص الدنيوية والأخروية لسورة الطور

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أي إنسـان يقرأ هـذه السورة ، فإنّ الله سبحانه وتعـالى يحفظه من نـار جهنم ، ويجعل نصيبه في الجنةِ ، كما نقل عن الإمام البـاقر عليه السلام ؛ إن أي إنسـان يقرأ سورة الطور فأن الله عزّ وجل يجمع له خير الدنيا والآخـرة ، وخير الـدنيا هو العافية والمعافاة في الدنيا ، وخير الآخرة إنّما هو مغفرة من الله وأجـر كـريم : ﴿ **ربنا آتنـا في الـدنيـا حسنـة وفي الآخـرة حسنـة وقِنـا عـذاب النّار** ﴾ . ومن جملة خواص هذه السورة الكريمة ، أنه إذا صادف ووقـع إنسان في السجن وداوم على قراءة هذه السورة في سجنـه فستكون سبباً في خلاصه من السجن ، كما أن المسافر إذا داوم على قراءة هذه السورة فإنّها تدفع الشدائد والآفات التي تعترضه في سفره . وهذه الخواص التي ذكرت إنّما هي الخواص الجانبية لهذه السورة ، وأما الخواص الأساسيـة لهـا فهو تـأثيرهـا في شفاء القلب من آفـة الجهل والغفلة . مثـل المزارع الذي يزرع بذور القمح من أجـل الحصول على القمـح ، لكنه بـالنتيجة يحصـل على (التبن) إضافـة إلى القمح ، فـالخـواص الـدنيـويـة لهـذه السـورة حكمهـا حكم (التبن) الـذي يـأتي مـع القمـح وأمـا الخـواص الأخروية فحكمها حكم القمح الـذي يهدف إليـه المزارع . إن من سـوء

حظ أكثر الناس في هذه الحياة هو عدم استئناسهم بقراءة القرآن .

وجاء عن الإمام الرضا (ع) أنه قال : إنني أختم القرآن كله مرة واحدة في ثلاثة أيام ، وبإمكاني ختمه بأقل من هذه المدة ، ولكني من أجل التدبّر في المعاني والدقة في القراءة ، هكذا أقرأ .

إن البعض الذي اعتاد قراءة القرآن ، يأتي يوم القيامة والقرآن بيمينه . شأنه في ذلك شأن الذي يستأنس بشرب الخمر في حياته يأتي يوم القيامة وزجاجة الشراب بيده .

كانت هذه مقدمة ، وإليكم تفسير هذه السورة الشريفة « سورة الطور » .

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الطور

﴿ بسم الله ﴾ أعظم آيات القرآن وجزء لكل سورة ، وخصوصاً في الصلاة ، يجب الإستحضار في الذهن النية بأن ﴿ بسم الله ﴾ جزء لا يتجزأ من الصلاة . ومن سوء حظ بعض الذين لا يعتبرون بسم الله جزء من السورة ، وفي الصلاة أيضاً لا يقولون بسم الله ؛ لأن الشيطان نفذ في نفوسهم فزاد في خراب أعمالهم أكثر مما هم عليه من خراب الأعمال . ولكن المؤمن الحقيقي في كل حال وفي كل وقت وفي كل أمر حتى في مقاربة زوجته وفي ذهابه إلى المنزل يقول بسم الله ، لذلك فإن الشيطان لا يجد منفذاً ينفذ منه إلى مثل هذا الإنسان .

والطور : الـ (واو) هو واو القسم . إن أحد فنون البلاغة والفصاحة هو ، إن أي متكلم إذا أراد أنْ يُسمَعْ كلامه ويُقبَل ، يأتي بالقسم ، لإثارة الإنتباه ، والقسم هنا للتأكيد . مثلاً ، إن الأب من أجل تربية ابنه تراه في بادىء الأمر ، يتكلم معه بشكل رقيق ولطيف ، بعد ذلك يؤكد عليه ، أخيراً يستخدم القسم في كلامه مع ولده ، ويقول : والله إن هذا العمل رديء وغير ذلك . وهنا فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر القسم في أكثر من سورة ، وفي هذا تأكيد ضمني بأن الأشياء الذي حصل القسم بها ذات أهمية ، وتدل على عظمة المُقسَم به ، حتى

يتعـرف الخلق ويطلعـوا من خلال عـظمة هـذه الموجـودات على عظمـة الخالق سبحانه وتعالى ، وبهذا يحصل المقصود من القسم .

الطور بمعنى الجبل

وفي هذا المجال فإن من ضمن الأشياء التي أقْسَم بها الله سبحانـه وتعـالى هنا الـطور . وأيُّ طور هـذا ؟ إن من بين الوجـوه العـديـدة التي ذكرت لمعنى الطور ، هو الجبل (كما ورد هذا المعنى في الشعر أيضاً) إن العلة التي جعلتـه سبحانـه يقسم بـالجبـل لمـا يتجلىٰ في الجبـل من معاني العظمة ، بحيث إذا تأمل الإنسان بهذا المعنى يدرك ما للجبل من عظمة . مثلاً ، كيف إن الأعشاب والنبـاتات وأشجـار الفواكـه تخرج من بين هـذه الصخـور الصلدة ؟ وكم من الفـاكهـة نحصـل عليهـا من هـذه الجبال ؟ إن بذور هذه الفواكه التي بينِ أحجار هـذه الجبال مَنْ زرعهـا ؟ مَن الذي جعل هذه البذور تنبت وتنمو وتصبح أشجاراً ؟ وما هذه الأزهار التي نـراها في فصـل الربيـع ، وفي بعض الجبال التي تنمـو مـع شـذى العـطر المنبعث منها والتي يستفـاد الإنسان منهـا وتـدخـل عليـه السـرور والسعادة ، وأيضاً المعـادن العديـدة التي يتم تصنيعها من هـذه الجبال . كـذلك أيضـاً ما يشيـر إلى عظمـة هذه الجبـال ، المياه التي تجْـري من وسطها ، وهناك جبال ينبع منها عيون عديدة .

الجبال أوتاد تحفظ استقرار الأرض

من كلمات مولى المتقين الإمام علي (ع) حيث يقول : إن الجبـال هي بمثابة المسامير التي تحفظ استقرار الأرض ، بحيث إن هذه الجبـال لو لم تكن في الوجـود لفقدت الكـرة الأرضية تـوازنها « وَوتّـد بالصخـور مَيَدان أرضه » .

إن الأرض في حركتها الانتقاليه تقطع في كل ثانية أربـع فراسـخ ،

فإذا قدّرنا عدم وجود الجبال مع هذه السرعة الكبيرة للأرض فأن كل الأشياء الموجودة على الكرة الأرضية سوف يصطدم بعضها ببعض ، ويتطاير تراب الأرض في كل اتجاه ، وعندها تتلاشى الكرة الأرضية عن الوجود .

إن حركة الكرة الأرضية نفسه شيء عجيب جداً ، فهي بهذه الحركات المختلفة لولا وجود الجبال ، لما كان لها أي توازن في حركتها وهي تدور حول نفسها وتتحرك ، كذلك لتقطع في كل دقيقة أربع فراسخ . هذا هو أحد معاني كلمة (الطور) ، أما المعنى الآخر لـ (الطور) فالمقصود منه جبل محدد ، وهو الجبل الذي ذهب إليه نبي الله موسى (ع) من أجل العبادة ويقع هذا الجبل بين الشام ومدين ، وبعض المفسرين قال : إن (الطور) تعني كل جبل كبير ، والبعض الآخر قال : إن كلمة (الطور) مشتقة من طار ، أي يُقسم بكل شيء هو طائر ويطير والطيران هنا بالمعنى العرفاني أي من عالم الغيب إلى عالم الشهادة .

الإمام (ع) هو الطور الحقيقي

أما تأويل هذه الكلمة فالمراد بالطور هو إمام كل زمان ، في زماننا مثلاً نستطيع أن نأوّل (الطور) بالإمام الحجة بن الحسن العسكري (ع) . يعني : مثلما إذا عُدم وجود الجبال على سطح الأرض ، فإن الأرض تفقد توازنها ، كذلك أيضاً إذا مرت لحظة واحدة على الكرة الأرضية يغيب فيها الإمام عن الوجود ، فإن العالم كله سوف يهتز ويفقد توازنه المعنوي . وفي دعاء الندبة هناك خطاب موجه إلى الإمام ولي العصر (عج) « يابن يس والذّاريات يابَنِ الطّور والعاديات » أي يابن علي بن أبي طالب (ع) أنت بمنزلة الجبل للأرض . هذا الموجود العظيم الذي كان مورد قسم الخالق سبحانه وتعالى .

أمّا الموجود العظيم الآخـر فهو : ﴿ **وكتـاب مسطور** ﴾ والمسـطور تعني كلمات كتبت بسطور مرتبة من الأول إلى الآخـر ، يعني أقسم بهذا الكتاب المرتب السطور . إن هذا الكتاب المسطور مصاديقه كثيرة ؛ ومن هذه المصاديق كتاب التوراة الأصلي الـذي نزل على نبي الله مـوسىٰ (ع) وكذلك القرآن المجيد ، ومصـداق آخر هـو اللوح المحفوظ ، وفي هـذا اللوح ثُبتت جميع الأمور ، من أول خلق الدنيا ، حتى يوم القيامـة . وما دام قد ورد اسم اللوح المحفوظ ، فلا بأس أن أقول : إنه في هذا اللوح قد كُتب وبقلم القدرة الإلهية : بأن هذا النظام غيـر قابـل للتغيير ، وأرى لزاماً عليّ بيانه بـأن من يشهد (أن لا إلـه إلّا الله محمد رسـول الله) فإن الجنة مأواه ، وهو من الفائزين .

القـوة الحافـظة هي أيضاً كتـاب مسطور : من المصـاديق الأخـرى للكتـاب المسطور هـو نفس الإنسان ، الـذي هو كتـاب مسـطور إلّهي . فكل ما يسمعه ، ويتعلمه ، وينجـزه ، مثبّت ومحفوظ في لـوح النفس ، وحتى أن أموراً كثيرة حصلت في الماضي يستطيع الإنسان أن يستحضرها في ذهنه وذاكرته ، ولا أعرف كم هو كبير لـوح النفس هذا ، حتى يتسـع هذا القدر من المعلومات .

صحيفة الأعمال من أهم الكتب

من المصـاديق الأخـرى للكتــاب المسـطور هــو صحيفـة عمــل الإنسـان ، يعني : كل مـا يصـدر من تمـام أعضـاء بـدن الإنسـان ، من فعاليات ؛ النظر ، الاستماع ، وحتى ما يستحضره الفكر من أفكار ، فهو مثبت في كتاب العمل هـذا ، إن هذه الصحيفـة ـ صحيفة الأعمـال ـ لها من الأهميـة بحيث تعتبر من بعـد القـرآن الكـريم ، من أفضـل مصـاديق الكتـاب المسطور ، أي لـوح هذا ؟!!! وأي قلم هـذا ؟ وأيُّ قدرة لهـذا القلم ؟ والأعجب من كـل هـذا ، بــأن صــاحب اللوح ، والكتــاب ،

وبمجرد قيامه من قبره ، والقاء نظرة عليه يتذكر كل أعماله هناك عالم آخر ، دعنا نخرج من قشور عالم الطبيعة .

لا توجد حركة مهما كانت صغيرة إلّا وتجدها مسطورة في هذا اللوح والكتاب . ﴿ **وكُلّ صَغيرٍ وكبيرٍ مُستطر** ﴾أي من الأول إلى الآخر كله مثبت ويعطىٰ بيد الشخص ويقال له في ذلك الوقت ﴿ **إقْرأ كِتابك** ﴾ . لذا فأن الإمام علي (ع) قال : أيها الإنسان أعمل الخيرات في حياتك ، حتى تستطيع غداً أن تقرأ كتابك بنفسك .

ولكن المؤمن عندما يُعطىٰ كتابه بيده ، ويراه ، يبتهج به وتأخذه نشوة السعاد والفرح ، مثله مثل تلميذ المدرسة الذي ينتظر نتيجة الإمتحان طويلاً وهو بين الخوف والرجاء ، وحالما يأخذ النتيجة ، وقد نجح في الإمتحان ، تجده أينما يذهب ، وأيُّ شخص يلتقي به يبادره بالقول ، خذ إقرأ نتيجة الإمتحان ، فقد فزت فيه . المؤمن كذلك تجده دائماً في حالة خوف وتفكير ، هل أنا من أصحاب اليمين أم لا ؟ هل إن صحيفة أعمالي تعطىٰ بيميني أم بشمالي ؟ هل في ساعة الموت يبشر بأول بشارة ، وفي يوم القيامة يعطىٰ كتابه بيمينه ؟ ولكن الويل للذي يقال له ، وهو في ساعة الإختبار والإمتحان ، أنت مرفوض مثل هذا الشخص عندما يشرف على الموت فأن علامات العذاب تتجسد له وكتابه يعطىٰ بشماله .

في رقّ منشورٍ ، الرق ، هو عبارة عن أي شيء يمكن أن يكتب عليه ، وكناية عن مطلق الصحيفة ، يعني : كل شيء صالح للكتابة عليه ، من جلد ، أو ورق ، أو حتى صدر الإنسان الذي يحفظ الحوادث وجميع الأمور أحياناً يكون من ورق ، كالقرآن المجيد ، وحيناً يكون في الصدور ، كصدر خاتم الأنبياء (ص) وكذلك صدر أهل الإيمان يعتبر رق لطيف ، حيث قلب المؤمن مفتوح ، وقلب الكافر مقفل ومحجوب ، قلب المؤمن منشور ، أي : منشرح ومفتوح كما أشرنا سابقاً إن كتاب

أعمال الجميع ، وخاصة المؤمن، تبقىٰ مفتوحة إلى آخر العمر ، وعندما يقترب أجل الإنسان ، يسدل الستار على كتاب عمله نهائياً ، وينتهي كل شيء ، فأيُّ إنسان لم يزد من حسناته ، ولم يبتعد عن معاصيه هو في الخسران مبين ، إلاّ إذا شملته رحمة الله تعالى . وهذا من المعاني المحتملة والممكنة للرق المنشور ، وهو كتاب عمل الإنسان ، ومن جلالة وعظمة القرآن المجيد أن يكون لألفاظه أكثر من معنى وتفسير .

وَالبَيْتِ المَعْمُور : البيت من الكلمات التي ترد كثيراً ومصاديق ومعاني هذه الكلمة كثيرة أيضاً . فالمعنى اللفظي البحت لهذه الكلمة ، البيت تعني المنزل ، والمعمور مأخوذة من عمران أي الإزدهار ، وأحد مصاديق ومعاني (البيت المعمور) هو بيت الله الحرام (الكعبة) . اللّهم أقسم لجميع المشتاقين زيارة بيتك المحرم .

إن بيت الله شمله العمران وأزدهر كثيراً ، فمنذ ظهور الإسلام وراية (لا إلّه إلاّ الله) أخذت ترفرف فوق هذا البيت بعد أن كسرت الأصنام التي كانت منصوبة فوقه ، ومنذ ذلك الوقت لم يخلو هذا البيت من المؤمنين بل كان عامراً بهم والمعمور جاء معناها من هذه الجهة أي : أنه عامر بالمؤمنين ، وبنفس المعنى المسجد المعمور الذي يكون عامراً بالمصلين في وقت الصلاة ، ومن جملة الأشياء المروية عن يوم القيامة إن المسجد الذي كان مهجوراً في الحياة الدنيا خالياً من المصلين يشكو إلى الله انقطاع عباد الله عن زيارته والصلاة فيه ، حيث أن المسجد كلما زادت العبادات التي تمارس فيه كلما كان معموراً أكثر . وخلاصة الكلام ﴿ **وَالبَيْت المَعْمُور** ﴾ يعني : قسم بالبيت المحرم الذي عمر وازدهر بالمؤمنين (وخصوصاً في وقت وموسم الحج) .

البيت المعمور هو (مسجد الملائكة)

من المصاديق الأخرى للبيت المعمور (البيت المزدهر)هو:

مسجد في السماء جدرانه من الزبرجد الأخضر وسقفه من الياقوت . روي عن الإمام السجاد (ع) إن الله سبحانه وتعالى ، عندما أراد خلق آدم أبو البشر اعترضت الملائكة وقالت إن الإنسان أصل الشر والفساد ونحن نقدسك ونسبح بحمدك ، قال الله : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ، أي : عندما تنظرون إلى الشوك ، فانظروا أيضاً إلى الأزهار والرياحين ، فالشاب الذي ليس عنده توجه لله سبحانه وتعالى مثلاً ، ينصرف كل همه إلى الفساد ، أمّا المسلم الملتزم الذي أصله وجوهره ثمين فهو قليل جداً ـ ودائماً الصخور أكثر من الذهب ـ وطبعاً المؤمن في كل زمان أقل من الفاسق ، وعلى أثر اعتراض الملائكة على خلق آدم ، حرمها الله سبحانه وتعالى من نوره القدسي ، سبعة آلاف سنة ، وعندما أراد الملائكة الإستغفار والتوبة خلق الله تعالى في السماء السابعة مسجداً ، وأمر الملائكة بالإستغفار ، والطواف ، حول المسجد سبعة آلاف سنة ، وحسب نقل الرواية فإن كل حجر في هذا المسجد إذا تزحزح من مكانه يسقط بشكل مستقيم على سطح بيت الله الحرام ، أي بالضبط بصورة محاذية للكعبة .

ولكن الإنسان إذا طاف حول الكعبة المشرفة ، فله من الأجر ما يعادل سبعة آلاف مرتبة من طواف الملائكة .

من الأمور الأخرى الدالة على عظمة البيت المعمور إن الله سبحانه وتعالى يخلق في كل يوم سبعين ألف ملك ترد جميعها البيت المعمور وتطوف حوله وتبقى مشغولة بذكر الله إلى قيام يوم القيامة .

من الخصوصيات الأخرى للبيت المعمور بنقل عن السيد ابن طاووس إنه : في البيت المعمور يوجد ملائكة ، قسم منهم في الطرف الأيمن من البيت ، والقسم الآخر ، في الطرف الأيسر منه ، وفي المساء عندما يقوم الملائكة الكرام الكاتبين ، بإرسال صحيفة عمل المؤمن ، إلى السماء تعرج على البيت المعمور وتقوم الملائكة التي في الطرف

الأيمن بكل رفق واحترام بأخذ الصحيفـة وأخذ نسخـة عنها وأمـا إذا كان صاحب الصحيفة شرير وصحيفته مليئة بالسيئات قامت الملائكـة التي في الطرف الأيسر بأخذ نسخة عن الصحيفة ، لذلك توجد نسخـة واحدة من صحيفة أعمال لكل إنسان محفـوظة في البيت المعمـور ، من أجل أن لا ينكر أي مخلوق ما قام به في الحياة الدنيـا ، وذلك عنـدما تقـوم الساعـة ويحشر الناس للحساب .

شهادة الأعضاء والأرض

إضافة إلى مـا ذكرنـا فإن ، أعضـاء الإنسان وجـوارحه تشهـد على الإنسـان ، وأيضاً زيـادةً على ذلك فـإن الأرض تشهد على الأعمـال التي قمت بها في حياتك الدنيا وعلى هذا الأساس يُستحب أن يصلي الإنسان ويدعو ربه في أماكن مختلفة. وروي أيضاً: بأن الله سبحانه وتعالى وعندما يختبر المؤمن ، ويرىٰ بأن كفة سيئاته قد رجحت ، يأمر الملائكة بسحب هذا الإنسان إلى جهنم ، وعندما يتـوسط عضو من أعضـاءه ويشهد أمـام الله بأن : صاحبي هذا قد تضرع ، وتفكّر بك وبكىٰ في يوم من الأيـام ، وبهذا يلقى الخلاص والنجاة من أمر مُحَتّمْ .

الإبن يخجل من سرد كل أفعاله لوالده

كان لرجلٍ من المؤمنين إبناً ، وفي أحد الأيام خـاطب ابنه بـالقول عندي لديك حاجـة ، إذا ما ذكـرتها لـك هل تنجـزها لي ؟ أجـاب الإبن بالقول : نعم يا أبي . قال : في كـل مساء وعنـدما تعـود إلى البيت أريد منك ، أن تشرح لي كل ما عملته في نهارك ، وعندما أقبل المساء وجـاء الإبن ، وعمل بوعده وأخذ يشرح لوالده ما قـام به في النهـار من عمل ، ولكنه ذكر بعض ما عمله ، وغطى على القسم الآخر ، وعندها قال الأب إنّما أنا عبد من عبيد الله الضعفاء ولم تجرؤ أن تـذكر لي مـا قمت به من عمل فكيف بك غداً أمام الله يوم القيامة ؟ وكيف تستطيع في وسط جميع

الخلائق أن تقرأ كتاب أعمالـك ﴿ **إقرأ كتـابك كفىٰ بنفسـك اليوم عليـك حسيباً** ﴾ .

﴿ **والسَّقفِ المَـرفُوعِ** ﴾ . يعني : قسم بـالسقف العالي المـرفوع ويعني به السماء .

﴿ **والبَحر المسجُورِ** ﴾ . ويعني : قسم بـالبحر المملوء ، وبمعنىٰ آخر قسم بالبحر المشتعل ، مثلاً : التنور عنـدما تـوقد فيـه النار ، ويبـدأ اللهب يتصاعد منه ، عندها يقال التنور مسـجور . أمّا مصداقـه وما يـراد بـالبحر المسجـور ، هو قيـام يوم الحساب ، وحسب المعنىٰ الأول أي مملوء ؟ عنـد حلول يوم الحسـاب ووقع الـزلزلـة تندك الجبـال جميعـاً ، وتسقط في البحار لذلك تمتلىء منها ، ويأتي المسجور بهذا المعنىٰ .

في تفسيـر آخـر ، عن الإمـام علي بن أبي طـالـب (ع) ، البحـر المسجور : هو بحر لا نهاية له في السماء السابعـة عمقه بـطول المسافـة بين السماء والأرض . وفي يوم القيامة تمطر السماء أربعين يومـاً وليلة ، بحيث إن الأبـدان التي تحولت إلى رميم ، وانسحقت ، وصـارت تـرابـاً تحيا الأجساد الميتة وتدب فيها الحياة من جديد .

البحار تستعر ناراً

من المعـاني الأخـرى لإستعـار البحـار ، المستفـاد من الـروايـات الـواردة أن من جملة الأشياء المسلّم بهـا ، إن البحـار تشتعـل نـاراً يـوم القيـامة ، وأثبت البحث العلمي وجـود عنصـر النـار تحت البحـار ، وفي ذلك الوقت ـ أي يوم القيامة ـ يتحول ماء البحر إلى نار ، وفي هذا اليـوم العظيم تتوحد جميع البحار في بحر واحد وتستعر فيه النار .

والخلاصة : قسم بالبحار المستعرة من القهر والغضب الإلٓهي .

يقـول الشيخ الـطنطاوي البـاحث ، والمفسر ، الـمصـري ، حول

الإكتشافات الجديدة : إن هذه الآية هي إحدىٰ معاجز القرآن المجيد ، وإلى زماننا هذا لا يوجد أي فرد يملك المعلومات الكافية حول تفسير هذه الآية المباركة .

وحسب اكتشافات العلم الجديد ، لباطن الأرض ، يذكر الباحثين إنه في عمق ١٢ ميل وفي باطن الأرض ، تصل درجة الحرارة إلى مئات الدرجات الحرارية ، وإن باطن الأرض هذا من السخونة والحرارة بحيث لو وضع الحديد فيه لتحول إلى ماء ، وإن هذا الوسط الحراري الكبير لو وجد له منفذاً إلى سطح الأرض لأندفعت النار مئات الأمتار في الهواء ، والبراكين إنّما تنشأ من هذه الظاهرة بالذات . فسبحان الذي جعل سماكة ١٢ ميل من الأرض بمثابة القشرة التي تغطي النار ، ونسبة هذه القشرة إلى النار التي في باطن الأرض ، كنسبة قشر البطيخ إلى داخله ، وهذا مما يدل على العمق الهائل للكرة الأرضية ، ولو انعدمت هذه القشرة الأرضية ، لتحوّل كل ما على الأرض إلى رماد ، وفي بعض نقاط الأرض وعلى أثر وقوع الزلازل القوية تنشق هذه القشرة إلى ما يشبه الأخدود وتنبعث منه حمم مشتعلة ، وفي بعض نقاط الجبال ، وخاصة في القمم ، قد تندفع القشرة تلقائياً ، وتنبعث الحمم البركانية من أعلاها . وفي بعض نقاط الأرض مثل جبل دماوند وهذا الجبل في إيران ، يمثل أحد البراكين .

وهذه المسألة ـ أي مسألة البراكين ـ وحسب تطورات البحث العلمي تعتبر من الأمور المسلم بها ، وإذا تقرر لنا ذلك تتوضح لدينا مسألة تُوحّد جميع البحار يوم القيامة في بحر واحد واشتعال النار فيه ، ونحن ندرك حقيقة وهي أنه لو شبت النار في مكان معين ، ورشّ قليل من الماء عليها لازدادت النار اشتعالاً ، وهناك حقيقة تقول أن نسبة مياه بحار الكرة الأرضية إلى الحرارة الجوفية للأرض تعتبر قليلة جداً ، وفي يوم القيامة يقذف باطن الأرض شعلة من النار وبمجرد أن تمسّ ماء البحر

يشتعل كله . وعلمياً يتكون الماء من مادتين هي الهيدورجين والأوكسجين وكلا المادتين قابلة للإشتعال ، ولكن قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، جعلت من إتحاد هاتين المادتين أن يتكون الماء الذي هو ضد النار ، والإحتراق ، ولكن في يوم القيامة يتحلل الماء إلى عناصره الأولية القابلة للإشتعال وهي الهيدروجين والأوكسجين والتي تشتعل مجرد أن تصادف أي شعلة من النار ، في الواقع أن يوم القيامة يوم عجيب جداً .

القسم والمؤمن

في تفسير المنهاج كتب بعض المحققين ، بأن مراتب القسم الستة في سورة الطّور راجعة إلى أهل الإيمان .

والطّور : يعني قلب المؤمن الراسخ كـ : رسوخ الجبل .

وكتاب مَسطُور : يعبر عن قلب المؤمن الذي نقش عليه سطر لا إلَه إلّا الله بقلم القدرة الإلَهية ، وهو لا يمحىٰ ولا يزول . وهو الله الذي يهدي الإنسان إلى الإيمان وهو وحده الذي يثبت في قلبه كلمة التوحيد .

في رقٍّ منشوُر : الرقّ يعني : الجلد ، ويعني قلب المؤمن الذي يبقىٰ دائما مفتوحاً ، حيث إن قلب المؤمن ، لم يكن وفي أي وقت من الأوقات ، محجوباً عن الألطاف الإلَهية .

والبَيْتِ المَعمُورِ : وهو قلب أهل الإيمان ، (قلب المؤمنِ عَرشُ الرّحمنِ) قلب المؤمن دائماً معمور بذكر الله تعالى ، وذكر نِعَمِه ، وألطافه ، ولم تعبث به الغفلة أبداً .

والسَّقفِ المرفُوعِ : قسم بروح المؤمن التي تكون دائماً مسلطة وواقية له مثل السقف .

والبَحرِ المسجُورِ : إشارة إلى قلوب أهل الإيمان الملتهبة بمحبة الله سبحانه وتعالى لذلك وقع القسم بهم .

حديث عيسىٰ (ع) والخائفين

رأى نبي الله عيسىٰ بن مريم (ع) ثلاثة أشخاص ، وهم في حزن وأبدانهم خاوية ووجوههم صفراء ، فقال لهم : ما هو السبب الذي أوقعكم بهذا الحال الذي أنتم عليه ؟ فقالوا : خوف الله سبحانه وتعالى . قال (ع) : حقاً على الله أن يبدّل خوفكم أمناً يوم القيامة . ثم رأى ثلاثة أشخاص آخرين أشد حزناً فسألهم عن السبب ، فقالوا الشوق إلى رحمة الله ، هو الذي فعل بنا ما تراه ، قال (ع) : حقاً على الله أن يحقق لكم أمانيكم . ثم رأى ثلاثة آخرين فسألهم عن علة ما بهم ، فقالوا محبة الله تعالى ، هي التي فعلت بنا ما تراه . فقال (ع) لهم ثلاث مرات : أنتم المقرّبون . .

نبي الله شعيب وشوق المناجاة

يُذكر إن نبي الله شعيب (ع) ، كان كثير البكاء ، حتى ذهب نور بصره من كثرة البكاء ، ولكنّ الله سبحانه شافاه وردّ له بصره ، ولكنه عاد إلى البكاء الشديد حتى فقد بصره ثانية ، فعل ذلك مراراً وكان الله يشافيه في كل مرة . فقال له ربه : يا شعيب إنّي ضامن لك ثواب جميع أعمالك ، فلماذا تفعل هذا بنفسك ؟ أجاب شعيب (ع) : إني أحب مناجاتك يا رب العالمين ، فجازاه الله ؛ بأن جعل نبي الله موسى (ع) ، يخدمه في الحياة الدنيا .

إنّ الله سبحانه وتعالى منذ ابتداء الخلق وإلى الآن لا يمكن إحصاء ألطافه على البشر جميعاً من الغذاء واللباس ، وكم من العيوب قد سترها ؟ ، وكم عفا عنهم ؟ ، وإلى غير ذلك من أنعامه وألطافه .

إنّ عَذابَ ربِّكَ لَواقِعْ : من الأمور التي لا تقبل الشك إن عذاب الله سوف يقع في يوم القيامة . يعني : كل ما ورد ذكره في القرآن الكريم من أنواع العذاب ، سوف يقع لا محالة .

ما لَهُ مِن دَافِعٍ : أي لا توجد أيُّ قدرة يمكن أن تدفع هذا العذاب ، وأي شخص لا يستطيع أن يرفع هذا العذاب حتى لو اجتمع الأولين والآخرين . إن عالم الآخرة مختلف تماماً ، حيث لا رشوة هناك ، والتملق وما شابه ذلك لا يعني شيء هناك ، إن الأوضاع الدنيوية معدومة تماماً هناك .

إذن بأي حال وبأي صورة سوف يقع عذاب الله سبحانه وتعالى ؟

يَومَ تَمُورُ السّماءُ مَوْراً : ويعني كل شيء يتحرك بشكل متموج يقال يمور موراً ، يعني ذلك اليوم الذي تصطدم فيه السماء والكواكب وسائر المخلوقات ببعضها البعض ، لأنها تفقد النظام الذي يتحكم بحركتها ، ويحفظ لها توازنها ، والأرض تتحول إلى رُكام ، بفعل الزلازل ، والجبال بعظمتها وصلابتها تندك وتزول ولا يبقىٰ إلاّ الشيء القليل منها ، وعلى أثر الزلازل فإن الجبال تتفتت وتنسحق وتتلاشىٰ عن الوجود . إن يوم القيامة هو اليوم الذي تتجلى فيه محكمة العدل الإلٓهي ، عندها يدرك كل البشر الذين كانوا يظهرون المنة في عملهم إنهم على خطأ ، ويفهم الجميع أن القدرة تختص بالله سبحانه وحده ، وحده هو العزيز ، ووحده هو القادر .

جماعة من أهل الإيمان تدرك وهي في الدنيا ، إنّ لا مَلِكَ إلاّ هو ، ولا عزيز إلاّ هو ، وبواسطة العلم والمعرفة تدرك أن هذه الأمور من البداهة ، بحيث لا تحتاج إلى مزيد من الفهم ، ولكن أكثر الخلق ، يدركون هذا المعنى في يوم القيامة ، حيث هناك حساب لا عمل ، وإن إدراكهم المتأخر هذا لا فائدة فيه وهم يقفون بحضرة رب العالمين . هذا البشر الضعيف أحياناً ، يُظهر الربوبية في داخل بيته ، تجاه زوجته وأولاده ، والمعلم ، تجاه تلميذه ، ونتدرج في المراتب حتى نصل إلى فرعون ، الذي ادعىٰ الربوبية على الشعوب ، التي كان يحكمها . بينما الكل مخلوق ، والجميع مخلوقات لخالق واحد ، والكل يعتاش من إله واحد .

أنت قطرة مَنِي منتنة الرائحة ، ونطفة آخـرها جيفـة ، ماذا تستـطيع أن تعمل ولسان حال الإنسان يقول أنا فعلت وأنا عملت وغير ذلك ، فإذا كان البشر حقّاً له القـدرة ، فليمنع الشيب من شعـر رأسه ، وأن لا يتـرك سمعـه يخف ، ولا يترك بصـره يضعف ، ولا يترك أسنـانه تسقط . وإني لأحترم وأقدّر الإنسان العاقـل الذي وقبـل أن تتجلى عظمـة الخالق لـه ، يُـدرك أنه أعجـز من أن يقوم بكـل شيء ، لولا قـدرة الله ومسـاعـدتـه ، ويدرك أيضاً إنّ كل شيء منه تعالى ، وهو لم يأت إلّا من قطرة سائل نتن الرائحة ، ثمّ يصبح إنساناً بقدرة الله تعالى ، ترى من الذي أعطى الروح لهذا الإنسان ؟ إن أكثر الخلق في ظلمات من الجهل والغفلة ، وهم أقلّ من أن يتفكروا بعالم الغيب ، ولكن العاقل يـدرك ذلك تمـاماً ، لـذا فإن يوم القيامة هو اليوم الذي تُدرك فيه حقيقـة القدرة الإلهيـة وتتجلّىٰ عظمـة الخالق بشكل معجز . وما أسعد ذلك الإنسان في هذه الدنيا الـذي يبقى دائمـاً في حالـة تفكر بعـظمة الخـالق وهو يـدرك تمـامـاً ان قـدرة الخلق والإبداع تتعلق بالله وحده وإنه تعالى يمنح القدرة للمخلوقات . ومجمـل الحـديث إن يوم القيـامة هـو يوم تجلي عـظمـة وقـدرة الخـالق سبحـانـه وتعالى .

عجائب يوم القيامة تثير الفزع

إن أحد الأمور البـاعثة على الخـوف والفزع بعـد أن يبعث الله من في القبور ويحشرون للحساب وتعود الحياة لهم مجدداً في يوم القيامة هو ذلك الموقف والمنظر الرهيب الذي لم يسبق له مثيـل ولم يرونـه من قبل في الحياة الدنيا ، إن الزلزلة في الدنيا مهما كانت شديدة فهي غيـر قابلة للمقايسة بزلزلة يوم القيامة ، إن زلـزلة يـوم القيامـة من القوة بحيث تـدك الجبال وتقلعها من مكانها ، إنه لموقف عظيم يجعل كـل إنسان مشغـول فقط بنفسه .

وفي الحـديث أن الرسـول (ص) قال : « في يـوم القيـامـة يُحْشَـر

الناسَ عُراة » . أمّ سلمة تسأله (ص) ما حال النساء في يوم القيامـة ؟ قال الـرسول (ص) : في ذلـك اليوم ، كـل شخص ونتيجةً لعـرض صحيفـة أعماله عليه ، يكون مشغولاً فيها عن الإلتفات لغيره .

تحطم السفينة نموذج مصغر ليوم القيامة

الذين يسافرون بالسفن ، يعلمـون لو قـام أحد الأشخـاص بالسفـر بواسطة سفينة شراعية في البحر ، أن الطوفان عندما يحصل بشكل يجعل الأمـواج في وسط البحر تـرتفع وتنخفض وتـرتطم ببعضهـا البعض ، وإن هذه الأمواج في بعض الأحيان تتشكل منها موجـة واحدة عـظيمة تضـرب تلك السفينة فتحطمهـا ، في هذه الحـالة نجـد أن ركاب تلك السفينـة ، الواحد منهم لا يفكر بأي شيء ، وبأي شخص سوىٰ نفسه ، فهو مشغول بنفسه عن التفكير بـأي شيء آخر ، وفي يـوم القيامـة كذلـك فإن النسـاء والرجال كل واحد منهم مشغول بنفسه فقط .

خديجة (ع) تخاف من عري يوم القيامة

هناك بعض النساء اللاتي أعطاهن رسـول الله (ص) ضمانـة بأن لا يـردن المحشر وهن عـاريات من الثيـاب . إحدىٰ تلك النسـاء ، فاطمـة الزهراء (ع) والأخـرى خديجـة الكبرى أمّ المؤمنين (ع) ، (خـديجة (ع) هي التي بعث الله لهـا السلام بـواسطة جبـرائيـل (ع))تلك المرأة كـانت تخـاف من يوم القيـامة كثيـراً ، لذا لقـد طلبت من فاطمـة (ع) أن ترجـو رسول الله (ص) في حال وفاتها ، أن يكفنهـا بقميصه المبـارك ، حتى لا ترد يوم المحشـر عاريـة ، والأخرى كـانت فاطمـة بنت أسد ، أم الإمـام علي أمير المؤمنين ، عليه السلام .

جبير يفكر بمخرج ينقذه

جبير هو أحد أصحاب رسول الله (ص) ، فبعد غزوة بدر ، انـطلق

من مكة المكرمة نحو المدينة المنورة ، بهدف مفاوضة رسول الله (ص) حول أسرى المشركين ، (حيث كان في ذلك الوقت ما زال كافراً) وكانت مهمته هي تحرير أسرى المشركين من أيدي المسلمين ، فبهذا الهدف قصد مدينة الرسول ليقابل رسول الله (ص) . أذان الصبح انطلق من مسجد النبي ، وفي تلك الساعة كان خاتم الأنبياء (ص) مشغولاً بصلاة الصبح ، وفي الركعة الأولى وبعد سورة الحمد ، قرأ الرسول (ص) نفس هذه السورة المباركة ، سورة الطور . لأن المشركين كانوا لا يملكون إجازة دخول مسجد النبي ، كان جبير خارج المسجد يستمع لهذه السورة حتى بلغ النبي (ص) في القراءة الآية ﴿ **إنّ عَذابَ ربّكَ لَواقِعٌ** ﴾ فما كان من جبير إلّا أن ارتعدت فرائصه وجلس يفكر بوسيلة وعلاج لنفسه . وبعد الصلاة ، حصل على إذن بالدخول ، ليخلص نفسه من العذاب النفسي الذي وقع فيه (وفي الحقيقة إنها ألطاف إلٰهية شملت هذا العبد الآبق) ، وأسلم أخيراً على يد خاتم الأنبياء ، عليه السلام .

أثر آية من القرآن في الفطرة الطاهرة

المرحوم الحاج الشيخ علي أكبر نهاوندي ، كتب يقول : كان هناك رجل قد بعث ابنه إلى مركز دراسي لتعلم علوم اللغة والقرآن ، وفي ظهيرة أحد الأيام وبعد أن رجع الإبن من مركز الدرس ، لمح الأب ابنه متغيراً ، وأنه غير الصبي الذي يعرفه ، فلونه أصفر ، وحرارة جسده مرتفعة . سأل الأب ابنه ، ماذا حصل لك ؟ فما كان من الإبن إلّا أن بكى وقال : لقد شرح لنا الأستاذ اليوم هذه الآية ﴿ **واتقوا يوماً يجعلُ الوِلدان شيباً** ﴾ فدخلني الفزع من ذلك اليوم العظيم الذي يصبح فيه الصبي شيخاً . استغرق الأب في تفكير عميق ، والخلاصة أن الصبي مرض مرضاً شديداً ، ومات قبل أن يبلغ سن التكليف ودفنت جنازته .

جاء الأب إلى قبر ابنه وخاطبه بالقول : كان من المفروض أن

أذهب أنا من هذه الدنيا ، لأني لا أملك فطرة طاهـرة مثلك ، وليس أنت الذي لم ترتكب ذنباً .

﴿ يـومَ تمـور السمـاءُ مَـوراً ﴾ مـور يعني الإضـطراب وتبـادل في المكان ، بعض المفسرين يقـول بالحـركة الـدورانيّة للكـون ، بحيث إن جميع الكواكب تدور حول بعضها البعض ، وفي بعض الحالات السمـاء والأرض تدور حول بعضهـا ، فإذا كـان هذا يحصـل للجمادات في يـوم القيامة ، فما حال الإنسـان ؟ الجبل بعـظمته وصـلابته ينـدك ، ويتلاشى عن الوجود ، فهذا الإنسان الـرقيق اللطيف بأي حـال سوف يكـون ؟ في الحقيقة : إن من بشارة أهوال يوم القيامة العجيبـة أن عين الإنسان تسكنُ عن الحركة أربعون سنة ، حيـرةً ودهشة ، مثلمـا يحصل لـلإنسان عنـدما تحضـره الـوفـاة حيث تستقـرّ عينـه في نقـطة ثـابتـة وتسكن وتتـوقف عن الحركة ، فهذا ما يحصل للإنسان أيضاً يوم القيامة .

﴿ وتسيرُ الجبال سيراً ﴾ الجبال ترتطم ببعضها وتتلاشى ، وتتحول إلى غبار ففي ذلك الوقت يوم القيامة ماذا يحصل ؟

﴿ فويلٌ يومئذٍ للمكذبين ﴾ الويل معناه : العذاب الشديـد أو حفرة من حفر النيران لهؤلاء المكذبين أي : المنكرين ليوم القيامة الذين كـانوا يقـولون : من الـذي ذهب من هذه الـدنيا ورجـع وجاء بخبـر القيـامـة ، والعذاب والجنة والنار !!

يقول لقمان الحكيم : إني أعجب لذلك الإنسان الذي يمـوت في كل ليلة ثم يحيا وهو ينكر يوم القيامة (ويقصد بالموت حالة نـوم الإنسان واستيقاظه) ، فالإنسان في حالة النوم تنقطع جميـع حواسـه عن الإتصال بـالعالم الخـارجي ولكن تبقى الروح متعلقـة بالجسـد ، ولكن في بعض الأحيان تنفصل الروح تماماً عن الجسد والإنسان في حالة النوم ، أي أن الإنسان تحضره الوفاة وهو نائم . فالإنسان المؤمن يجب عليـه دائماً وفي وقت النـوم أن تكـون وصيتـه وكفنـه بـالقـرب منـه ، وإذا لم يتـوفـاه الله

واستيقظ من نومه يقول : (الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه البعث والنشور) .

يوم القيامة بحكم العقل

ما هو الشيء الذي هو أوضح من يوم القيامة في نظر أهل العقل ؟ فإذا الأنبياء والرسل لم يخبروا الناس عن يوم القيامة ، فكل عاقل يفهم ، أن بعد هذه الدنيا ، هناك عالم آخر . فإذا كان الأمر محصور بهذه الدنيا فقط ، فإن إيجاد الخلق يكون أمراً عبثياً ، والخالق جلّ وعلا ، حكيم ولا يفعل العبث ، بل إن هذه الدنيا تطوى وتزول وينتقل الخلق إلى عالم آخر ، هو عالم الآخرة ، بحيث هو أفضل من هذه الدنيا بكثير ، وقد أعد هذا العالم للبقاء والخلود .

إن لباس أهل الدنيا شاءوا أم أبوا يبلىٰ ويفنىٰ أما لباس أهل الآخرة فهو جديد دائماً لا يعتريه الفناء .

المؤمن المذنب عذابه قليل

بعض المفسرين يقول : المكذّب يعني منكر يوم القيامة ، أمّا ارتكاب المعصية من قبل أهل الإيمان كيف يحصل ؟ فهؤلاء لا يعتبرون منكرين ليوم القيامة ، وإنّما يرتكبون بعض المعاصي ، والذنوب الصغيرة .

كلمة (ويل) التي وردت في الآية اختصت بالمنكِر ليوم القيامة ، أمّا المؤمن فعذابه أخف بكثير . وطبقاً للروايات فإن جهنّم تتألف من سبع طبقات ، فالطبقة الأولى التي فيها العذاب خفيف ، فهي مخصوصة بالمؤمنين المذنبين ، حيث إن نور الإيمان لا يترك صاحبه ينحرف كثيراً ويرجع إلى الوراء ، بل إنه يطهره من الوقوع في الخطايا ، والذنوب في الدنيا والآخرة .

﴿ الـذين هُمْ في خـوض يلعَبُـون ﴾ الخـوض يعني الإنـدفـاع في الشيء ، يندفع في الباطل وتكون كل ممارساته باطلة ، بحيث لا يحتـاج عندها ذكر كلمة (بـاطل) ، فـالخائض يعني : كـل إنسان مستغـرق في الباطل .

﴿ الـذّين هم في خوض يلعبُـون ﴾ أي : الشخص الـذي ينـدفـع ويغـرق في الباطـل ، والخوض في البـاطل ورد في علم الأخـلاق ثلاث أقسام منه .

الأقسام الثلاث للخوض في الباطل

المرتبة الأولى : الكفر والإرتداد ، والثـانية : الحـرام ، والثالثـة : المكروه .

فالقسم الأول الذي يمثل الكفر والإرتـداد يرجـع إلىٰ إنكار أصـول الدين . مثلاً ، الاستهزاء بيوم القيامة وإنكاره أصلاً ، أي إنكـار المعاد ، وعـدم الإعتقاد بـالـرسـول الأكـرم صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، وإمـامـة الأئمـة عليهم السلام . فهـذا القسم من الخوض في البـاطل يـرجـع إلى أصل التوحيد ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد والآية المذكورة أعلاه تشمل هذا القسم .

أمـا القسم الثـاني ، الـذي هـو الحـرام ، فيـرجـع إلى الإنشغـال والإستغـراق في الحديث حـول حكايـات أهل المعـاصي ، مثـلاً يجلس شخصين معـاً ثم تُعْرَضْ حكـايات حـول أهـل المعـاصي مثـل مجـالس المعصية الكثيرة في مجتمعنا ، أمثال مجالس الرقص والسينما والمعارض وغيرها .

أمّـا القسم الثـالث وهـو المكـروه ، ويمثـل الجلوس والإنشغـال بالحديث عن الأغنيـاء وثرواتهم وتنعمهم وبحبـوحة العيش التي هم فيهـا وهذا بشرط أن لا يكون حديثهم « غيبة » .

﴿ يوم يُدعّـون إلى نار جَهَنّم دَعّـاً ﴾ يُدعّـون : أي : يُلقون بشـدة وبعنف يقال يُدعّون أي : كل إنسـان يخوض في البـاطل ، يكـون جزاءهُ بأن يلقىٰ في جهنم بشدة ، وبعنف . وهناك رواية تَقـول : إن أهل جهنم أول مـا يُفعـل بهم بـأن تغـل أيـديهم إلى رقـابهم ، ثم تـربط أرجلهم بشعـورهم ، ويُلقون في نـار جهنم ، إن الصورة التي يُلقـون بها في نـار جهنم لا يوجد لها مثيل في الـدنيا ، وفي الـوقت الذي يُلقـون فيه يقـول لهم خزنة جهنم : هـذه النار التي كنتم بهـا تكذّبـون في الحياة الـدنيا . حقاً ما هذا الادعاء الـذي يصدر من البشـر وما هـذا الإنكار والجحـود ، وأيّة جرأة هذه التي تدفع البشر إلى إنكار المعاد ويوم القيامة ، حتى إنهم لا يعترفون بمجرد احتمال وجـود الجنة والنـار . فهل عنـدهم علم قاطـع بعـدم وجودهمـا ؟ وفي الروايـة إن أهل جهنم في الـوقت التي تُربط فيـه أيـديهم وأرجلهم ، يضجـون فيقـول لهم الملك المكلف بهم ، إنّ هـذا ليس بالعذاب ، إنّما العذاب في جهنم وعندها سوف ترون .

﴿ هٰـذهِ النّارُ التي كُنتم بِهـا تُكـذِبُـونَ ﴾ أي هـذه النـار التي كنتم تنكرون وجودها .

هل نار جهنم من السحر ؟

من الإتهـامات التي كـانت توجّـه إلى النبي (ص) من قبـل الكفـار والمشـركين ، إتهامـه بأنـه ساحـر أو شاعـر . من جملة هؤلاء (عتبة) ، وكان من المشركين ، قام يوماً بتحريض سائر المشـركين ، وانطلقـوا إلى النبي (ص) فقـال عتبة : يـا محمد أنشـد لنـا بعض أشعـارك ، فـأجـاب النبي (ص) إن القرآن ليس من السحر ، وقرأ عليه السلام بعض الآيات ، فما أن سمع عتبة القرآن حتى إرتعدت فرائصه ، وقال : كفـاك يا محمـد ما قرأت ، ثم ذهب إلى منزله وأغلق على نفسه ، فما كان من المشركين إلّا أن اجتمعوا حول داره وخـاطبوه بـالقول : لقـد كنت سبباً في إسقـاط هيبة الجميع . بعد ذلك اتهموا النبي (ص) بأنه ساحر ، وقالوا إنه يعمـل

السحر . وفي يوم القيامة يتساءل خزنة جهنم : هذا هو السحر الذي كنتم به تكذبون (وهذا هو مصداق الوحي الآلهي الذي ورد في القرآن المجيد) ، حقاً لقد كانوا أصلاف وفاقدي الحياء أولئك الذين كانوا يسيئون إلى كتاب الله ورسوله (ص) بأي شيء يمكن أن يَشْبَه القرآن عمل السحر ؟ أي عمل قام به محمد (ص) يشبه عمل السحرة ؟ والساحر يعتبر من أرذل خلق الله وأكثرهم سقوطاً وطمعاً ، وعمل السحر يعتبر عمل دوني وساقط جداً وبشع . ورسول الله (ص) الذي هو أطهر البشر والقرآن الذي يعتبر معجزته ويعمل السحر ؟ ما أكثر ما يفتري البشر ويلقي التهم والبهتان العظيم دون أي إعتناء ، لذا يقال لهؤلاء يوم القيامة ، هذه جهنم الآن ، هل هي من السحر أم أنتم لا تبصرون ، **﴿ هذه جَهَنّمُ الّتي كنتم تُوعدُون ﴾** و **﴿ أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾** بعد هذا وزيادة في التوبيخ وعذاب الحريق **﴿ أصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم إنّما تُجزَون ما كنتم تعملون ﴾** إحترقوا بنار جهنم ، صرختم أم لم تصرخوا ، وتحملتم أم لم تتحملوا ، فليس للصبر هنا أي أثرٍ أو قيمة ، إنّما الصبر في الدنيا كان له القيمة والأثر الكبير ، وفي جهنم لو أراد أهل جهنم أن يصبروا على العذاب أو لا يصبروا ، إذ ليس هناك أي تخفيف من العذاب لهؤلاء الأشقياء ، إنّما الفرق الوحيد هو إن الذي يصرخ من العذاب ولا يستطيع الصبر عليه ، يكون مورد شماتة الشيطان . وفي الحقيقة كل شيء في جهنم يوحي بالعذاب الشديد ، وإجمالاً إن الذي يقع عليه العذاب إن صبر أو لم يصبر فهذا لا يجدي شيئاً ولا يخفف عنه العذاب ولا يعفىٰ عنه . ولكن في الدنيا لو استطاع الإنسان أن يصبر لحظة واحدة على الخطأ والمعصية يكون دائماً مورد عناية ولطف الخالق سبحانه وتعالى . مثلاً ، هو يستطيع أن يضرب أحداً ، ولا يضربه ، يستطيع أن يعمل المنكر ، أو ينظر إلى امرأة أجنبية ولا يفعل ذلك ، أو مثلاً في الصبح الباكر أو منتصف الليل حيث تكون الرغبة في النوم شديدة ، ولكنه يغالب نفسه وينهض ويؤدي

الصلاة ، أو أنه يصوم ويتحمل الجوع والعطش إلى غير ذلك . وبالجملة فإن أجمل ما في الصبر هو الصبر في المصيبة ، فمن أجل رضا الله يصبر ويتحمل ، يحترق قلبه ويبكي ، ولكنه لا يضج في البكاء ، مثل هذا الصبر له أثر كبير عند الله سبحانه وتعالى ، ﴿ **إنّ الله مع الصابرين** ﴾ فإن أرضية السعادة في الدنيا هو الصبر ، (الصبر من الإيمان) ، وهذه الآيات التي يذكرها القرآن الكريم ، فإن أهل الإيمان وأهل التقوىٰ عندما يصلون إلى هذا النوع من الآيات ، لا يرون أنفسهم طاهرين من العيوب ، ولا يحسبون أنفسهم من الذين ابتعدوا عن واقع الدنيا ، وما يدريه الإنسان هل أن يرحل من هذه الدنيا وهو علىٰ الإيمان أم لا ؟ فالمؤمن يجب عليه دائماً أن يكون متذكراً ومنتبهاً إلى نفسه ، وعندما يصل القرآن إلى آيات العذاب يقول : إلٓهي نجني وتوفني على الإيمان .

علي (ع) يخاف من نار القيامة

الأنبياء والصالحين يخافون ويرتعدون ، فالمؤمن ، بكل عمل ، مهما كان حجمه وحسناته وفضل إنجازه يجب أن لا يرى فيه أنه يبعده من العذاب ، لكنه يجب عليه الإعتقاد إن الذي يجعل بينه وبين جهنم حاجزاً ، هو فضل الله سبحانه وتعالى عليه .

فهل تعلم شخصاً يفوق علي (ع) في الإيمان والتقوىٰ ؟ علي (ع) عوّد نفسه على الخوف من العذاب . في أحد الأيام عندما دخل بيت إمرأة عندها يتامىٰ وأوقد التنور ليخبز الخبز لهم صادف أن ارتفعت شعلة النار من التنور ، فقرّب رأسه الشريف من التنور وخاطب نفسه بالقول : ذق يا علي حرارة النار ، فإذا كان علي (ع) يفعل هذا ، فماذا نفعل نحن ، فعلىٰ هذا ، يجب أن يعلو صوتنا ونقول واغفلتاه .

الخوف والرجاء يمنعان الطموح والتقدم

ذُكر في علم الأخلاق ، إن الإنسان في هذا العالم فهو من أجل أن يصل إلى الكمال ، يجب أن يحمل خصلتين ؛ خصلة من الخوف وخصلة من الرجاء ، حتى يستطيع أن يحمل متاعه في سفره الطويل إلى الآخرة ، فإذا الإنسان لم يجعل خوف الله في نفسه ، فإن عمله هباء ، ولا يتعدىٰ حظه من الدنيا ، وكذلك إذا لم يجعل الرجاء نفسه فإنه لا يتمتع بلذة الشوق إلى الآخرة . ولذا قيل : بأن المؤمن دائماً بين نورين ، يساوي أحدهما الآخر ، ولا يتغلب أحدهما على الآخر ويعينه ذلك في سفره إلى عالم الآخرة ، وقد ورد في الحديث إنه : إذا كانت ذنوبك تعادل ذنوب الأولين والآخرين ، فلا تفقد الأمل في عفو الله سبحانه وتعالى ، وإذا ما طرقت أبواب رحمته وعفوه فإنه قد يطهرك من الذنوب جميعها ، وفي مقام الخوف إذا كان الإنسان يحمل عمل جميع الخائفين ، مع ذلك لا بُدّ له : أن يخشىٰ ، ويخاف الله عز وجل ، لأن عدم الخوف من الله ولو ، لِلحظة واحدة ، فإنه تعالى ، سوف يكلك إلى نفسك ، وإذا أوكلك الله إلى نفسك فسوف تقع رهين عملك في الدنيا .

لماذا مسخ الله بلعم باعور ؟

سأل رجل الإمام موسى بن جعفر (ع) ما الذي حصل (لبلعم باعور) رغم العلم الغزير الذي كان يحمله حتى تكون عاقبته بأن صار كلباً ؟ فأجاب الإمام لأن الله سبحانه وتعالى أوكله إلى نفسه لحظة واحدة ، فقال الرجل ولماذا أوكله الله إلى نفسه ، فأجاب الإمام لأنه لم يكن يشكر نعمة الله عليه ، فالمؤمن العاقل يجب أن يحمل صفة الأنبياء ، التي يمكن تشبيهها بالمصباح الزيتي ، الذي يحتاج إلى أمرين ، أحدهما الزيت والآخر الكبريت ، فإذا لم يتوفر الزيت ، فسوف تحترق فتيلة المصباح وإذا لم يتوفر الكبريت لإشعال الفتيل ، فسوف يبقى بدون إضاءة ، فقلب المؤمن مثل المصباح ، شرط أن لا يترك

الشيطان يحتال عليه ، وعليه أن يدرك بأن الله سبحانه وتعالى ، يعفو عنه إذا توفر عنده كبريت الخوف من الله الذي يضيء مصباح قلبه ويهديه ، ليتمكن من طيّ مسافة السفر إلى الآخرة .

خوف داود (ع) من ترك الأَولى

ذكر عن نبي الله داود (ع) إنه عندما كان يتذكر أنه ترك أمر واجب أو عندما يتذكر الغضب الإلٓهي تظهر عليه حالة من الخوف وكأن مفاصله قد انفصلت عن بعضها ، وعندما يعود ويتذكر اللطف الآلهي ، يهدأ من روعه وتعود مفاصله إلى حالتها الطبيعية .

الإمام علي (ع) كان يُغشىٰ عليه من خوف الله سبحانه وتعالى . والخلاصة فأن المؤمن يجب أن يحمل في نفسه الخوف والرجاء ، الأمل بالله ولطفه ، الأمل بالله العالم ، الغني ، الكريم ، فليس من المعقول أن يبقىٰ الإنسان ثلاثين أو أربعين أو سبعين سنة يقول (يا الله) ويردّهُ الله سبحانه وتعالى . ومن هنا يجب على الإنسان أن يضع خوف الله نصب عينيه وأعوذ بالله أن يكون العجب والرياء في عملي سبباً لرد جميع أعمالي .

وفي القرآن المجيد ، ورد ذكر الجنة والنار مقروناً بذكر الخوف والرجاء ، وقد وردت آيات من القرآن يهتز كيان الإنسان عند سماعها ، فما الذي يستند عليه الإنسان حتى يخرج من هذه الدنيا طاهراً نقياً ؟ ثم جاءت بعد ذلك آيات تزف البشرىٰ لأهل التقوىٰ .

﴿ إنّ المتّقين في جنات ونعيم * فاكهين بما آتيهم رَبُّهُم ووقيٰهم رَبُّهُم عذاب الجحيم ﴾ ، التقوى من الوقاية أي : الرقابة الصارمة للعمل ، المتقين يعني هؤلاء الذين يخشون ويخافون الله ، إنّ الله سيُدخل هؤلاء جنات ونعيم . فاكهين يعني متلَذّذين ، ومتلذّذين ماذا تعني ؟ ففي دار الدنيا لو توفرت آلاف وسائل اللّذة للإنسان ، فإن اللّذة

لا تدوم له أبداً ، ومجرد مشكلة صغيرة تعترضه في عمله ، تخلق له الهم والغم . أما في الجنة فالعكس ، فلا همّ ولا غمّ يعكر صفاء الإنسان ، بل كلها لذائذ ونِعَم دائمة .

إن السرور في الدنيا ليست هي الملذات ، وإنما هو لسد حاجة أو دفع ألم . مثلاً ، الأكل من أجل دفع الجوع ، ماء الشرب من أجل دفع ظمأ العطاشىٰ ، أمّا في الجنة فليس كذلك ، ففي الجنة يقال للمؤمنين كلوا ، واشربوا ، هذا ما وعدكم الله به ، فما أعجب لذائذ الجنة ، فقد ورد حديث عن خاتم الأنبياء محمد (ص) : إن الفواكه في الدنيا كل نوع له طعم خاص ، لا يوجد من هذا الطعم في النوع الآخر ، فكل نوع يتميز بحلاوة ولذّة خاصة ، لا توجد في النوع الثاني .

فاكهة واحدة في الجنة لها طعم جميع الفواكه

قال رسول الله (ص) إنّ الفاكهة الواحدة في الجنة لها طعم جميع الفواكه ، وإنّ لسان البشر في الدنيا لا يستطيع أن يميز حلاوة الأنواع المختلفة من الفواكه ، مثلاً ، لو أُريد اختبار طعم عدد من البطيخ فيجب تذوق كل واحدة على حدة ، ومع ذلك يقع الإشتباه في إدراك طعم كل واحدة ، ولكن في الجنة فإن طعم جميع الفواكه يمكن تذوقه في فاكهة واحدة والتلذذ بهذا الطعم . وأضاف الرسول (ص) إن جميع الروائح الزكية في الدنيا والتي كانت تبعث اللّذة في نفس البشر ، تشم جميعها في آن واحد في الجنة ، والأعجب من ذلك إنّ للأكل في الدنيا حد معين ، بعد ذلك تزول الشهية ، والميل إلى الطعام ، أما في الجنة فعلى العكس من ذلك ، قال رسول الله (ص) : إن لذة فاكهة الجنة في آخر أكلها تبقىٰ ويزداد الميل والشهية لها كأول تناولها .

سأل شخص رسول الله (ص) وقال : إنك قلت إنّ أهل الجنة يأكلون ويشربون . أجاب الرسول : نعم وشهية الرجل الواحد تعادل شهية مائة رجل .

لماذا الكسل والخمول ؟

قـال الإمـام علي (ع) : إن طـالبي الجنـة هم قلة ، ونفس هؤلاء القلة تجدهم كسالىٰ ، أتمنىٰ لو كان هنـاك متسع من الـوقت ، يمكن أن أصرفه من أجل الآخرة .

ذكر أحد كبار السن قال : في وقت السحـر غلبني النوم ولم أنهض من أجـل التهجد والعبـادة ، وقلت في نفسي أنام الآن ، وبعـدها أنهض للعبـادة ، استغرقت في النـوم ، فرأيت في عـالم المنام وجهـاً جميـلاً ، فسـألته من أنت ؟ فقـال : أنا قـطرة من دموعـك في وقت السحر ، فـإذا كنت تـرغب بـوصـالي ، وقـربي ، فـلا يجب عليـك أن تكـون كسـولاً وخاملاً ، فقال : ومن شدة الفرح والسرور ، استيقظت من النوم .

لقد قلت سابقـاً إن رسول الله (ص) قـال إن شهية رجـل واحد من أهل الجنة تعـادل شهية مـائة رجـل ، وبعد الأكـل لا يشعر بـأي عوارض تخمة أو ثقل في المعدة ، والفضلات الناتجة عن الأكل تتحول إلى عرق يخرج من جسمه ، وإن عالم الآخرة ، وعالم الدنيا ، غير قابل للمقـايسة أبداً ، ومَثلُ الدنيا إلى الآخـرة ، كالنسبـة بين عالم الـطفل وهـو في بطن أمه ، إلى عالم الدنيا .

والآن نحن في هذه الدنيا الفاسدة ، وعندما يغادرهـا الإنسان يعلم عندها ، أنه كان مشغولاً بألاعيبها وأنه كان مغفلاً .

الصوم وصلاة الجماعة

قال أحد كبار السن : رأيت في عالم المنام وكأني في قصر كبيـر ، وسلطان جالس على العرش (في عالم الآخرة) ، إعتقـدته أحـد الأنبياء ذهبت وسلمت عليه ، وقلت من أنت ؟ قال : أنا الحمّال ، فقد كنت في دار الـدنيـا ، حمّـال ، قلت لـه : ومـاذا عملت حتى وصلت إلى هـذه

الـدرجـة ؟ قـال : كنت أمـارس عملين في الـدنيـا : الأوّل : الصيـام ، والثاني : عدم ترك صلاة الجماعة .

الـدنيا ألعـوبة يفـرح المتـطفلون بهـا وأكثـر الخلق يحملون صفـة الأطفال هذه ، حيث لا يتوجهون إلى الأصل .

وإني لأحترم ذلك الإنسان الذي يرى أثار هذه الدنيـا ، ثم بموجب الأصل (عالم الآخرة) يخطو ويسير ، وهو يعلم ، إنّ جميـع مُتع الـدنيا وحلاوتها لا تساوي ذرة من الأصل ، فمـا هو الأصـل ؟ فإذا كـان الشوق والخوف غالبـاً على الإنسان ، فنجـده لا يأتيـه النوم ، مـرة من الشوق ، ومرة من الخوف .

مات شوقاً إلى الجنة

نقل قبل سنـوات عن رجل بسيط ، تمنىٰ لـو يرى نمـوذجٍ من عالم البـرزخ في منامـه ، وفي إحدىٰ الليـالي رأى في المنـام قسمـاً من عـالم الجنـة البرزخي . فبقىٰ من الشـوق يبكي طوال شهـرين وأخيراً مـات من شدة الشوق .

فـلا الصبر على العـذاب ممكن ، ولا الصبر على فـراق رحمة الله ممكن ، والويل لمن حرم نعمة الله سبحانه وتعالى .

وقـد قال الإمـام زين العابـدين (ع) : « إلهي إذا كـان آخـر أمـري الـوقوع في العـذاب ، فـأين الأمـل والـرجـاء ؟ » . لا هم ، ولا غم في الجنة ، إنها دار السلام بحق ، ومن لطف الله تعـالى بالمؤمن أن يحفـظه من نار جهنم ، ثم قال إن بعض الأعمال لها الأثر الكبير ، ولٰكن الأصـل لطف الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم يتوفر لطف الله بالعبـد فالعمـل الكثير لا فائدة منه .

إن أوّل عملٍ يقوم به المزارع ، هو أن يحرث الأرض ، ثم يبذر البذر ، وبعد ذلك إذا ظهر الشوك أو العشب في مزرعته يقلعه وينظف الأرض ، أما المطر والشمس فهي أمر ضروري للأرض ، ولكنها ليس بيد المزارع ، كما أن إنتاج الثمر وزيادته أمر ليس بيد المزارع ، كذلك المؤمن إذا تخلص من مرض القساوة واللجاجة ، فإن بذر الإيمان ينبت في قلبه ، ثم تطلع عليه شمس اللطف الآلهي فتعطي الثمر مثل الزرع ، وكما يجب على المزارع السعي والعمل لإزالة كل ما من شأنه أن يشكل ضرراً على الأرض ، مثل الشوك والعشب وغيره ، كذلك على المؤمن أن يزيل الموانع والعوائق عن طريق عبادته ، أي يحمي نفسه من كل ذنب ومعصية ، وأيضاً بعد كل عمل خير يمكن أن يعمله ويرى هذا العمل يمكن أن يتحول إلى باطل فلا يفعله .

يروىٰ إنّ الجلوس في المسجد عبادة ، خصوصاً بانتظار صلاة الجماعة ، بشرط أن لا يفسد ذلك بالانشغال بذكر الدنيا ، والمؤمن الذي يزيل الموانع والعوائق عن طريق عبادته ، فإنه يبلغ درجة عظيمة يصبح الحفاظ عليها أصعب من عمل الخير نفسه .

﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾

كلوا واشربوا الفاكهة والغذاء الذي لا يمكن وصفه . وفي التفسير ذكر أن المؤمن عندما يرى طيراً في الجنة وتميل نفسه إلى تناوله ، فإن الطير يقع أمامه في الحال نظيفاً مشوياً ، ويأكل المؤمن منه حتى يشبع ، ثم يحمد الله تعالى ، وبمجرد قوله الحمد لله تعود الحياة إلى الطير من جديد ويطير .

﴿ كُلوا واشربوا هنيئاً ﴾ ، حيث إن الغذاء هنا ليس كما في الدنيا ، وعندما تريد أنت أيها الإنسان إعداد الطعام ، فكم تفكر وتجهد

نفسك في إعداده ووقت الأكل قد تغص باللقمة ، ومجرد حادثة تحصل لك تفقدك لذة العيش ولذة الأكل ، وأيضاً لو لم تحصل لك حادثة فمجرد لقمات عديدة تذهب عنك الشهية وتشبع وينتهي عيشك .

الغذاء الذي يأتي بدون زحمة وبدون مشقة ، وبمجرد الرغبة به يكون حاضراً ، إن مثل هذا الغذاء يوجد في الجنة فقط . المقصود هو كلمة (هنيئاً) الوارده في الآية ، فإذا قال الله هنيئاً للمؤمنين فإن لذلك أهمية كبيرة ، حيث الجنة ، والغذاء الذي بمجرد حصول الرغبة إليه يكون حاضراً ، ولا يشعر المؤمن هناك بالشبع ، ولا يذهب عنه الميل إلى الغذاء ، ولا يفقد الشهية ، ولا يمرض ، وإن فضلات الأكل تتحول إلى عرق يخرج من جسمه .

وهل سمعت حديث سلمان الفارسي ؟

نقل السيِّد بن طاوس في كتاب مهج الدعوات رواية عن سلمان ، إن سلمان الفارسي قال : بعد وفاة رسول الله (ص) ، بقيت من الحزن والألم عشرة أيام في البيت ، لم أخرج ، وفي اليوم العاشر خرجتُ لزيارة مولاي أمير المؤمنين (ع) ، وما أن رآني حتى قال : لماذا جفوتنا وبعد رسول الله (ص) تركتنا . فقلت : إنّ الحزن على فراق رسول الله (ص) أجلسني في البيت .

فقال (ع) : الآن إذهب إلى فاطمة ، إنها بعثت في طلبك وتحتفظ لك بتحفة من الجنة ، قال سلمان : أسرعت لملاقاة فاطمة (ع) ، وما أن رأتني حتى قالت : لقد تركتنا بعد وفاة والدي . فقلت : إن الحزن على فراق رسول الله (ص) هو الذي أجلسني في البيت. فقالت (ع): اجلس وانتبه لما أقول لك: بالأمس وفي نفس المكان حيث كنت جالسة، وباب البيت كان مغلقاً ، وكنت مهمومة لفراق والدي وإنقطاع الوحي ، وإذا بي أرى ثلاث جواري لم أر في حياتي مثل حسنهن وجمال عيونهن والرائحة الزكية المنبعثة منهن ، اقتربت منهن وقلت : فداكم

نفسي ، هل أنتم من أهل مكة ، أم من أهل المدينة ؟ فقلن : نحن لسن من أهـل الأرض ، بل نحن من حـوريات الجنـة ، بعثنا الله إليـكِ ونحن مشتاقون لكِ ؟ أضافت فاطمة (ع) سألتُ إحداهن وكانت تبدو أكبرهن ما اسمـكِ ؟ قالت : اسمي مقـدودة ، وقد خلقني الله من أجـل المقداد بن الأسـود الكندي ، سـألت الثـانيـة مـا اسمـك ؟ قـالت : اسمي ذرّة وقـد خلقني الله من أجل أبو ذر الغفـاري فسألت الثـالثة مـا اسمك ؟ قـالت : اسمي سلمى وقـد خلقني الله من أجل سلمـان الفارسي . ثم قـدمنّ لي رطب من الجنة كان أبرد من الثلج وأعطر من المسـك . بعد ذلـك قامت فـاطمة (ع) بتقـديم الرطب إلى سلمـان ، وقـالت لـه : أفـطر على هـذا الرطب ، واجمع لي النوىٰ وأجلبه لي غداً . قال سلمـان فيما أنـا ذاهب في الـطريق إلتقىٰ بي أصحـاب رسـول الله (ص) وسـألـوني هـل تحمـل المسـك يا أبـا محمـد ؟ فـأجبتهم : نعم ، وبعـد أن أفـطرت على هـذا الـرطب لم أجد فيـه أي أثر للنـوىٰ . وفي اليـوم الثـاني تشـرفت بـزيـارة فـاطمة (ع) وقلت لهـا : لـم أعثر على النـوىٰ في الرطب . فقـالت : إنّ رطب الجنة لا نواة له (إلى آخر الحديث) .

مُتّكئين على سُرُر مَصفُوفةٍ وزَوّجناهُم بحُورٍ عِينٍ

من النعم الأخرى في الجنة ، سـرير سلطاني للمؤمن في الجنـة . سُرُر : جمع سرير لكن ليس كمـا السريـر في الدنيـا ، إنّ مقدار ارتفـاع السـرير في الجنـة تابـع لإرادة المؤمن ، لأن الغـرض من إرتفـاع سـريـر المؤمن هـو الإحاطـة بـالمكـان ، والتسلط عليـه ، ويكسب المؤمن لـذة الاستمتاع بعطايا الله له ، حيث إنّ عطايا الله للمؤمنين كثيـرة في الجنة ، وعنـدما يقتـرب المؤمن فإنّ السـرير يفـرح بقدومـه ، وينحني من أجله ، ويهتـز من فـرط الفـرح بـه . إن الجنـة أعجب مكـان يمكن أن يتصـوره الإنسان ، ويا له من مكان عجيب ، إن الـدنيا ليس مكـان لطلب الـراحة بـل إنها مكـان للعمل والجـد والاجتهـاد . مقعـد صـدق ماذا يعني؟ ورد

تفصيل مقعد صدق في تفسير سورة القمر ، الصدق مقابل الكذب ، هنا « أي الدنيا » ليس مكان الخلود وليس مكان العيش الأبدي ، والعقلاء يدركون هذا المعنى ، وكل هؤلاء الذين يعترضون على حكم الله ، إنما يسعون لطلب العيش الهني في هذه الدنيا ، وهم مبتلون بأمراضها ومرض الجهل والغفلة ، والبخل وما هنالك من أمراض أخرى . وخلاصة القول بأن المكان الذي يجب أن يتفانى الإنسان ويسعى له الجنة .

﴿ متّكئِين على سُرُر مَصفُوفةٍ ﴾ ، إنه ليس سريرٌ واحد ، وإنّما هناك عدة أسرّة بجانبه من أجل الضيوف ، وأصدقاء المؤمن ، الذين يأتون لزيارته ورؤيته ، ولذا جاءت سُرُر بصيغة الجمع ، أمّا لماذا قيل للتخت سرير ؟ لأنّ السرير يأتي من السرور ، ولأنّ المؤمن يفرح لرؤية سريره في الجنة ، وكذلك السرير يفرح لرؤية صاحبه أيضاً . ولهذا فإن الغرب يعبّرون عن التابوت الذي يوضع جسد المؤمن فيه ويحمل إلى القبر ، يعبّرون عنه بالسرير ، ومن باب التفاءل ، أي إن المؤمن ، نجا من سجن عالم الطبيعة ، وكانت وسيلة سروره ونجاته هو التابوت وأنّه تخلّص من الهموم والغموم والمشاكل ، إنّه اليوم الذي ينجو فيه المؤمن من المشاكل ، فالموت يعني فتح باب السجن ، والتابوت يعني الوسيلة إلى الخلاص والحرية والسعة،لهذا أصبح التابوت معبراً عن السرور،فما أسعده من ميتٍ محمول إلى قبره ، أنّه يُحمل إلى مقامه ومزاره الحقيقي . ألم تسمع إن المؤمن ، عندما يوضع في القبر ، ويُسأل عن عقائده ، فيجيب عنها جيداً ، وبعد الانتهاء من من الإجابة يقال له : بأنّ هذا القبر هو روضتك ، ثم تنبعث رائحة المسك من قبره ، وبقدر طهارة روح المؤمن يوسّعُ عليها في عالم البرزخ .

قال الإمام الصادق (ع) : « لا راحة للمؤمن إلاّ عِنْدَ لقاءِ الله » ، ففي ساعة الموت يرىٰ صفوف الملائكة ، تأتي لإستقباله وكذلك أرواح

المؤمنين ، وروح رسول الله (ص) ، وإذا لم يكن للمؤمن أي شيء يسرهُ في الوجود ، فرؤيته لوجوه المعصومين (ع) يدخل عليه كل السرور .

وهناك رواية من طريق السنة والشيعة تذكر : إن عائشة قالت لفاطمة الزهراء (ع) : لقد سمعت أن أباكِ في وقت مرضه وعلى فراش الموت طلبك بالحضور ، وهمس في أذنكِ شيئاً كنت مسرورة بعد سماعه ، فما الذي قال لكِ ؟ أجابت الزهراء (ع) : قال لي والدي : ستلحقي بي سريعاً ، وتكوني أول من يغادر هذه الدنيا من أهل بيتي بعدي .

وزَوّجناهُم بحُور عِين

من جملة الأشياء التي وعد الله المؤمنين بها في الجنة ، وركزّ عليها بشكل كبير ، هي حور العين ﴿ **حُورٌ مقصُوراتٌ في الخِيام** ﴾ إن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الموجود اللطيف في دار ضيافته ، ووعد به المتَقين ، قال الإمام علي (ع) : إنّ الأشياء التي يعدها الله كبيرة ، يجب أن تعدها أنت كبيرة أيضاً ، والأشياء التي يعدّها الله صغيرة ، يجب أن تكون صغيرة في نظرك .

وقد ورد في دعاء المعصوم (زَوّجني مِن الحُورِ العِينِ) وقد ورد ذلك في الأدعية الأخرى .

وفي هذه الآية ﴿ **وزَوّجناهُمْ بحورٍ عينٍ** ﴾ يفهم منه أن زواج المؤمنين بحُورِ العين في الجنة غير الزواج في الدنيا ، والمثال على ذلك حديث شريف ورد في البحار ، ذكر عن سعيد بن المسيب قال : رأيت في الكوفة ، الإمام زين العابدين (ع) ، وقد خرج من الحمام طاهراً نظيفاً وقد خضّب شعر رأسه بالحناء ، ولبس أفخر ثيابه ووضع العطور ، فسألته إلى أين تذهب ياابن رسول الله (ص) ؟ ، فأجابني : إني ذاهب

إلى مسجد النبي لأصلي . فقلت له : إن الوقت ليس وقت صلاة . فقال : إني أُريد أن أخطب حور العين .

حوريات الجنة طيبات طاهرات

إذا أصبح الإنسان طاهراً من التلوث الظاهري ، والباطني ، ومن كل ذنب ، ومن الخلق السيء ، يصبح مؤهلاً للزواج بحور العين ، فما معنى الحور ؟ الحور : يعني أن يكون بياض العين شديداً ، وسواد العين يكون أيضاً شديداً ، ويغلب سواد العين على البياض ، أمّا بالنسبة للجمال ، فقد ورد حول جمال حور العين روايات كثيرة ، فقد قال رسول الله (ص) : لو جاءت واحدة من حوريات الجنة إلى عالم الدنيا ، فإن جميع الناس سوف يهلكون حيث لا طاقة لهم على رؤيتها ، وأظنك قرأت قصة يوسف (ع) في القرآن عندما كانت السكاكين بأيدي النساء عندما دخل عليهن يوسف (ع) فقطّعن أصابعهنّ ولم يشعرن ، إن جمال يوسف (ع) هو الذي أفقدهّن الإحساس بالألم ، وجمال يوسف قطرة من ذاك الجمال الإلَهي المجسد في حُورِ العين .

يقال إن حوريات الجنة إذا حضرن إلى عالم الدنيا فإن نور القمر سوف يختفي لجمالهنّ ، ومن الأشياء الأخرى والتي تتحدث عن لطافة حور العين ، إن كل واحدة ترتدي سبعين حلّة ، وكل حلّة لها عطر يميزها عن الأخرى ، وإن بدن الحورية من اللطافة والجمال والشفافية ؛ بحيث يبدو للناظر من وراء بشرة البدن مخ العظِام ، مثل رؤية الدرهم الذي يكون في قعر الماء الصافي ، وكل حورية خلقت لمؤمن معين ، من أجل تكريمه ، وقد وضع تاج على رأس كل واحدة منهنّ . مساكين أهل الدنيا ، الذين تنبسط أساريرهم عند رؤية نساء هذه الدنيا . إنّ حوريّات الجنّة في غاية الشوق إلى المؤمنين وقد ذكرهنّ الله تعالى فى محكم كتابه بـ ﴿ **قاصراتُ الطّرفِ** ﴾ أي : إن عيونهنّ مقصورة النظر على أزواجهنّ، وإذا تأخّر المؤمن فإن الحوريات لا طاقة لهنّ على

الانتظار ، وأحب أن أعرض هذه النقطة ، وهو أن بعض الناس القاصري الفهم ، ومن أجل إظهار الزهد يقول : نحن لا نريد حُورِ العين وذلك لأن أحد الزّهاد تحدّث مع أستاذه وصغّر نفسه أمامه ، وقال : إني لا أريد من الله أن يزوجني من الحور العين ، فقال له الاستاذ : لماذا ؟ فقال : لأني لست من أهل الشهوة ما أجهله ويا ليته يعترف بجهله . فقال الأستاذ : إن حوريات الجنة ليس مثل نساء هذه الدنيا ، لأن كل حديث مع نساء الدنيا يبعث على الشهوة والغفلة ، وعلى العكس ، فإن الحديث مع حوريات الجنة يذكّرن بالله ، فذكرها ذكرٌ لله ، وحضورها حضور في حضرة الله ، وعندما تبتسم الحورية فإن نور أسنانها ، يضيء أرجاء القصر الذي يقطنه المؤمن في الجنة . والخلاصة ، فلا مكان للشهوة في عالم الآخرة ، ولا مكان للأعمال الدونية الساقطة ، فهناك وضع آخر يختلف تماماً .

الحورية تريد زوجاً مؤمناً وروحانياً

الله سبحانه وتعالى وعد المؤمن بذخائر ثمينة في الجنة ، مثل الحواري وحواري الجنة بهذه اللطافة والجمال الإلّهي ، أيُّ نوع من الأزواج يردن ؟ إن المرأة التي ينبعث النور عند تبسّمها تريد زوجاً لا أقلّ ، يشّعُ نور الإيمان من قلبه ، والمؤمن يجب أن يطفح بالنور ، فكيف تطلب من الله أيها الإنسان ، ومن أجل الحورية التي ستصبح زوجتك في الجنة أن يهبك النور ، وأنت تغشاك الظلمات ، إنّ هذا لا يمكن وليس بهذه السهولة كما يتصور البعض ، لأن الإيمان إذا لم يتأصّل في النفس ، فلا يمكن لهذا المطلب العظيم أن يتحقق وقد كان المعصومين عليهم السلام ، يرجون الله سبحانه أن يجللهم بنور الإيمان .

والموضوع الآخر أنه في الجنة لا مجال للنفس ، ولا للهوىٰ والغفلة عن الله ، فالكل هنا مشغول بذكر الله ، وذكر الله هو الباعث للّذة

في نفس المؤمن ، سريرك أيها المؤمن وحتى الأشجار في الجنة مشغولة بذكر الله . قال رسول الله (ص) رأيت حلقة في الجنة تفتح وتُغلق ، وينبعث منها صوت يقول : يا علي يا علي حيث إن بدون ولاية علي (ع) لا يمكن اجتياز هذه الحلقة ، إنّ جميع هذه الوسائل التي في انتظار المؤمن في الجنة ، هي من أجل إظهار اللطف الإلّهي ، والكرامة الكبيرة ، التي كانت ثمناً لصبر الإنسان ، الذي استطاع في هذه الأيام المعدودة من الدنيا أن يطهر نفسه من الأدران الدنيوية ، ويجب أنْ يعلم ، أنّ النساء المؤمنات اللاتي يفزن بالجنة ، تكون الواحدة مثل الحورية ، بل أعلى درجة ، فكلها نور ونظافة وطهارة ، حيث إن نور الإيمان والتقوىٰ ، الذي كان في الباطن يتحول إلى الظاهر ، ويشعُّ نوراً ، إضافة إلى أن أوساخ العادة الشهرية ، وزحمة الحمل ، لا وجود لها هناك ، حيث إن المرأة هناك مثل الحورية ، في حالة بكارة دائمة ، بحيث إن الزوج يجامع زوجته مئات المرات وتبقىٰ باكراً !! والخلاصة فمهما وصفت الحورية فوصف المؤمنة أكثر في الجنة .

ورد ياس الجنة ، رائحة حور العين

من الخصوصات الأخرى للحور العين ، فهناك رواية تقول : إن لها رائحة ذاتية تنبعث منها ، هي رائحة ورد ياس الجنة (ليس ورد ياس الدنيا) ، فرائحة الحور العين تشم من مسافة ٥٠٠ سنة ، فعندما يبعث المؤمن للحساب وينشر من قبره يشم هذه الرائحة ، وهناك رواية منقولة من طرق السنة والشيعة أن رسول الله (ص) قال : إنّ رائحة الأنبياء هي رائحة السفرجل ، ورائحة حوريات الجنة هي رائحة ورد ياس الجنة ، ورائحة الملائكة هي رائحة الورد الأحمر (في ساعة الموت هناك لذة عظيمة برائحة الملائكة ، في ذاك الوقت يكون البشر في أمسّ الحاجة إلى اللذة ، فعندما تُقبِل الملائكة تنبعث رائحة الورد الأحمر ، وإليها يكون شوق المؤمن وفرحه) ثم قال (ص) : أما رائحة ابنتي الزهراء (ع)

فهي تجمع الروائح الثلاث ؛ فهي تعطي رائحة الأنبياء ، ورائحة حور العين ، ورائحة الملائكة . وقد كان رسول الله (ص) يشم الزهراء (ع) كثيراً وبدون حدود حتى كان ذلك باعثاً لحسد عائشة حيث اعترضت على رسول الله (ص) فقال : من بدن الزهراء أشم رائحة الجنة .

تذكّر الأقرباء في الجنة

من جملة نعم الجنة الأخرى ، إن المؤمن بعد أن يستقر في الجنة يقول (أين أبي وأمي وذريّتي) ، ومن المعلوم إن المؤمن لا يتذكر أباه أو أمه قبل أن يصل إلى مقامه في الجنة ، فقبل دخول الجنة وقبل أن يعرف ما هو مصيره ، لا يتذكر أباه أو أمه أو أولاده ، ولكن بعد أن يأخذ محله في الجنة ، يتذكر أقرباءه ويسأل عن حالهم فيجيبه المَلَك لأن أباك وأمك كانوا في الدنيا مؤمنين فهم الآن في الجنة ولكنهم أقلّ من درجتك ، في هذه الحالة يتشفع المؤمن إلى الله بأن يجعل أباه وأمه في درجته ، والله سبحانه ، لطفاً منه بهذا المؤمن يحقق له أمنيته ، ونفس الشيء بالنسبة إلى المرأة وزوجها والأب وابنه وغيره . لذا ورد في القرآن الكريم في أكثر من مكان إنه إذا توفر الإيمان في الإنسان ، فوحده فقط يمكّن المؤمن من الشفاعة لأبيه وأمّه وبالعكس ليُرفعوا إلى درجة أعلى من درجتهم .

إبراهيم وسارة يهتمان بأولاد المؤمنين

ماذا يتم بشأن الأولاد الصغار ؟ الطفل الصغير وقبل بلوغه ، عندما يغادر هذه الدنيا ، هناك رواية تقول بأن رسول الله إبراهيم (ع) وزوجته سارة يتكفلون بهم ، وعندما يأخذ المؤمن مكانه في الجنة يُلبِّسْ الطفل لباساً جميلاً ويقَدّم لذلك المؤمن بعنوان هدية ، ورواية أخرى تقول إن الأولاد الصغار تتكفل بهم فاطمة الزهراء (ع) وعندما يدخل الوالدين الجنة يقدم لهم الأطفال كهدية .

﴿ والّـذين آمنوا واتّبعتهُم ذُرّيتهُم بـإيمـانٍ ألحقنـا بِهِمْ ذُريَتَهُمْ ومـا ألْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شيءٍ كُلُ امرءٍ بما كَسَبَ رَهينٌ ﴾ ، فإذا كان الولد لا إيمان له فلا يدخل الجنة .

ويُـطرحِ هنا سؤال : لـو دَخل ولـد إلى جهنم ، ودخـل والـده إلى الجنـة ، طبعاً والـده يتألم لحـاله ، والجنـة ليست مكانـاً لـلألم ، فمـاذا يحصل إذاً ؟

الجواب : إن الله سبحانه وتعالى ، يمحو ذكر هذا الولد من خاطـر أبيه نهائياً .

إنّ إيمان الأولاد يكون على قسمين : أولاً : الإيمـان الأصلي وهو عندما يكون الولد مكلفاً ، أي حينما يصل إلى سن البلوغ ، فهـو عندمـا يرحل من هذه الدنيا يرحل مؤمناً . وثانياً : الإيمان الوراثي ، أو بالتبعية ، وهذا يحصل ، عندما يموت ابن المؤمن قبل بلوغـه ، فهذا يجب تغسيله وإذا كان عمره ٦ سنوات فيجب الصلاة عليه ، وتعتبر الصلاة على جنازته واجبة .

والنتيجة ، إذا وصل الـولد إلى مـرحلة البلوغ ، وآمن ، أو إنه آمن قبـل البلوغ ، تبعاً لأبيـه ، فإن هـذا القدر من الإيمـان ، كافٍ لإدخـالـه الجنـة ، وإذا مات بعـد البلوغ ، ولم يؤمن ، فلا أبـوه يراه ولا هـو يـرىٰ أباه .

﴿ وَمـا اَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهم ﴾ ، يعني لا نقلل من عمـل أي أحد ، أي لا ندفع أحدُ إلى درجاتٍ أقل ، بل نرفعه إلى درجة أعلى ، إن فضل وكرم الله كبير ولا يحتاج أن يوزع الأب ماله على ذريّته .

والخـلاصة معنى الآيـة الشريفـة ، هو أن الـذي يرفـع درجة ذريـة المؤمنين ويـوصلهم إلى درجـة آبـائهم ، لا يـنقص شـيء من عـمـل المؤمنين ودرجتهم ، بـل ومن أجـل زيـادة سـرورهم وانشـراحهم هـو أن

تلحق بهم ذريتهم وأرحامهم لكي تقرّ عيونهم بهم وذلك تفضلاً من الله عليهم .

﴿ كُل امرءٍ بما كَسَبَ رهين ﴾ ، يعني : كل إنسان ، سوف يلاقي غداً يوم القيامة جزاء جميع أعماله كاملة غير منقوصة ، وبدون أن تعطى بعض أعماله لشخص آخر ، أو مقابل لحوق ذريته به فأنه ينقص منها ، وهكذا ، جزاء ذنوب الآخرين لا تُضاف إلى أعماله إذا قلنا ذلك ، فكيف يؤخذ يوم القيامة من حسنات المؤمن وتعطىٰ لصاحب الحق الذي عليه ، أو يؤخذ من سيئات صاحب الحق وتلقىٰ على عاتق المديون ؟

وفي الجواب أقول : إنّ هذه المعاملة جزائية أي إن الإنسان يجازىٰ على ما كسبه من أعمال، أمّا تبعات ذنوبه فيجب أن تقع عليه .

نعم في خصوص بعض المؤمنين فقد ورد في الرواية أنّ الله سبحانه وتعالى ، وتفضلاً منه ، فإنّ أصحاب الحق الذي على المؤمن ، يُعطَونَ الثواب مقابل حقهم ويُرَضّوْن بذلك ، دون أن ينقص ذلك من ثواب المؤمن .

في تفسير البرهان وفي ذيل تفسير هذه الآية الشريفة نُقل عدة أحاديث من جملتها ما روي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « قَصُرتِ الأبناءُ عن عَملِ الآباءِ فَأَلْحَقَ الله الأبناءَ بالآباءِ لِيُقرّ بذلك أعيُنَهُمْ » .

وروي كذلك عن الإمام الصادق (ع) ، أنه قال : إن أطفال المسلمين تتولىٰ تربيتهم فاطمة الزهراء (ع) ، ثم يقدّمون إلى آبائهم كهدية .

وروي أيضاً عن الإمام (ع) أنه قال : عندما يقف الناس للحساب يوم القيامة ينادي منادي من تحت العرش (أيّها الناس غضوا أبصاركم حتى تمرّ فاطمة بنت محمد) فيذهب لإستقبالها ألف حورية من الجنة ومعهنّ خمسين ألف من الملائكة إلى أن قال (ع) : بعد أن تدخل

الزهراء (ع) الجنة يكرّمها الله بقصرين ، قصرٌ أبيض ، وقصرٌ أصفر ، ويوجد في القصر الأبيض ٧٠ ألف بيت ، ونفس العدد في القصر الأصفر ، ثم يبعث الله مَلكاً إلى فاطمة يعزّها بالخطاب : أي فاطمة اطلبي لأعطيك . فتقول فاطمة (ع) : إنّ نِعَمْ الله علينا تامة ، وعظيمة ، فقد رفع قدرنا وكرامتنا ، ولكني أطلب منه سبحانه ، قبول شفاعتنا في أولادنا ، وذريتهم ، ومحبيهم وأصحابهم ، بعدها يتفضل الله بقبول شفاعة أهل البيت (عليهم السلام) فتقول فاطمة (ع) : الحمد لله الذي أبعد عنّا الغصة ، وأقرّ عيوننا ، ثم تلا الإمام الباقر (ع) هذه الآية ﴿ **والّذين آمنوا واتبعتهم** . . . ﴾ الخ .

وروي أيضاً عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قالوا : إنّ الله سبحانه وتعالى في مقابل شهادة الإمام الحسين (ع) أعطىٰ أربعة أشياء : جعل الإمامة في نسله ، والشفاء في تربة قبره ، واستجابة الدعاء تحت قبته ، وزائر قبره ، فإن مدة ذهابه وإيابه للزيارة لا تحسب من عمره .

محمد بن مسلم يسأل الإمام الصادق (ع) إن هذه الأشياء الأربعة أعطيت للآخرين بفضل بركة الإمام الحسين (ع) فماذا أعطىٰ الله للحسين (ع) مقابل شهادته ؟ فأجاب الإمام الصادق (ع) : إنّ الله ألحَقَ الإمام الحسين (ع) بجده رسول الله (ص) وبنفس درجته ومنزلته ومقامه ، ثم تلا الإمام الصادق (ع) هذه الآية ﴿ **والّذين آمنُوا واتّبعَتهُمْ ذُريّتهم بإيمانٍ** . . . ﴾ الخ .

وخلاصة هذه الروايات فأن الله وتفضّلاً منه على المؤمن يمنح الثواب لأصحاب الحق الذي على المؤمن دون أن يُنقِص ذلك من ثوابه وأجره .

فاكهة الجنة وخواصِها

﴿ وأمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهةٍ ولَحْمٍ مِمّا يَشْتَهُونَ ﴾ .

أَمْـدَدَ من إمـداد ، بمعنىٰ أعـان ، وسـاعـد ، يعني زِدنـاهُمْ من الفضل ، وهنا التّفضُل بالفاكهة واللحم وما يشتهون .

إنّ فاكهة الجنّـة تحمل نفس أسمـاء فاكهـة الدنيـا ولكن بالحقيقـة يوجد تفـاوت كبير بينهمـا ، أولاً : فاكهـة الجنة لـطيفة الخـواص بعكس فاكهة الدنيا ثقيلة وكثيرة الفضلات ، فاكهة الدنيا فيها الناضج ، وفيها غير النـاضج فيهـا الـرديء (المهـروس) ، وفيهـا الفـاسـد ، بعكس فـاكهـة الجنـة ، فلا وجـود لغير النـاضج والـطازج ، بل كـل واحـدة أفضـل من الأخرى .

الأشياء الأخرى التي تدل على عظمـة فاكهـة الجنة أنّ جميعهـا لا نواة لها وتناولها لا يولّد الفضلات ، ونقل عن خاتم الأنبياء (ص) أنّ لكل واحدة من فاكهة الجنة مائة ألف طعم ، فهنـا (في الجنة) يتبـدل الجهاز الفسيولوجي للإنسان ، أنظر قوّة الإدراك الكبيرة لدىٰ المؤمن والتي تمكنه من تذوّق مائة ألف طعم في آن واحد .

إن سيقـان أشجار الجنـة من الـذهب ، ولا وجـود للشـوك فيهـا ، وحتى السـاق يحمل الفـاكهة في الجنـة ، وكـل فـاكهـة يشتهيهـا المؤمن تحضر أمامه فوراً ، والنقطة الأهم إن المؤمن في حال تناوله للفاكهة وهي في فمـه يمكن أن تتبدل إلى نـوع آخـر من الفـاكهـة حسب ميـل ورغبـة المؤمن .

وهناك رواية عن خاتم الأنبياء (ص) ومضمون هذه الرواية الشـريفة أنه (ص) قال : في عالم الرؤيا رأيت عمي الحمزة (ع) (بعـد شهادتـه) وأمامه طبق من عنب الجنة ثم في لحظة تبدل العنب إلى تمر .

قال (ص) : سألت عمي ما هو أفضـل الأعمال في نـظرك ؟ أجاب

أولاً : إرواء إنسان عطشان ، ثانياً ، الصلاة على محمد (ص) وآله ، ثالثاً ، محبة ابن عمك علي بن أبي طالب (ع) . (إلٓهي بحقّ وليك علي ، إجعل قلوبنا مملوءة بحب علي (ع) وأجعلنا من محبيه) .

﴿ وَلَحْمٍ مِمّا يَشْتَهُونَ ﴾ .

إنّ اللّحم هنا (في الجنة) كما تشتهي وتميل أنفس أهل الجنة ، وكذلك لحم الدجاج أيضاً . وروي عن خاتم الأنبياء (ص) أنه قال : يجلس المؤمن على سريره في الجنة وما هي لحظة ، إلاّ وتأتي طيور بقدر الجَمَلْ ، فيشتهي المؤمن الأكل من لحم هذه الطيور ، وفوراً تسقط أجنحته ، ويقع أمامهُ مشوياً ، فيأكل المؤمن منه حتى يشبع ، وما أنْ يقول (الحمدُ لله) ، حتى تعود هذه الطيور إلى الحياة من جديد ، وتطير مفتخرة بين الطيور أنّه كان طعاماً للمؤمن .

﴿ يتنازَعُونَ فيها كأساً لا لَغوٌ فيها ولا تَأثيم ﴾

(شراب الجنة يجلب الذكاء وذكر الله)

الكأس ويعني هنا قدح مملوء بالشراب ، ولكن أي شراب هو ؟ الشراب في الجنة يوجد بعدة أنواع ، وأول نوع منه هو العسل ولكن ليس كالعسل الدنيوي (اشتراك في اللفظ فقط) ، الثاني : هو الحليب ، والثالث هو الماء ، الرابع : الخمر ولكن أي خمر هو . هل مثل خمر الدنيا ؟ إنّ خمر الدنيا يسلب أعظم قوى الإنسان ، وهو العقل ، ويصبح الإنسان فاقداً لعقله واتزانه إذاً خمر الدينا يسلب الذكاء والعقل .

إنّ مجرد مسك إناء من خمر الجنة ، يضاعف من الذكاء والشوق والذاكرة مائة ضعف ، فإذا شرب المؤمن إناء الخمر هذا ، يكبر حُبه وذكاءه وعقله . إنّ هذا الخمر فيه من اللذات ما يجعل المؤمنين يتنازعون عليه (ولكن ليس مثل النزاع والعراك في الدنيا) يتنازعون هناك من شدة

الرغبة به ، لذا يتنازعون وليس نـزاع ، يدعـو المؤمنين بعضهم البعض ، ويتعـارفون فيمـا بينهم ويشربـون بسلامـة الجميـع ، ﴿ **لا لغـو فيهـا ولا تأثيم** ﴾ إنّ خمرة الجنة غير باعثة على اللغـو عند شـربها ، بعكس خمـر الدنيا فأن شارب الخمر في الدنيـا يلغو كثيـراً بكلام غيـر مفهوم . ﴿ **ولا تـأثيم** ﴾ ويعني لا فعـل جـريمـة ولا فحش ولا عـربـدة في خمـر الجنـة ﴿ **رَزقكُمْ الله جميعاً** ﴾ .

وهذه المطالب حقيقية وليس للسماع فقط ، إذاً الإنسان ما دام في هذه الدنيـا فهو لا يـدرك إلّا الأشياء التي تكـون من ضمن هذا العـالـم ، بينما الموجودات في عالم الآخرة هي في طور وحقيقة أخرى .

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كأنّهُمْ لؤلؤٌ مكنُونٌ ﴾

الولدان خدم من أجل المؤمنين

كـل مؤمن في الجنة لـه من الخـدم ألف غـلام ، ولكن ليس مثـل غلمان هذه الـدنيا ﴿ **كـأنّهُمْ لؤلؤٌ مكنُونٌ** ﴾ مثـل اللؤلؤ النقي ، الذي لم تصل إليه يد إنسان ، فكـم له قيمة ؟ الله سبحانه يقول : إنّ غِلمان الجنة لهم تـلألُؤ مثـل اللؤلؤ ، ويلتـذّون بخـدمـة المؤمن ، فهم مسـرورون ، والمؤمن كـذلك . قـال رسول الله (ص) : في الجنـة وبمجـرد أنْ ينـادي المؤمن ، فأن ألف غلام يقول له لبيّك . وهنا يطرح أحدهم سؤال جميل على رسـول الله (ص) فيقول : يـا رسول الله إذا كـان غـلام الجنـة بهـذا القـدر من الجمال ، فمـاذا يكون المؤمن ؟ أجـاب رسول الله (ص) : إنّ جمال المؤمن نسبة إلى غِلمان الجنة كالنسبة بين القمر إلى النجوم .

معلوم أنّ ميـزان سعـادة وشقـاوة الإنسـان هـو آخـر عمله وخـاتمـة عمره ، ففي ساعـة الموت الأخيـرة إذا مات الإنسـان مؤمناً وطـاهـراً من الذنوب ، فـإنّ موتـه أولّ فرج لـه وراحةً لنفسـه ، وإذا مات مـع الإيمان ولكنـه تلوّث ببعض الذنـوب ، ففي هذه الحـالـة لا يقـع عليـه العـذاب

الأبدي ، ولكنه يُعذّب مدة في البرزخ وفي يوم القيامة بمقدار ذنوبه ، لأنّ شفاعة النبي (ص) ورحمة الله تعالى الواسعة تنجّيه من الخلود في العذاب ، وإذا مات والعياذ بالله مشركاً ، فيخلد في العذاب .

وفي الواقع أن الخوف من سوء العاقبة ، يجعل قلوب أهل العرفان تستعر ناراً ، وتدفعهم إلى البكاء أحياناً ، لأنّ الإنسان لا يعلم آخر عمره بأي عاقبة يُختم له .

فهناك البعض من يقضي شطراً من عمره مسلماً بل مؤمناً ، ثم ينتهي إلى الكفر ، ويموت مشركاً ، وبالعكس ، فمنهم من يقضي نصف عمره بل أكثره ، لا إيمان له ، ثم يُختم له بالسعادة ويموت طاهراً مؤمناً ، بل قد يصل إلى السعادة العظمىٰ ، مثل الحر بن يزيد الرياحي .

وأحياناً فإنّ الإنسان ولتسلط حب الدنيا على قلبه، يموت مبغضاً لله ومثل هذا لا نجاة له يوم القيامة ، لأنه في ساعة الموت يفهم أن بيته وحياته وامرأته وولده وماله الذي تعب في جَمْعِهِ ، ومنصبه الذي سعىٰ من أجله سوف تسلب جميعها منه ، ويفهم أنّ هذا جاء بأمرٍ من الله تعالى فيعادي الله ويموت وهو عدوّ لله (نعوذ بالله) .

وأحياناً بسبب ضعف الإيمان في ساعة الموت ،حين تأتي للإنسان أفكار أو حالة من الشك والتردد ويموت وهو على هذه الحالة . فالموت يشكل نهاية هذا الإنسان ولا أمل لهذا المسكين بالنجاة بعد ذلك . وأحياناً يموت الإنسان وهو في حال المعصية مثل أن يموت وهو في حالة السُكر ، أو أنه يتعامل بالربا في السوق ، وفي حال المطالبة بالربا تحصل مشكلة مع المديون تنتهي بحمله إلى قسم الشرطة وفي أثناء التحقيق وطرح المشكلة يموت بالسكتة القلبية ، أو أنه يموت وهو في حال إغتصاب مال مظلوم ، أو يموت وهو في حال تمنّي المعصية ، مثلاً في ساعة الموت يتحسر على الفرصة التي ضاعت يوم احتال على امرأة عفيفة وأخذها إلى بيته ثم تمكنت من الفرار منه ، والخلاصة أي إنسان

يخاف من سوء العاقبة ويرجو حسن العاقبة ، عليه في طوال عمره السعي إلى تقوية إيمانه ، وتجنّب المعاصي ، وإذا أذنب عليه أن يكون صادقاً في تطهير نفسه من الذنوب ، وأن يتضرع إلى الله سبحانه بأن يُحَسِّن عاقبته ، فيقيناً ، مثل هذا لا يُضيِّعَهُ الله سبحانه وتعالى ﴿ **وما كانَ الله ليُضيعَ أيمانكُمْ** ﴾ .

﴿ وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعض يَتَساءلُونَ ﴾

من نِعَم الجنة الأخرى هي نعمة الإستئناس . ففي الرواية أن المؤمن إذا رغبَ في لقاء أخيه المؤمن في الجنة فإنّ سريره يتحرك ويأخذه إلى مكان صاحبه في الجنان ، وحتي لو كانت درجة أحدهم أعلى من الآخر ، فتزول الحدود بينهم ليلتقوا . وهنا مطلب ذكره السيد الجزائري وغيره من العلماء ومن الممكن أن يخطر في بال أحد ، أنه إذا قلنا بعدم وجود هَمْ وحسرة في الجنة ، فكيف بالمؤمن الذي تكون درجته أقل من غيره ، فلا تأخذه الحسرة أنه لماذا لم يرتفع إلى درجة أعلى ؟ هذا السؤال وارد ، وأمّا جوابه فهو في القرآن : ﴿ **ونـزعنا ما في صُدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين** ﴾ ، فالإنسان قبل دخوله الجنة ، يحمل في قلبه الغلّ ، والضغينة ، والحسد ، ولكن كل إنسان يرد الجنة ، فأول عمل يقوم به هو أن يغتسل في عين ماء ، ثم يشرب من عين ثانية ، وبعد أن يشرب فأن جميع أمراض الدنيا تذهب من قلبه ، من بخل وحسد ، وضغينة ، وغيره ، عندها فأن المؤمن لا يحسد غيره ولا يبخل عليه ، بل يكون مسروراً ، لأنّ أخاه قد فاز بهذه الدرجة ، والخلاصة لا غلّ هناك في الجنة . أمّا خارج عالم الجنة ، فهناك الحسرة ، عندما يُبعث الإنسان من قبره، وحتى لو وصل إلى باب الجنة فالحسرة تأخذه ، أمّا في الجنة فلا وجود للغصة والحسرة ، ويجب الإلتفات إلى أنّ الذي ذكرته يتعلق بشكل أكبر بأهل الإيمان . **إلّهي** إجعل موت عبيدك الصالحين فرحاً لهم وسعادة ، وأبعد عنهم **الهَمْ**

والحسرة ، واجعل المؤمنين منهم ، يَصِلون إلى مقام اليقين وفي عبودية الله مطمئنين ، وثابتين ، وأبعد الإنحراف عن نفوسهم ، وقد ورد بيان ذلك في القرآن المجيد حيث قال سبحانه : ﴿ **يا أيّتها النّفسُ المُطمَئِنّة اِرجعي إلى رَبّكِ راضِيَةٍ مرضيّة** ﴾ . وأيضاً قال تعالى ﴿ **لا يَحزنهمُ الفَزَعُ الأكبَرُ** ﴾ .

وهناك حالة أخرى ، وهو الرجوع إلى الإدراكات الذاتية ، ومثال ذلك ترى إنسان يتنعم بنعم محددة ولا يدرك اللذات الكبيرة ، والكثيرة ، كي لا يتحسر عليها ،وهكذا إنسان يكون قد أراح نفسه كثيراً ،وكل إنسان يأخذ مكانه في الجنة فلا مجال هناك للهَمْ والحسرة . وفي سورة فاطر بعد أن يذكر دخول المؤمنين إلى الجنة في الآية ٣٣ يقول تعالى : ﴿ **وقالُوا الحمدُ لله الّذي أذهَبَ عنّا الحَزَنَ** ﴾ . (إلّهي بحق محمد وآله اجعلنا من المتنعمين في الجنة إلى جوار نبيّك وآله) .

في الجنة عندما يجتمع المؤمنين مع بعضهم البعض فمن جملة الأحاديث التي تشغلهم هو السؤال عن أحوال الدنيا (يَتساءلُون) يسأل أحدهم الآخر عن أوضاع الدنيا ، فيقول ما السبب الذي أوصلك إلى هذه الدرجة ، وما الذي عملته في الدنيا ؟ ويأتي الجواب ﴿ **قالوُا إنّا كنّا قَبلُ في أهلِنا مُشْفِقِينْ** ﴾ .

إنّ منشأ جميع هذه النِعَم ، وغفران الذنوب سببها أنني كنت مشفقاً على عائلتي .

في تفسير مجمع البيان قال : الإشفاق هو رقّة القلب عمّا يكون مِنَ الخَوفِ على الشيء والشَفَقَةُ ضِدُّ الغِلظة . ومعنى الآية الشريفة : إنّ أهل الجنة عندما يجتمعون مع بعضهم يتحدثون ، يقول البعض إنّا كنّا قبل هذا أي : (في الدنيا) وفي وسط أهلنا مشفقين عليهم ، خوفاً من معصية الخالق تعالى ومن سوء العاقبة كنّا فزعين ، فهذا الخوف من الخالق والفزع من سوء العاقبة ، هو سبب نجاتنا ، فهذا الذي ذكره أهل

الجنة أننا كنا في وسط أهلنا نخاف من أجل ذلك ، فأن الإنسان أحياناً يكون مع أهله في أنس وسعادة ومودة ، والذي يكون بمثل هذه الحالة يكون مشفقاً ، وغير غافل عن العذاب الإلّهي ، وعلى أيّة حال وفي سائر حالات الإنسان بطريق أولىٰ أن يضع خوف الله نصب عينه .

والخلاصة يعني في جميع حالات الإنسان لا وجود لقساوة القلب ، وفي جميع أعماله يكون خائفاً من معصية ومخالفة الخالق سبحانه وتعالى . وقال بعض المفسرين من المحتمل أن يكون المراد من الإشفاق في الأهل ، أنه يحترق قلبه عليهم ، أي من أجل هؤلاء ، ولقساوتهم وشقاوتهم ، كان يخاف عليهم من العذاب الإلّهي .

﴿ فَمَنَّ الله عَلَيْنا ووقينا عَذَابَ السّمُومِ ﴾

إذن إنّ الله مَنَّ علينا بلطفه ورحمته ووفقنا لطاعته واجتناب معصيته، وفي الآخرة مَنَّ علينا بدخول الجنة،ووقانا من عذاب النار التي تكون مثل الريح في غاية السخونة ، تنفذ إلى البدن من مساماته ، وبعضهم قال : السّموم اسم لجهنم . ومن المعلوم أن (فاء) فمنَّ الله هي للتفريع ، يعني أنّ الخوف من الله ومن الدنيا ، كانت نتيجته الأنعام الإلّهية والنجاة من العذاب ودخول الجنة ، وإنّ الأمن والأمان من الحريق بعد الموت ، يكون بمقدار خوف الإنسان قبل الموت ، وأيضاً كلما كان الخوف أكثر ، كلما ابتعد عن المعاصي وزادت طاعته لله وعبادته له ، وفي الحقيقة إذا لم يحترق القلب ويذوب من خوف الله ، فلا يستحق الترحُّم واللطف الإلّهي ونداء الرحمة له في ساعة الموت ، وقال سبحانه في سورة فُصّلت : ﴿ تتنزّل عَلَيْهِم المَلائِكة ألاّ تخافوا ولا تَحزَنُوا ﴾ في ساعة الموت تنزل الملائكة على هؤلاء ، تبشرهم بالجنة ، وتقول لهم ، ألاّ تخافوا ولا تحزنوا .

إذاً كلما كان الخوف أكثر ، ففي موقع الموت ، يموت الإنسان

مرتاحاً . وبالعكس ، كلما شمخ الإنسان بأنفه وتكبّر ، يزداد خوفه وفزعه غداً ويفقد الحيلة والوسيلة عند موته .

الأمن والراحة بعد الموت .

في خبر عن خاتم الأنبياء (ص) أنه قال : إنّ الله أكبر من أن يجمع خوفين في قلب واحد . فمن المحال أن يكون الإنسان في الدنيا يخاف الله ، ويجعله تعالى بعد موته خائفاً أيضاً ، وكذلك لا يجمع الله له أمنين ، أمن في الدنيا وأمن في الآخرة ، فإذا كان الإنسان في هذه الدنيا ، قاسي القلب ، ولا يخاف الله ، يكون في عالم الآخرة خائفاً يترقب، ترى لماذا لا تؤثر آيات القرآن في قلوب هؤلاء المغفلين؟ بينما الجبال لتهتز من آيات هذا القرآن العظيم ، كيف تعرف بأنك سوف ترحل مؤمناً من هذه الدنيا ، إن الخوف الذي فسره العلماء وشرحوه هو عبارة عن توجع القلب وتألمه ، والآن إرجع إلى نفسك وأنظر ، هل تحس بالألم والوجع ؟ إذا رأيت ذئباً يتقدم نحوك ، ألا تشعر بالهلع والفزع ، إذا رأيت النار بالقرب من بيتك ، أو رأيت دكانك يشتعل ، وقد احترق كل ما فيه ، فكم تهتز ، وتتألم لهذا المشهد الصعب ، فهل هكذا أيضاً من المعصية التي هي سبباً لعذاب النار في القبر والبرزخ والقيامة ، ستكون حالك بنفس الحالة وأنت تنظر إلى دكانك يحترق ؟ .

أورد الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتاب الأمالي رواية عن الإمام الحسن المجتبىٰ (ع) أنه تذكّر الموت فبكىٰ : (إذا ذَكر الموتَ بكىٰ وإذا ذَكَر القَبرَ بكىٰ وإذا ذكرَ البَعْثَ بكىٰ وإذا ذَكرَ الممرّ على الصّراطِ بكىٰ وإذا ذكَرَ العرضَ على الله شَهِقَ شهقةً يُغشىٰ عليه منها وإذا ذكَرَ الجنّة والنّار إضطرب إضطراب السّليم . . .) .

يقول الشيخ الشوشتري : قيل لي لا تخوّف النّاس بهذا الشكل . كيف لا أخوفهم ، فهل من القبر لا أخوفهم ، أم من البرزخ ، أم من

الصراط ، أم من الحساب لا أخوفهم ، من أي شيء لا أخوفهم ، عندما يقول لك الشيطان لا تخاف فهل تريدني أن أكون عوناً للشيطان عليك أيضاً ، الشيخ يذكر لك قول الله والرسول ، لكي تخاف ، ولكن أنت لا تخاف ، (وأخافك مخافة الموقنين) لا يخاف إلّا أهل اليقين وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة ، يفهم ماذا يعني الخوف ؟ ولعلّك سمعت عن خوف علي (ع) ، فكان من خوف الله ييبس مثل الخشبة ، فإذا كان الخوف من الله والشوق إلى الله متحقق في نفس الإنسان ، ولكن تعلقه وحبه لهذه الدنيا يذهب عمله ، وجب على المؤمن إيجاد الخوف في نفسه .

وأعرض هنا بعض المطالب لعلنا في نهاية العمر نعمل لنصبح أشبه بالمؤمنين .

إنّ من أهم الطرق لتحصيل الخشوع في حياتنا المعقدة والصعبة هو الحديث مع أهل الخوف والخشوع ، إنّ الجلوس إلى مثل هذا الإنسان يمهّد لك الطريق لتحصيل الخوف ، لأنّ نور خوفه من الله يضيء لك أيضاً وخصوصاً الحديث مع العلماء ، وإذا فرّ الإنسان من مجالس العلماء فأنّه يُخذل في حياته .

وقد ورد عن الإمام السجاد (ع) أنّه كان يتمنىٰ الجلوس والحديث مع العلماء وجاء في دعائه (أو لعلك فقدتني من مجالس العُلماءِ فَخَذلْتَنِي) وفي حياتنا فأنّ هذا النوع من الناس قليل جداً . وإذا تعذر الحديث مع أهل الخوف فيمكن أن نستعيض عنه بذكر السابقين ، أي المطالعة عن السابقين من أهل الخوف والتقوىٰ .

نقل ابن بابويه أنّ رسول الله (ص) كان يوماً جالساً في ظل شجرة وكان من الأيام الحارة جداً ، وإذا بشخص جاء وخلع ثيابه وأخذ يتدحرج أمامه على الرمضاء ، تارة يجعل بطنه على الرمال الساخنة وتارة ظهره ، ويقول : يا نفس ذوقي فإن العذاب الإلّهي أعظم بكثير ، ورسول الله

ينظر إليه ، وبعد ذلك لبس ثيابه ، عندها توجه إليه (ص) وطلبه قائلاً له : أي عبد الله لقد رأيت منك ما لم أرىٰ من غيرك ، فما الذي دفعك إلى ذلك ؟ قال : خوف الله هو الذي دفعني إلى هذا ، وكنت أروّض نفسي بهذه الشدة ، لتتعوّد وتعلم أنّ عذاب الله أشد من هذا ، وهي لا تقدر على تحمله غداً يوم القيامة . فقال له (ص) : خِفتَ الله وذلك أشرف الخوف ، في الحقيقة إنّ الله يباهي بكَ ملائكة السماء . ثم قال (ص) لأصحابه : انطلقوا إلى هذا الرجل ليدعو لكم ، وبعد أن اقتربوا منه قال : اللّهم اجمع أمرهم على هدايتك ، وزد في تقواهم ، واجعل خاتمة أعمالنا الجنة .

وآخر مطلب أعرضه ، أنّه من المعلوم إنّ أهل الخوف والخشوع والتقوىٰ مقربين إلى الباري عز وجل ودعاءهم مستجاب . وإجمالاً كل من كان في هذه الدنيا من أهل الخوف فهو في الآخرة في راحة ونعيم ، وهو في عين الله تعالى والناجي من عذاب السموم ، السموم تعني : الهواء الشديد الحرارة ، والذي يأتي من بعض النقاط الحارة مثل الحجاز ، وحرارته تدخل عن طريق الأذن والأنف والفم إلى البدن ، وتترك فيه أثر سمّي ، وأحياناً الجَمَلُ على كبرِ حَجْمه يدوخ ويسقط من أثرها أو تقتله ، هذه سموم عالم الدنيا وأينها من سموم عالم الآخرة . الغرض إنّ هذه السموم في جهنم والناجين منها يقولون : (ووقينا الله عذاب سموم جهنم) .

نار الخوف تقطع أمراض القلب

في سورة هَل أتىٰ ، التي هي في شأن أهل بيت العصمة والطهارة ، جاء في وصفهم : **﴿ ويَخافُون يَوماً كان شَرّهُ مستطيراً ﴾** وجاء أيضاً : **﴿ فَوقيهُم الله شَرّ ذلك اليوم ولقّيهُمْ نَضْرَةً وسُروراً ﴾** يعني لأنّهم خافوا من أهوال يوم القيامة ، فأنّ الله وقيهُم من سوء وشرّ ذلك اليوم . إذاً نتيجة الخوف من يوم القيامة في الدنيا ، هو الأمان في

الآخـرة ، والخوف الصـادق يعني ، أنّ الإنسـان يخـاف من كـل ذنب أو معصية ومن مخالفة أي طاعة لله .

ما عرضته يعتبر وعد إلٓهي ومَنْ أصدقُ من الله وعداً ، فليرجـع كل إنسان إلى قلبه ، فكلما كان الخـوف في الدنيـا أكثر، إعلم بـأنك سـوف تكون في يوم موتك مسروراً ، وإذا لم يكن خوف الله في قلبك ، فيجب أن تندب نفسك ، وتنادي بالويل والثبور .

إنّ خــوف الله من الصفـات الكمـاليـة لـلإنسـان ، وقـد قـال النبي (ص) : « رأسُ الحِكْمَةِ مخافة الله » وهي من صفات العلمـاء ، إن أهل الخوف في رفيـع الدرجـات في الفردوس الأعلىٰ ، أهـل الخوف لا حساب ولا كتاب لهم ، ما أنْ يتذكروا الحساب حتى تشتعل نار الخـوف في قلوبهم ، وإذا أصبحوا كذلك فأن أقل أثر وذكر يُذهب حب الدنيا من نفـوسهم ، ويخرج أمـراض الحسد والبخـل وحب الرئـاسة من قلوبهم ، وتَقِلُّ الآمال والتمنيات ، لو أصبح أحد من أهل الخوف والتذرع فلا نزاع ولا جدال له مع الآخرين .

إنّ نار الخوف مثل لسعة الأفعى ، فلو أنّ أفعىٰ سامة وقفت عليهـا بعوضة فلا تأثير لها عليها ، فكذلك ، لو أنّ أحداً أصبح من أهل الخوف يصبح قلبه في عالم آخر ، وهـو يرىٰ نفسـه بين خطرين عـظيمين ؛ عدم ذهـابه إلى الجنـة ، وذهابـه إلى النار ، وهـو لا يدرك أي شيء ، حسن كـان أو سيء ما عـدا الجنة والنـار ، إنّ الظلم والجـور والبخل والحسـد وسائر الشهـوات في الإنسان ، منشـأهُ عدم وجـود الخوف من الله ، فـإذا أصبح الإنسان صـاحب خوف يعني مثـل الإنسان الملسـوع ، فأي إمـرأة مهما كانت جميلة يمكن أن تقف أمامه فلا تثير اهتمامه .

الأفكار التي تجلب الخوف .

إنّ ألم الروح مثل ألم الجسد ، فالإنسان الذي تتألم روحه ، فـأنّ

جميع ضوضاء العالم لا أثـر له عليـه . الأئمة عليهم السـلام يعبّرون عن الخـوف بالنـور ، فلو أنّ هذا النـور وجد في القلب ، فـأنّ صاحب هـذا القلب يصبح في غاية السعادة ، أمّا ما يتعلق بالخوف فهو على قسمين ، مـاضي ومستقبل ، أمّـا المـاضي فهـو على فـرعين من الأعمـال الأوّل : الذنب والثواب ، ويقال لمن تخلّص من ذنوبه بأنّـه تاب من ذنبـه ، فهل عندك يقين من قبول توبتك ؟ ولو فرضنـا أنْ توبتـك قُبِلَت ، فماذا تعمـل غداً يوم القيامة وأنت تقف خجلا أمام الله ، فهـل عندك يقين بـأنك تُبْتَ تـوبة صـادقة من كـل ذنب ؟ فكَم من الذنـوب الكثيرة مثبتـة في صحيفة أعمـال الإنسـان وهـو غـافـل عنهـا وتبقىٰ إلى أن يتـوب منهـا ، وكم من الـذنوب التي لا تتـذكرهـا ، وبخيالـك غير محسـوبة ، ولكنهـا مثبتة في صحيفـة عملك (من المحتمل أن تكـون آلاف الذنـوب) وأحيانـاً أمـور صغيرة ولكنها عند الله كبيرة مثل مخاطبتك والدتك وأنت غضبان ، وهـذا من الكبائر ، ما الذي يدري الإنسان ؟ فـالإنسان خـلال العمل لا يتـوجه إلى عمله وينسىٰ بعد ذلك ، أويحسبه أمر صغير ، وهو عند الله كبير

هل راجعت نفسك على الأعمال الماضية

الفرع الثاني هو الحسنات ، فهـل أنت على يقين من أنّ حسناتـك مقبـولـة ؟ ألم يفسـد العُجب والـريـاء تلك الحسنـات ؟ مَنْ عنـده اليقين بـذلك ؟ قـال الإمام الجـواد (ع) : « إنّمـا يُعْـرفُ عَقْـلُ الـرّجُـلِ بِكَثْـرةِ مُحْتمـلاتِـهِ » بقـطع النـظر عن كـل ذلـك ، وعلى فـرض أنّ أعمـالـك الماضية كانت بشرائط صحيحـة ومقبولـة ، ألا تخاف غـداً أنْ لا يعاملك الله بفضله وكرمه ، بل يؤاخذك بعـدله ؟ فـإذا كان المـطلوب منك عمـل يليق بمقـام الخالق تعـالى ، فهـل صلّيت ركعتين تقـديسـاً لهـذا المقـام الإلٓهي العظيم ؟ هل خطر ببالك ولو ليـوم واحد من عمـركَ أن تكون في حالة عبودية حقيقية لله ؟ وإذا كنت تريد في يوم القيـامة أن تحسب أجـرة عملكَ وتعطىٰ لك ، فأنّ جميع أعمالك لا شيءِ مقابل النِعَمْ الإلٓهية التي

أعطيت لك في الدنيا ، وقطعاً سوف تكون مديوناً لله . وبقطع النظر عن هذه الجهة ، فإذا أردت مقابل كل عمل أجرة لائقة تعطىٰ لك ، فمن المعلوم أنّ عمل البشر لا قيمة حقيقية له .

ولتوضيح المطلب أقول : إنّ كل عبادة وطاعة يؤديها الإنسان ، من بدنية ومالية فهي عموماً من نِعَمْ الله سبحانه وتعالى ، مثلاً الصلاة التي تصلّيها بهذا البدن الذي هو من خِلْقَةِ الله والعافية منه تعالى والتوفيق منه كذلك . إذا أنفقت مالاً ، فأصل المال من الله سبحانه ، وتوفيق إنفاق هذا المال في طريق الله ، كذلك نعمة منه تعالى ، وهكذا سائر الأعمال ، ومن هنا قال داود (ع) : « إلٓهي كيف أشكرك والشكر منك ومن نِعَمك ، وشكرك يوجب عليّ الشكر » فأوحىٰ إليه الله : إنّ إعترافك بالعجز عن شكري يرضيني عنك ، والخلاصة أنّ الإنسان بدنه ونفسه وماله وكل شيء فيه ملك مطلق للخالق تعالى ، ووظيفة هذا الإنسان عقلياً ، هي العبودية والطاعة لله تعالى ، وفي مقابل ذلك فهو لا يستحق أي أجر أو أجرة . وبصرف النظر عن هذه الحقيقة فأن الإنسان في كل يوم تصله مئات النِعَمْ الإلٓهية ، فبحكم العقل يجب عليه وعن طريق العبادة والطاعة ، أن يَرُدّ شكر هذه النِعَمْ ، فإذا كان يفهم وكان منصفاً ، وحتى لو وصل الليل والنهار بالعبادة فلا يؤدي شكر نعمة واحدة في ذلك اليوم .

روي عن الإمام زين العابدين (ع) عندما دخل عليه عبد الملك ورأىٰ الإمام قد ضعف بدنه من كثرة العبادة وغارت عيناه واسودّت جبهته من أثر السجود ، تأثّر كثيراً وقال : سيدي لماذا ترهق نفسك بالعبادة وأنت تعلم أنَ مكانك في الجنة ، وهناك شفاعة جدك رسول الله (ص) ، فقال الإمام (ع) : « والله لو تَقَطّعَتْ أعضائي وسالت مقلتاي على صَدْري لَنْ أقُومَ لله جَلّ جَلالهُ شُكر عُشرَ العشير من نعمةٍ واحدةٍ مِنْ نِعَمِهِ التي لا يُحصيها العادّون» .

أرجو الإنتباه إلى هذه القصة دخل واعظ يوماً على هارون الرشيد ، فطلب هارون منه أن يعظه ، فقال له الواعظ : إذا عطشت إلى درجة الهلاك ولم تحصل على ماء أبداً ، فكم تدفع من المال مقابل شربة ماء ؟ فقال هارون : أدفع نصف ملكي . فقال الواعظ : إذا انسدت مجاري البول وانحبس البول في جسمك ، فكم تدفع من المال مقابل فتح مجاري بولك ؟ فقال هارون : أدفع النصف الثاني من ملكي . فقال الواعظ : فأي ملك هذا الذي قيمته شربة ماء يشربها الإنسان أو قطرة بول تخرج من مسلك بوله ، إذاً ما يشربه الإنسان في الليل والنهار ، فذلك يساوي مملكة قارون . وأمّا قيمة أعمال الإنسان فتعرف من ملاحظة أجرة العامل الذي يكون مشغولاً بزحمة العمل المرهق من الصبح حتى المساء ، أو يكون حارساً أو ناطوراً لبناية ، فهو لا ينام الليل بطوله لإنشغاله بالحراسة ، وفي نفس الوقت تكون أجرتهُ من (٣٠٠ إلى ٥٠٠ ليرة) ، فلو أنّ إنساناً كان مشغولاً من الليل حتى الصباح بالصلاة وقراءة القرآن وطالب بأجرته ، فأنّ قيمة عمله تكون معلومة .

ما عرضْتُهُ هنا هو لبيان العدل ، والغرض من التفصيل هو أن لا يأخذ المؤمنين الغرور والعُجب والأمن من المكر الإلّهي ، ويجب عليهم دائماً أن يخافوا من العدل الإلّهي . لذلك قال الإمام (ع) : « جَللتَ أنْ يُخافُ مِنْكَ إلاّ العَدْلُ وأنْ يُرجىٰ مِنكَ إلاّ الإحسان وإلاّ الفضل » وكذلك قال (ع) : « ومِن عَدْلِكَ مَهْربي » . وإلاّ فالبساط الإلّهي في عالم الآخرة فُرِشَ من أجل المؤمنين بالرحمة والفضل والكرم الإلّهي الذي لا نهاية له ، يعني الله الذي منح المؤمن العقل والإختيار وأوضح له سبل العبودية والطاعة ، وخصّه لقاء إيمانه وعبوديته بالجزاء الأوفر الذي لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، حيث قال تعالى : ﴿ **فلا تَعلم نَفْسُ ما أُخفي لَهُمْ مِنْ قرّة أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ ، وقد ورد أنّه في مقابل كل كلمة (سبحان الله) يقولها المؤمن تغرس له شجرة في

الجنة لا تجف أبداً ولا تحتاج إلى سقي ، وإذا ما اشتهى فاكهة من ثمار الجنة فأنها تحضُر له في أي وقت يشاء .

نعم فأنّ قول وعمل الإنسان إذا كان من أجله أو من أجل مخلوق آخر فلا قيمة حقيقية له ، كما قلنا ، لكن إذا كان العمل من أجل الله ، فلأنّ الله كبير فسوف يكون أجر عمله كبير أيضاً . وشرح هذا المطلب طويل جداً وتكفي الإشارة إليه ، والغرض أنّ المؤمن يجب عليه دائماً أنْ يكون بين الخوف والرجاء ، يعني أن يكون خائفاً من العدل الإلٓهي بالتفصيل الذي ذكرته ، وراجياً لفضل الله وكرمه ، فإذا لم يخاف من العدل الإلٓهي وكان مغروراً ومعجباً ومسروراً بعمله ، فقد وقع في الخطأ الكبير وهذه الحالة هي علامة الخذلان والحرمان من الكرم والفضل الإلٓهي ، وخلاصة المطلب أنّ مَنْ لا يرجو فضل الله وكرمه وثوابه ، فتلك حماقة وغرور ، مثل الذي من غير أن يبذر الحب ينتظر أنْ يحصد المحصول ، ويكون مسروراً بعمله وهذا من عدم المعرفة، بل يجب عليه أن يكون مثل المزارع الذي يرجو أن ينبت البذر الذي زرعه ، إن مثل هذا الإنسان يبارك الله له ويضاعف له من رحمته ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ الله وبرحمته وبذلك فليفرحوا** ﴾ . يعني يجب أن يكون مسروراً وآملاً لفضل الله ورحمته وكرمه الذي لا نهاية له .

كيف تستطيع الإطمئنان إلى مستقبلك بأن لا يكون سيئاً ، وأن لا يقسو قلبك ، وأنّ الإمتحان يأتي ولا تمد يدك ، ويأتي الفقر والمرض ولا تفتح باب الشكوى والجزع ، وكل هذه الأشياء ماضية والويل من ساعة الموت .

ذُكِرَ عن حالة أحد الخائفين ، أنه كتب وصية إلى رفيقه يقول فيها : عند موتي إجلسْ عند رأسي ، فإذا رأيت علامات الإيمان تَبدو عليّ عند الموت ، فانفق ثلث أموالي من أجل سروري في قبريَّ، وإذا لم تلاحظ علامات الإيمان تبدو عليّ وأني خرجت من هذه الدنيا بلا

إيمان ، فقل للناس أن لا يأتوا لتشييع جنازتي .

القصد هنا هو من يعلم كيف ستكون آخر ساعة من عمر الإنسان وكيف يموت ؟ هذا الخوف عند ساعة الموت أشد من أي خوف آخر وقد قال الإمام زين العابدين (ع) : أفضل ساعات عمري هي آخر ساعة من عمري ، وإذا اختبرت بعد الموت في عالم البرزخ والقبر والمحشر والصراط ، فأي خوف سوف يتملكني ، أكثر الخلق قلوبهم مليئة بالخوف ، ولكنه خَوفٌ شيطاني لا خوف رحماني ، وأني أفدي بروحي مَنْ يخاف الله تعالى فقط .

الخوف الشيطاني هو أن يكون خائفاً من نزول المصاعب والمشاكل والآفات التي تحدث في حياته ، مثل الخوف من الفقر والمرض والخوف من عدم تحقق أمنياته والهوس النفسي ، وأكثر الخلق يكون سجين تلك المخاوف في الوقت الذي تكون كل هذه المخاوف من الأوهام ومن وساوس الشيطان ، فكل إنسان ليس متيقناً بما يأتي به المستقبل حتى يحزن عليه ، وما أكثر الأشخاص الذين تخنقهم الحسرة والمرارة من المستقبل ، في الوقت الذي لا يدركوا هذا المستقبل وقد صاروا تحت التراب ، وعلى فرض أنهم يدركوا ذلك المستقبل لكنّ الحادثة التي كانوا يخافون منها من المحتمل أن لا تقع أصلاً . أمّا المؤمن الذي توكل على الله وكان الله تعالى عوناً له في كل شيء ، فلا مجال لوسوسة الشيطان ، أن تنفذ إلى نفس مثل هذا المؤمن ، حول ما يأتي به المستقبل ، ويكون دائماً في أمن وأمان ، أما الخوف الرحماني فهو الخوف من عدم التوفيق والخذلان الإلٓهي ، والخوف من سوء العاقبة ، وأن يكون خائفاً من العقبات الكثيرة التي تأتي بعد الموت ، ولذا قال أمير المؤمنين (ع) : « لا يخافَنّ أحدُ مِنكُمْ ألاّ ذَنبه ولا يَرجُونّ إلاّ رَبّه » .

عابد خائف في بني إسرائيل

حكايات الخائفين في الكتب كثيرة جداً ، وقد كُتب في بعضها : أنّه كانت في بني إسرائيل إمرأة زانية خبيثة ، وكان من عادة هذه المرأة أن تترك باب بيتها مفتوحاً وتتزيّن ، وتجلس مقابل الباب ، فكل شخص يمر من أمام البيت يقع في الفتنة (قبل الإسلام كانت المرأة الزانية تضع العلم فوق بيتها دليل الزنىٰ) ومن خصوصيات هذه المرأة أنها كانت تتقاضىٰ عشرة دنانير عن المرة الواحدة . وفي أحد الأيام مرّ أمام هذا البيت ، إنسان عابد صالح زاهد ، لم يكن من أهل الزنىٰ ، ولم يعرف هذا العابد في حياته غير التقوىٰ وعبادة الله ، وقد زلّت قدمه لأنّه مرّ من هنا . فقد وقع نظره على هذه الزانية وتعثرت رجله بالرذيلة ، وكان جمال هذه المرأة قد أثر في نفسه ، وبعد كل تلك السنين من العبادة والزهد ، حدثته نفسه بالدخول إلى هذا البيت ، وبعد أنْ عَلِمَ أنّ الدخول يكلفه عشرة دنانير ، ولم يكن يملك المال ، ذهب فوراً وباع ما يملك من متاع ودفع العشرة دنانير ، ودخل إلى بيت تلك الزانية وجلس بجانبها . وعندما أراد أن يرتكب العمل المُحَرَّمْ إرتعد بدنه ؛ فقد خطر على بَالِهِ خاطر رحماني ، وقد إرتعد إلى درجة انتبهت المرأة له وقالت : لماذا ترتعد ، اترك عنك هذه الأفكار ، قال العابد : إنّ الله يراني وإني أخاف منه .

قالت المرأة : أنّ هذا الجسد يتمناه الكثير ، وأنت تريد أن تتركه وتذهب ؟! قال العابد : سوف أسامحك على ما أعطيتك من مال وأني ذاهب ، وبعد أن خرج من البيت أخذ يصرخ ويلوم نفسه دائماً ، ويتعذب ولم يستطع أن يصبر حتى ترك البلد وسافر .

والآن انْظُر إلى الأثر الذي تركه فعل هذا الرجل على تلك المرأة . استغرقت هذه المرأة بالتفكير وقالت تخاطب نفسها : قاتل الله هذا الرجل ، فهو لم يرتكب المعصية وكان يريد الإقدام عليها فقط وتغيّر

حاله بهذا الشكل ، فكيف أنا التـي قضيت العمر كله أفعل الحرام ، ماذا أعمل ؟ عملت فوراً على إغـلاق باب البيت المفتـوح ، وجلست تفكّر ، والندم يعصر قلبها ، وقامت لتقتفي أثر الرجل العابد لتتزوج به ، لعل الله يتوب عليها ، وتعقبتـه من قريـةٍ إلى قريـة تسأل عنـه حتى وصلت إليه ، وعنـدما دخلت عليـه كشفت عن وجههـا ليتعـرف عليهـا وقـالت : جئت لأتـوب على يديـك وأكفّر عن ذنبي ، ومـا إنْ كشفت المـرأة عن وجههـا حتى صاح الرجل الصالح وفارق الحياة . رفعت المرأة رأسها إلى السماء وقـالت : إلّهي إنّي نادمـة على ما اقتـرفت من الذنـوب ، وقد جئت إلى هذا الرجل الصالح ، لأتزوج به وأتوب لعل في ذلك كفارة لذنوبي ، وها هو قد رحـل من هذه الـدنيا ، إلّهي خُـذ روحي وألحقني به ، وفي مثـل هذا الحال رحلت هذه المرأة عن الـدنيا ، ويقينـاً أنهم في الآخرة سـوف يكونوا مع بعضهم .

العلم والمعرفة بالوضع الباطني لأي إنسان ، أفضل وسيلة لإزدياد الخوف والخشية في نفس ذلك الإنسان ، ويدفعه التفكر الكثير بحاله عن الإنشغال بحال غيره ، ويبقىٰ ضمن حدود نفسـه ، ولا يخرج بـالإنشغال بعيوب غيره ، مثل الغيبة والتهمة وسائر الأفكار الأخرىٰ ، وقد قـال الإمام علي (ع) « رَحِمَ الله امرءً شَغَلَتْهُ عُيُوبُه عَنْ عيـوبِ غيره » ، وقـال أيضاً : « إذا أرادَ الله بِعَبْدٍ خيراً جَعَل عُيوبَه نَصْبَ عَيْنيه » .

صفحة الحسنات خالية

إنّ دار السلام كله نور ، قـال بعض أهل العلم : كنت جـالساً في أحد الليالي وكان الوقت أول الليل ، كنت جالساً أفكر بعملي ، وأنّـه إذا حان وقت وفاتي بأي حال سوف أكون ؟ هل أنا من أهل النجاة والجنـة ، أم من أهـل النـار ؟ قلت في نفسي : إنّ العمـل واليقين الـذي يُـدخـل الإنسـان إلى الجنة لا علم لي بـه ، سـوى مـا أعلمـه من أنّ الإيمـان ، وحب أهـل بيت العصمة والـطهارة ، عليهم السـلام ، وحب كل مـا هـو

موجب للنجاة ، يكون سبباً للدخول إلى الجنة ، ولكن ماذا أفعل بالذنوب الكثيرة التي يكون عذابها صعباً ، هل أنّ عفو الله أو شفاعة محمد وآله سوف تنجيني ؟ . وبينما كنت في هذا الفكر والحزن ، حتى غلبني النعاس ونمت ، رأيت نفسي في عالم المنام وحيداً في صحراء موحشة وكنت عرياناً ، ما عدا خرقة من القماش تلف بدني من السرة حتى ركبتيّ ، وكان بدني مليئاً بالحبوب السوداء مثل الدمّل ، إنّ وحشة المكان ومنظري البشع جعلني حيراناً لا حيلة لي ، وما هي إلّا لحظة حتى ظهر لي شخص وقال : إنّ القيامة قامت ، وأنت مطلوب للمحاسبة ، ثم أخذني حتى وصل شخص آخر وقال : إنّي مأمور لآخذك إلى النار ، ثم سُحبت بشدة من قبل هذين المأمورين وذهبنا إلى جهة اليسار . فقلتُ : خذوني إلى رسول الله (ص) والأئمة عليهم السلام . فقالا : ليس عندنا إجازة بأخذك إلى هناك ، بعد لحظة رأيت في جهة اليمين رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) جالسين وثلاثة رجال من حولهم ، أشار لي رسول الله (ص) يطلبني . أما كيف وصلت إليه (ص) بعد هذه الشدة والعناء ، وكان محكوماً عليّ بالنار ؟!

طأطأت رأسي وسلّمت ، عندها طلب رسول الله (ص) صحيفة عملي ، وإذا صحيفة حسناتي قد كتب عليها سطر واحد (الإيمان وحُبّ أهلِ البيت) ولا توجد أي حسنات أخرى ، أمّا صحيفة سيئاتي فقد كانت مليئة بالسيئات ، ولكن بشفاعة محمد (ص) وآله ، أصبحت صحيفة سيئاتي خالية ، ومُليئت صحيفة حسناتي ، والخلاصة أمر رسول الله (ص) بي إلى الجنة ، واغتسلت من نهرٍ في الجنة حتى زالت جميع أدران بدني ثم لبست من لباس الجنة وتناولت من فاكهتها ، إلى آخر ما ورد في هذا الكتاب الذي نقل عنه هذا العالم .

والغرض من نقل هذه القصة ، هو نموذج من اللطف الإلّهي بعباده الصالحين ، الذي يريهم حالات باطنية وبرزخية ، قبل الموت ، ليتدارك

ويصلح حاله في المستقبل وبالتوبة يزيل أدران نفسه ، وأن لا يغتّر بالشفاعة وحدها ، ويجب أن يعلم أنه ومن أجل أن يصل إلى الشفاعة ، عليه أن يجتاز مراحل شديدة وصعبة .

من الأمور الأخرى التي تبعث الخوف في نفس الإنسان ، هو التفكر بعظمة وكبرياء الله وأنّه منتقم وشديد العقاب وأشد المعاقبين وقاهر العباد بالموت ، وفي الآخرة بالعذاب كما ورد بيان ذلك في القرآن المجيد ، وفي الحقيقة كلما عرف الإنسان ربه أكثر كلما ازداد خوفه وخشيته منه ، إلى الحد الذي يصبح هذا العلم بالله لجام يكبح جماح صاحبه .

ورد عن منصور بن عمار أنّه قال : كنت في المسجد ، فرأيت شاباً يصلي ، وفهمتُ أنّه من أهل الخشية والخوف ، اقتربت منه وقلت : أيّها الشاب هل تعرف أنّ في جهنم وادي يقال له (لَظىٰ) وقرأت : ﴿ **كَلَّا إنّها لَظىٰ نَزّاعةً لِلشّوى** ﴾ . فصرخ الشاب وغاب عن الوعي ، وبعد أن عاد إليه وعيه قال : زدني . فقرأت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكُم وأهليكم ناراً وَقُودُها النّاسُ والحِجَارةُ عَليها مَلائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ** ﴾ ، فشهق الشاب ومات ، وبعد أن وُضع الشاب للغسل رأيت ، وقد كتب بقلم القدرة الإلٓهية وبخط أخضر على صدره ﴿ **فهو في عيشة راضيةٍ في جنة عالية** ﴾ .

بعد ذلك رأيت هذا الشاب في المنام فقلت له : أي درجة أعطاك الله ؟ فقال : أعطاني ربي درجة هي أعلى من الشهداء . فقلت وكيف ذلك ؟! فقال : إنّ الشهداء قتلوا بسيوف الكفار ، وأنا قتلتُ بسيف الملك الجبار . فإذا كان قليل من آيات القرآن الكريم تؤثر فينا بهذا الشكل فليكن ، فإن الله سيقذف الخوف والخشوع بواسطتها في قلوبنا ليخرج الشهوات وحب الدنيا من نفوسنا .

إنّ ميزان الخوف والخشوع هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وإن

المـطلعين على ذلـك يـدركـون أن الخـوف والخشـوع عنـد أهـل البيت عليهم السلام ، غير قابل للمقايسة مع الآخرين ، ولا أعـرف لماذا نحن غافلين بهذا الشكل ويقول الشيخ الشوشتـري : إنّ الشيطان همس في آذاننـا حتى أصبحنـا غـافلين إلى هـذه الـدرجـة . الخـوف صفـة الصـالحين ، والإيمان أنْ يجمـع الإنسان بين الخـوف والـرجـاء ، فكـل شخص تـراه يهرب من الـذنوب ، تعـرف أنّـه من أهـل الخـوف ، وكـل شخص تراهُ يقدم على عمل الخير بشوق ، تعرف أنه من أهل الرجاء .

إنّ هنـاك فـرق بين بـاعث الخـوف لـدينـا وبـاعث الخـوف لـدى الأئمة عليهم السلام ، إنّ باعث خوف الأئمـة هو خـوف المعصوم من أنْ يكون مهجوراً من قبل الله ، أو الخوف أنْ لا يصل إلى مقامه أو أنْ يُعزل عن مقـامه ، خـوفهم عليهم السـلام من العـدل الإلهي ، وخـوفهم أن لا يؤدوا حق الله في العبودية أو أن لا يؤدوا الشكر لله ، وباعث خـوفهم (ع) هو من إدراكهم لعظمة وجلالة وكبرياء الله .

قـال أنس (رض) : كنت أسيـر مـع رسـول الله (ص) في بعض طـرقات المـدينة ، وفجـأة تغيّر حـال رسول الله (ص) إلى درجـة كـاد أن يسقط إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : (اللّهُمّ لا تكلني إلى نفسي طَرْفة عينٍ أبـداً) ، ثم التفت إليّ وقال : إن يـونس (ع) أوكله الله إلى نفسه لحظة واحدة فوقع في البلاء العظيم .

ويجب أنْ نعلم أنّ المعصـومين وفي حـال ممـارستهم للمبـاحـات الضرورية يشعرون بالتقصير في أداء حق العبودية لله وفي أداء الشكر له ، ولهذا فهُمْ يضجّون إلى الله بالدعاء والمناجاة ، أمّا منشأ خوفنا نحن فمن الـذنوب الصغيـرة والكبيرة أنـا وأنت ، نسمع بالأشياء ولكن هم يـرونهـا عليهم السـلام ، يـسمعـون زفيـر جـهنـم في أصـول آذانِـهِمْ . قـال رسـول الله (ص) : عندمـا تزفـر جهنم زفرتهـا فلولا أمر الله لأهلكت كـل أهل المحشر .

وفي هذا الخصوص أحاديث كثيرة ، ولكن أذكر حديث واحد فقط وخلاصة مضمون هذا الحديث الشريف أنّه بعد أن نزلت الآية الشريفة ﴿ **وإنّ جَهَنّم لَموعِدُهُمْ أجْمَعِينَ لها سَبعةُ أبْوابٍ لِكُلّ بابٍ مِنْهُم جُزءٌ مقسومٌ** ﴾ ، تغيّر حال الرسول (ص) وبكىٰ بكاءً شديداً وبكىٰ أصحابه معه وهم لا يعلمون ماذا نزل على النبي (ص) ولم يستطع أحد أن يسأله (ص) عن سبب بكائه وتغيُّر حاله . قال سلمان الفارسي (رض) : ليس لدينا أيّة حيلة إلاّ أن تأتي فاطمة الزهراء (ع) . ثم ذهب سلمان على إثرِ فاطمة الزهراء (ع) وعرض عليها الأمر وطلب منها أن تأتي لترىٰ ماذا حصل لرسول الله (ص) ، إرتدت الزهراء (ع) رداءها وانطلقت مع سلمان . يقول سلمان : رأيت رداء الزهراء (ع) وقد رُقِعَ من عدة جوانب ، فبكىٰ سلمان وقال : بنات قيصر وكسرىٰ من السندس والحرير ولباس بنت سيد الأنبياء على هذا الحال ، وقد عرض حال الزهراء (ع) على رسول الله (ص) ، فقالت فاطمة (ع) : خمس سنوات ليس لدينا أنا وعلي (ع) إلاّ جلد شاة نضع فيه علف للجمل في النهار ، وفي الليل نفرشه وننام عليه ، أمّا المسند الذي نضع عليه رؤوسنا فمن ليف النخل بعد ذلك سألت الزهراء (ع) أباها عن الذي نزل به جبرائيل عليه السلام ؟ فقرأ رسول الله (ص) الآية : ﴿ **وإنّ جَهَنّم** . . . ﴾ الخ ، وعندما سمعت الصديقة الطاهرة (ع) هذه الآية سقطت لوجهها وصاحت (الويل ثم الويل لِمَنْ دَخَل النار) وكل واحد من الصحابة ندب ونادىٰ بالويل والثبور وعظائم الأمور من جملة هؤلاء أمير المؤمنين (ع) فقد وضع يده على رأسه الشريف وقال : (وابُعْدَ سَفَراه واقِلّة زاداه في سَفَرِ القيامة) إلى آخر كلماته (ع) في المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار .

وفي كتاب (كفاية الموحدين) نقل بعض الروايات بأن الطبقة العليا من جهنم عذابها أقل من الطبقات الستة الأخرى ، وهذه الطبقة من جهنم هي مكان المذنبين من أمة محمد (ص) ، بعد ذلك يصلح الله أمرهم وبشفاعة رسول الله (ص) يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة .

ومن أجل معرفة الروايات في هذا المقام يمكن مراجعة الكتاب المذكور .

﴿ إنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إنّهُ هُوَ البرُّ الرَّحيمُ ﴾ .

(دعاء استجداء وليس أمر)

هذه الآية هي إشارة إلى أحد المطالب المهمة الأخرىٰ ، فمن العلل والأسباب التي جعلتنا نصل إلى هذه المرتبة (لسان حال أهل الجنة) إننا كنا في دار الدنيا من أهل الدعاء . من هنا تظهر عظمة الدعاء .

الدعاء بمعنى طلب الشيء بخضوع وتواضع من الصغير إلى الكبير ، إذا أراد السيد (المولىٰ) من الغلام شيئاً يوجّه له أمراً بذلك ، وأمّا إذا طلب الغلام من المولىٰ شيئاً فأنّه يدعوه ولا يأمره ، الخلاصة أنّ الدعاء يعني طلب السافل (العبد) من العالي (الولي) الشيء بخضوع ومسكنة ، أما المعنىٰ العام للدعاء هو الاستجداء وإظهار العجز ، وكلما أراد أجراً وأجرة أكثر ، أظهر عجزاً أكثر في الدعاء .

وأظنك رأيت المتسولين وهم يسألون الناس في الشارع ، ولكن أحدهم يظهر عجزاً قليلاً والآخر يظهر عجزاً كبيراً ، ومن كان عجزه حقاً أكبر فإنه يصل إلى مقصوده بسرعة، مثلاً السائل (الفقير) الذي يكون في حالة تضرع وبكاء شديدين سوف يكون مورداً لترحم كل من عنده رحمة ، وهذا هو المعنىٰ الإصطلاحي للدعاء . وعندما نرى أنّ الله جعل الإنسان عاجزاً ولا حيلة له ، وأنّ طرق الحل قد أوصدت أمامه إلّا طريقاً واحداً وذات طرف واحد هو طريق الله ، وذلك لكي يدعو هذا الإنسان ربه متضرعاً ومتوسلاً .

إن لكل واحد من البشر مصيبة ، آتية لا محال ، حالاً أو مستقبلاً ، ولا يوجد إنسان بدون مصيبة وبلاء ، ولا يوجد قلب بدون غم

وهم في هذه الدنيا ، وهذا هو ما أراده الله ، حتى يدفع المحتاج لكي ينظر في كل طرفٍ وأن يسعىٰ في كل إتجاه ، لأن سبيل الحل لا يتضح إلاّ في آخر الطريق عندها يتوسل الإنسان ويقول ، يا خالقي يا صاحبي في شدتي .

والخلاصة إنّ البلاء والمصاعب وضغوط الحياة الدنيوية تجعل الإنسان مجبوراً على إصلاحِ نفسه ليجلب بذلك عناية الخالق تعالى به وهو يدعوه متضرعاً ، وأيضاً تصوره للمصاعب الكبيرة وعقبات البرزخ ويوم القيامة تدفعه إلى ذكر الله تعالى دائماً .

الإنسان عندما يرىٰ الآخرين يموتون بحالات مختلفة عندها يقول يا الله إرحم عن الموت ضعف بدني ، ويرىٰ أمواتاً يوارونهم الثرى ويرجع عنهم موكب المشيعين ويبقون وحدهم ، عندها يقول : إلٓهي ارحم وحدتي وحين يمرّ عليهم اسم الصراط واسم صحيفة الأعمال ويفكرون هل تعطى لهم باليمين أم بالشمال ، عندها يدركون مدى ضعفهم .

إذاً لا يوجد إنسان في الحياة بدون ألم ، وكلما ازداد الألم إزداد طلب الدواء ولكن أي دواء ؟ إنّ العجز والضعف والحاجة وعدم الحيلة هي الباعثة على الدعاء، وهذه كلها مقدمات ، فالله تعالى قادر أن يخلق كل البشر بحيث لا يكون فيه عاجزاً ولا ضعيف ، ولكن حكمته إقتضت ذلك ، وكلما إزدادت محبة الله تعالى لأحدٍ ، كلما إزداد ألمه ، وكلما أصبحِ مقرباً من الله أكثر ، كلما أزداد بلاءه .

قبل بضع سنوات وفي المسجد الجامع رأيت شخصاً قد جاء في غير وقت الصلاة ، ووقف بجانب أحد أعمدة المسجد وصلىٰ صلاة خضوع وخشوع وتعبّد لله ، ولكن بعد مدة رأيته في حالٍ غير الحال الذي رأيته عليه ، فعرفت أنّه كان حينئذٍ في مشكلة دنيوية كبيرة ، وعندما إرتفعت تلك المشكلة لم يعد بحاجة إلى العبادة والصلاة .

هنـاك روايـة في المجلد السـادس من كتـاب بحـار الأنـوار أنّ رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه ، كان ينزل عليه جبرائيـل (ع) في الليـل والنهار ويقـول له : الله عـز وجل يخصّـك السلام ويسـأل عن حالك ، وهو سبحانه أعلم بحالك ولكن لإكرامك وتقديرك يرسلني ليسأل عن حـالـك لكي تصبـح عيـادة المـريض سُنـة في أمتـك ، وكـان رسـول الله (ص) إذا توجـع يقول : أي جبـرائيل إنّي أتـوجـع ، فيقـول له جبرائيل (ع) : (إنّ الله لم يشدد عليك وما مِنْ أحدٍ مِنْ خَلْقِهِ أكْرم عليـه مِنـكَ لكِنّه أحَبّ أن يَسْمَـع صَوتـك ودعاك حتى تلقـاهِ مستوجبـاً للدرجـة والثـواب الذي أعـدّ لك والكـرامـة والفضيلة على الخلق) ، وإذا ارتـاح رسول الله (ص) يقول : أي جبرائيل إني مرتاح . فيقـول جبرائيـل (ع) : أحمد الله واشكره ، لأنّ الله يحب حمده وشكره حتى يزداد عطاءه لـك ، إلى آخر الحديث ، وفي كتاب عدة الـداعي حديث عن كشّـاف الحقائق عن جعفر بن محمد (ع) قال : « إنّ عند الله درجة ومنزلـة لا ينالهـا العبد إلاّ بـالدعـاء » ، وعن أبي عبد الله (ع) : « إنّ عنـد الله مَنْزِلـة لا تنال إلاّ بمسألةٍ » .

وفي الكافي عنه (ع) : « عليكم بالدعاء فإنّكم لا تقرّبون بمثلهِ ولا تتـركوا صغيـرةً لِصِغَرَهـا أنْ تدعـوا بها فـإنّ صاحب الصِّغـار هو صـاحب الكبار » .

إنّ مواجهة أي إنسان لرب العالمين لَهُوَ شأن كبير جداً ، مثلاً ، إذا أراد السلطان أن يتحـدث مع شخص معين ، نجـد هذا الشخص يفتخـر كثيـراً ويقول مثـلاً : إني تحدثت مـع السلطان ساعـة كاملة ، إنّ سعـادة البشر هي في الوقت الذي يواجهون به الله سبحـانه وتعـالى . الإمام زين العـابدين يخـاطب الله عـز وجـل بالقـول : (إنّ أكبـر نعمـة أنعمت بهـا عليّ ، هي توفيق الدعاء ولـو لم يوجـد إذن منك وأمـر ، فلا جـرأة لي أن أدعـوك وأقول : يـا الله) . إنّ الله يحب الدعـاء من العبـد كثيـراً ، وقـد

خاطب سبحانه موسى (ع) : « حتى لو أردت الملح مني ، فلا تجلس في البيت وتقول إلّهي إنزل علينا الملح ، ولكن عندما تسعىٰ لتحصيل الملح فاطلب المدد مني » . وموسى (ع) عندما آلمه أحد أسنانِه دعا الله فأوحىٰ إليه أن خذ من النبات الفلاني وتناول منه ، فشفي موسى (ع) ، ثم وَجِعَهُ أحد أضراسه (ع) مرة أخرىٰ فذهب في إثرِ هذا النبات وتناول منه ، ولكنه لم يُعطي أي أثر في هذه المرة ، فتساءل موسىٰ (ع) : لماذا لم يُعطِ النبات أيّ نتيجة هذه المرة ؟! فنزل الوحي يقول : في المرة الأولىٰ كنت ترجوني أنا الله ، أمّا الآن فأنت ترجو الشفاء والأثر من النبات ، حديث شريف آخر يقول : (لا يوجد عمل أحب عند الله من الدعاء ، إنّ الله يحب أنْ يرىٰ العبد يطلب منه ويقول (يا رب) ، فيجيبه لبيك عبدي . فإذا عَلِمَ الله أنّ من الصلاح قضاء حاجة العبد قضاها له ، وإذا لم ير صلاحاً في قضائها ، ابتلاه بالانتظار أو تُحفظ له ذخيرة في آخرته ، إنّ البلاء يدفع الخلق إلى ساحة الخالق تعالى وما أسعد الإنسان الذي يذكر الله دون أن ينتظر البلاء ليدفعه إلى ذكره تعالى . وما أسعد الإنسان الذي يستمر بعد الإستجابة له ولا يترك الدعاء أبداً . وقد وردت روايات كثيرة تقول : إذا حلّ بلاء عام ، مثل الوباء ، أو خاص ، مثل الفقر ، فإذا أردت أن تعرف أنّ البلاء يطول أو لا ، فانظر هل تعتريك حالة الإلتجاء إلى الله أم لا ؟ فإذا وجدت في نفسك حالة الإلتجاء إلى الله ، فإنّ البلاء يرفع عنك بسرعة ، وإذا لم تجد فاعلم أن البلاء سوف يطول .

الدعاء يوجب رفع الدرجات .

قال رسول الله (ص) : « يدخل الجنة رجُلان كانا يعملان عملاً واحداً في الدنيا فيرىٰ أحدهم صاحبه أعلا منه درجة ، فيقول : يا رب لما أعطيته هذا المقام وكان عملنا واحداً ، فيقول الله : هو سألني وأنت

لم تسألني »[1] .

وضمناً يجب الإلتفات إلى أن الدعاء لا يكون في حالة أمر بل إلتجاء وتضرّع . وبعضهم بدل الدعاء يصدر حكماً يقضي بتعيين المصلحة والصلاح لنفسه ، ويقول : يجب أن يكون هذا ويصبح ذاك ، وإذا لم يقع الشيء مطابقاً لرغبته وميله اعترض على ذلك ، فلا يجب أن يصدر منّا هكذا فعل ، وبعد الدعاء إذا قضيت حاجتك فاشكر الله عز وجل .

يقول الباقر (ع) : « بعض العباد ، عندما يطلب حاجته ، ويدعو الله ، يصل النداء إلى الملائكة : إنّ حاجة عبدي مقضية أمّا الآن فلا تعطىٰ له لأنّي أحب سماع تضرعه لي » ، مثل بعض المتسولين الذين يأتون إلى بيوت الناس ويشرعون بمدح أهل البيت عليهم السلام بصوت جميل (وهذا مُتبع عادةً في بعض البلاد الإسلامية) ولأنّ صاحب البيت يحب أصواتهم وهي تصدح بذكر آل الرسول (ص) ، فتراه يتأخر في قضاء حاجتهم .

أبخل وأعجز وأجفىٰ الناس .

ورد الحديث الشريف في عظمة شأن الدعاء عن الرسول الأكرم (ص) أنّه قال لأصحابه : أتريدون أن أخبركم عن أبخل الناس ، وأعجزهم وأجفىٰ الخلق وأكسلهم ، وأكثرهم سرقة ؟ قالوا : نعم . فقال (ص) : إنّ أبخل الناس ، هو الإنسان الذي يعيش بين المسملين ، ولا يسلّم عليهم ، إنّ السلام لا يعتبر شيئاً حتى يبخل به الإنسان على الآخرين ، فالسلام ثوابه مائة حسنة ، تسعون منها للذي يبدأ السلام وعشرة للذي يردّ السلام ، أضف إلى أنّ السلام ، يكون باعثاً للإتحاد والألفة والمودة .

---

(١) كتاب عدة الداعي صفحة ٢٤ .

أمّا أكسل الناس ، هو الإنسان الذي يكون عاطلاً عن العمل ، ولسانه غير مشغول بذكر الله ، وذكر الله لا يعتبر عملاً بحد ذاته .

وفي كتاب الكافي رواية تقول أنه مَنْ قال في اليوم مائة مرة (لا إلّه إلّا الله) فلا يوجد إنسان أكثر منه عملاً في ذلك اليوم ، أمّا أكثر منه كلاماً فيوجد .

وفي رواية عن رسول الله (ص) جاء فيها أمّا أجفىٰ الناس ، فهو الإنسان الذي يسمع باسمي ولا يصلي عليّ وفي الحقيقة أنّه لجفاء أن نسمع باسم محمد (ص) ذلك الرجل العظيم الذي أخرجنا من الضلالة ودلّنا سبيل الهداية والإيمان ولا نصلّي عليه ، أضف إلى أنّ الصلاة على محمد (ص) فيها الثواب الكثير كما ورد ذلك في الروايات .

أمّا أكثر الناس سرقة ، فهو الذي يسرق من صلاته فلا يؤدّي الركوع كاملاً ، ولا يراعي الطمأنينة والاستقرار في الأفعال والأقوال ، وقبل أن يهوي إلى السجود يبدأ بقراءة السجدة ، الصلاة هي أمانة الخالق عندنا فيجب أن نهتم بها كثيراً .

أمّا أعجز الناس (وهنا محل الشاهد) هو الإنسان العاجز عن الدعاء ، وغالباً ما يكون الإنسان في ضيق وشدة ولكن ليس عنده إلتجاء إلى الله ، مثل الميت الذي لا يتنفس ، مثل الإنسان الذي يرىٰ اللص وهو يسطو على بيت جاره ولا يصدر منه أي صوت تحذير .

أيّها الإنسان الجاهل لقد سرق الشيطان قلبك ، ردّد على الأقل كلمة (يا الله) ، أليس عندك استغاثة والتجاء إلى الله ؟ إن الإنسان الذي يفهم ألم قلبه إذا لم يدعو الله فماذا يكون ؟ حتى الطير إذا أصابه السهم يفزع ويتحرك ويتقلب !! ونحن قد أصابنا السهم ومن المحتمل أن يكون تضرعنا ، مورداً لقبول الله تعالى ، والمغفل من لا يتضرع إلى الله في مواقع الحاجة ، الإمام زين العابدين (ع) يتضرع ويقول : (وارفعني عن مصارع الذنوب) . وهناك روايات في باب الدعاء كثيرة .

مرجع الأمور إلى أربعة أشياء .

نـزل الـوحي على آدم أبـو البشـر (ع) : بـأنّ جميع المطالب والخيـرات في أربعة كلمـات ، فسـأل آدم (ع) مـا هي ؟ فقـال تعـالى : واحـدة ترجـع لي ، وواحدة تـرجع لـك ، وثـالثـة بينـك وبين النـاس ، والأخرىٰ بينك وبيني .

أمّـا الأولى التي تـرجـع لي ، فعليـك عبـادتي وأنْ لا تشـرك بي أحداً .

أمّا الثانية التي لك ، فإنّي أجازيـك بشيء تكون في أشـد الحاجـة إليه .

أمّا الثالثة التي بينك وبيني ، فعليك الدعاء ، ومني الإجابة .

أمّا الرابعـة التي بينك وبين النـاس ، هو أن تُحِب للنـاس ما تُحِبـه لنفسك .

إخلاء القلب من غير الله هو شرط الدعاء .

وأمّا شرط الدعاء ، إنّ من أهم شرائط إجابة الدعاء ، هو أن يكون الإنسان في موقع الدعاء في حال انقطاع كامل ، أن لا يكون قلبه مشغولاً بغير الله سبحانه ، ويُعتبر هذا أهم شرط في الدعاء . وهو قلّما يحصل ، بأن يرىٰ الإنسان الله حاضراً وغيره عاجز لا حـول له ولا قـوة ، فإذا كـان انقطاعه بهذا الشكل فأنّ دعاءه مستجاب ، لذا عنـدما طلب أحـدهم من الرسول (ص) أنْ يعلّمه اسم الله الأعظم ، فقـال له (ص) : أفـرغ قلبك من غير الله وقـل يا ألله .

أكل مال الحرام ، وآه المظلوم ، يمنعان استجابة الدعاء .

ومن شرائط إجابة الدعـاء ، هو عـدم تناول الـطعام الحـرام ، فإنّ لقمة واحدة من الحرام تكون سببـاً لمنع إستجـابة الـدعاء أربعين يـوماً ،

وكـذلك إذا ضـجّ الإنسـان إلى الله من ظلم أخيـه الإنسـان ، فـإنّ دعـاء الظالم غير مستجاب . إنّ آه . . . المظلوم قد تدفـع بالإنسـان إلى أسفل السافلين .

وهنـاك قصة ينقلهـا التاريـخ تقول : إنّ أحـد الفراعنـة قـام بقـطع الحلق من أُذنِ بنت من بنـات بني إسرائيـل حتى سـالت الـدمـاء منهـا ، فرفعت البنت رأسها إلى السمـاء وقالت : إلّهي إنّـك ترىٰ حـالي ، فمن أجـل هذه الـ (آه) فـإنّ الله أخَذَ قـوم فرعـون أخْذَ عـزيـز مقتـدر ، ولم يمهلهم بعد ذلك .

وذُكر عن حالة أحد سلاطين إيران أنّه في أحد الليالي لم يأته النوم فقـال لنفسه لعـل آه . . . مظلوم وراء عـدم نومي . فقـام وغيّـر مـلابسـه وخرج يتجوّل لعله يسمع آه مظلوم وبينما هو كذلك وداخل أحد المساجد سمع رجل يضـجّ إلى الله ويقول : إلّهي إنتقم لي من السلطان ، فـدخل إلى المسجـد وقـال : أنـا الملك فقـل لي أي ظلم وقـع عليـك ؟ فقـال الرجل : إنّ أحد قوادك من العسكر يأتي كل مساء ويعتـدي على زوجتي بالقوة ، فذهب الملك إلى بيت ذلك الرجل وأطفأ المصباح ثم قـام بقتل قائد العسكر الذي أخبره الرجل عنه وبعد أن أضاء المصباح سجد سجدة شكر لله ، فتعجب صاحب البيت وسأله لماذا أطفأتَ المصبـاح ومن أجلِ أيّ شيء سجـدت سجـدة شكـر لله ؟ فقـال الملك : إنّمـا أطفـأتُ المصبـاح ، لأنيّ قـررت أن أقتـل الجـاني حتى لـو كـان إبني ، وإنّمـا سجدت سجدة شكرٍ لله لأنّ الجاني لم يكن إبني .

حُسن الظّن بالله .

وأيضاً من الشروط الأخـرى للدعاء هـو حسن الظّن بـالله والإعتماد عليه تعالى ، وأن لا يعـتريه الشك ، بأنّ حـاجته مهمـا كانت كبيـرة فهي أمام قدرة الله لا شيء .

يقول الإمام الصادق (ع) : « عندما تدعو فتذكّر أنّ حاجتك عند باب الكريم » ، إنّ الدعاء له شروط كثيرة ولكن مقابل ذلك فأنّ الله يعدل السنن الإلّهية أي أن هناك أوقات معينة وحتى في عدم توفر شروط الدعاء فأنّ الدعاء يترك أثره . وأحد هذه الأوقات هو الثلث الأخير من الليل ، والآخر هو السدس الثاني من بعد نصف الليل ، وفي هذا الوقت إذا صلّيت وطلبت حاجتك ، فأنّها تستجاب . ومن هذه الأوقات ، هو وقت الزوال ، أي الظهر . وكذلك وقت غروب الشمس ، وخصوصاً ليلة الجمعة ، وآخر ساعة من يوم الجمعة ، فكل هذه الأوقات يكون الدعاء فيها مستجاباً .

وهناك رواية تنقل عن فضة خادمة الزهراء (ع) أنّها قالت : كانت سيدتي الزهراء في المحراب وقد أرسلتني أراقب غروب الشمس فأنّه كان أفضل الأوقات عندها للدعاء .

آداب ومقدمات الدعاء

إنّ رعاية الطهارة الظاهرية والباطنية أيضاً من آداب ومقدمات الدعاء . فالبدن واللباس يجب أن يكون في وقت الدعاء طاهراً ونظيفاً وأن يقوم الإنسان بالغُسل أو الوضوء (ومن الأغسال المستحبة هو غسل الحاجة) أما طهارة الباطن في موقع الدعاء فهي طهارة القلب ، مثلاً ، إذا كانت هناك ضغينة أو سوء ظن بمسلم يجب أن نخرج ذلك من القلب أو إذا إرتكب الإنسان ذنباً فيجب أن يتوب منه .

وفي الروايات عن نبي الله داود (ع) أنّه عندما كان يريد أن يذهب إلى الصحراء من أجل المناجاة كان يجري مقدمات قبل أسبوع من خروجه ، مثلاً كان يصوم سبعة أيام قبل ذهابه ، وإجمالاً إذا لم يحصل حضور للقلب ، فلا يتحقق هدف الدعاء ، ولأنّ الله ينظر إلى القلب فيجب أن نطهر هذا القلب ليُقْبِلَ بعدها على الله سبحانه .

يروىٰ عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : كان في بني إسرائيل رجلاً وهو يدعو الله ثلاث سنوات متواصلة من أجل أنْ يرزقه ولداً ولكن دعاؤه لم يستجب ، وبعد ثلاث سنين رجع إلى نفسه وقال : ثلاث سنين وأنا أدعو الله ولم يستجب لي ؟! وفي الليل رأى في عالم الرؤيا رجلاً يقول له : ثلاث سنين وأنت تدعو الله بلسانٍ بذيءٍ ، وقلبٍ عاتٍ غير نقيٍ ونيةٍ غير صادقةٍ ، فاقلِعْ عن بذاءتك ، ولتتّقِ الله في قلبكَ ، ففعل الرجل فولِدَ له غلام ، إن مؤلف كتاب عدة الداعي بعد نقل هذا الحديث أوضح أربعة شروط لإستجابة الدعاء :

أولاً : يجب تطهير اللسان من الذنوب . وثانياً : يجب أن لا تكون قساوة قلب عند الداعي . وثالثاً : حسن النية ، والمراد هنا ، هو حسن الظن بالله سبحانه وتعالى ، وأن دعاءه سوف يستجاب ، وإذا حصل تأخير في الإجابة فلمصلحةٍ ما . ورابعاً : التوبة من الذنوب ، يعني قبل الدعاء يجب أن يندم على كل ذنب أذنبه ويتوب منه .

من جملة آداب الدعاء إعطاء الصدقة . يعني قبل الدعاء يتصدق بأي مقدار من المال يستطيع دفعه فيتصدق به ، كما ورد في القرآن المجيد ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ومَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ ممّا آتاهُ الله** ﴾[1] . حتى أنّ الله أمر في الكتاب المجيد أنّه كلّ مَنْ ناجىٰ الرسول (ص) أي : قال : يا رسول الله (ص) يجب أن يدفع صدقة . والإنسان الوحيد الذي عمل بهذه الآية هو أمير المؤمنين (ع) بعد ذلك نسخت هذه الآية .

وأخيراً لأنّ الصدقة تُفرِحُ القلب فأنّ الله يُفرِح قلب معطي الصدقة وتَسِرُّ قلبه وأيضاً من المستحب قبل الدعاء استعمال العطر .

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .

عدم استعجال الإجابة

بعد الدعاء ، لا يجب استعجال الإجابة ، ولا تقول لماذا طال عليّ الأمد ، بل يجب عليك أن تنتظر الإجابة بكامل الصبر ، ولا يخيب ظنّك بالدعاء وعليك الإلتفات ، بأنّك في حضرة الله عز وجل ، تخاطبه فلا تستعجل الخطاب معه ، والصلاة أيضاً فلا تستعجل في أدائها .

وقد وردت رواية تقول : أنّه إذا قام الإنسان بعد الصلاة مباشرة ومن غير أن يدعو الله عز وجل ، يصل النداء القدسي : عبدي أليس عندك لي حاجة ، فيجب علينا بعد كل فريضة صلاة أنْ ننشغل بالدعاء وذكر الله وطلب الحاجة ، وخاصة من أجل زيادة الرزق .

يجب التصريح بالحاجة .

من الآداب الأخرى للدعاء هو التصريح بالحاجة . يعني الحاجة التي تريدها يجب عليك أن تسميها ، مثلاً ، إذا كنت مديوناً فيجب عليك أن تصرح بذلك بلسان عربي ، إذا كنت تعرف العربية ، أو بلسان أعجمي لا فرق ، فالمهم التصريح بالحاجة بأيُّ لسان كان ، لأنّ الله يحب أن يسمع عبده يصرّح بحاجته وبلسان المحتاج إليه تعالى .

يجب الإلحاح والجدية في الدعاء .

من الآداب الأخرى للدعاء هو الإلحاح . فهل رأيت إلحاح المتسولين في الشوارع ؟ فكل متسول يلح في السؤال أكثر ، تجده يجمع أكثر .

وهناك روايات كثيرة تقول : إنّ الله اختصّ نفسه بصفة واحدة ، وهي أنه خلق الخلق من أجل عبادته لا من أجل غيره ، فأحبّ أن يرى الإلحاح بالسؤال منهم .

إنّ الله يحب أن يرى العبد في بيته يتضرع ويلح بالسؤال لا في

بيت غيره من الناس . فعلى الإنسان من أجل حاجته أن يجلس في بيته يلح بالسؤال على الله وأن لا يتعب ولا يمل ، ويجلس بوقار وطمأنينة وكل هذا من آداب الدعاء .

يجب الدعاء للآخرين من المؤمنين .

ومن جملة آداب الدعاء هو الدعاء العمومي . مثلاً ، إذا كان مديوناً فلا يدعو الله من أجل إداء دينه فقط ، بل يدعوه من أجل إداء دين جميع المؤمنين . يعني بدل كلمة (أنا) يستعمل كلمة الجمع (نحن) . يقول المجلسي رحمة الله عليه : الأدعية مثل (اللّهم أهدني مِنْ عِندك) يجوز أن نقول (اللّهُم أهدنا . . .) .

فكل العباد هم عبيد لله ، فيجب أن نجعل لهم حصة في الدعاء عندما ندعو ، لعل الله سبحانه من أجل هؤلاء يقضي حاجتنا أيضاً .

من آداب الدعاء الأخرى ، هو الإعتماد على قدرة الله عز وجل ، يعني عندما تطلب حاجتك ، عليك أنْ تدرك أنّ حاجتك أمام قدرة الله لا تساوي شيئاً ، فهل أنّ حاجتك أعظم من إحياء الموتىٰ ؟ فعليك الإعتماد على قدرة الله والدعاء ، وكن على يقين بأنّه إذا كان هناك صلاح في قضاء حاجتك ، فسوف تقضىٰ بإذن الله تعالى .

من القصص العجيبة عن هؤلاء الأفراد الذين يموتون بالسكتة ثم يعود إليهم وعيهم وهم داخل قبورهم وذلك بالقدرة الإلّهية ، والكلام عن هؤلاء يطول ولكن نذكر منه نادرة .

كان في النجف شخص يدعى الشيخ محمد حسن قمشه اي . كانت قصته كهذا النوع من القصص ، فقد مات وهو شاب وكان وحيداً لأمه وليس عندها غيره . فذهبت الأم إلى سطح البيت ، وأخذت تدعو الله وتتضرع وتقول : إلّهي ليس عندي غير هذا الولد ، وقد سلبته مني فأسألك أن تردّه لي ، وكانت على قدر كبير من التضرع والالتجاء

والالحاح على الله بالسؤال ، حتى عاد ولدها إلى الحياة مرة أخرىٰ .

فقضاء مثل هذه الحاجات بالنسبة لله ليس بالمهم والصعب ، كمثل إنسان يذهب إلى بيت حاتم الطائي ويطلب منه قليلاً من الدراهم ، أو إنسان يذهب إلى كريم في وسط البحر يطلب منه جرعة ماء .

والخلاصة إنّ أهل الدعاء يجب عليهم الإعتماد على قدرة الحق تبارك وتعالى وأنّه إنْ أراد شيئاً فيمكن أن يتحقق في أسرع وقت ، ولمحة بصر . فالفقير يصبح غنياً ، والضعيف يصبح قوياً . وكذلك بالنسبة إلى حاجات الآخرة ، فقد تتلوث النفس الإنسانية بالمعاصي والذنوب ويسودّ القلب ويقسو ، فإذا مات مثل هذا الإنسان أو أصبح على وشك منه فإن الله في طرفة عين يبدل القلب الأسْوَد إلى أبيض ويحيي قلب ذلك الميت ، فلا يجب أن نضع تلك الأمور الصغيرة أمام عظمة الخالق عز وجل .

وفي كتاب سفينة البحار عن الإمام الصادق (ع) قال : إن نبي الله يونس (ع) وبسبب تركه الأُولى أصبح سجيناً في بطن الحوت وسار به الحوت حتى وصل إلى المكان الذي فيه قارون ، فسمع قارون صوت غريب في ذلك المكان ، فسأل المَلَك الموكل به ، ما هذا الصوت الذي أسمع ؟ فأجابه الملك : إنّه صوت نبي الله يونس (ع) وهو سجين في بطن الحوت . فقال للمَلَك هل تسمح لي بأن أكلّمه ؟ فأجازهُ المَلَك في ذلك . فسأل قارون يونس (ع) : ما هي حال هارون يا نبي الله ؟ فقال (ع) لقد رحل عن هذه الدنيا . فسأل هارون ثانية ، ما هي حال موسى يا نبي الله ؟ فقال (ع) هو أيضاً قد مات . فبكى قارون بكاءً شديداً من أجل الإثنين ، فأوحى الله إلى ذلك المَلَك ، أنْ خفّف العذاب على قارون لأنّه ترحّم على أقاربه .

وفي رواية أخرى أنّ قارون قال ليونس (ع) : إنّ توبتي على يد

موسى (ع) وقد رجعت له ولكني لم أوفق ، فأسألك إنْ رجعت إلى الله وتبت من ذنبك فاذكرني عند ربك .

وكلام قارون يرجع إلى قصته مع نبي الله موسى (ع) لأنّ ذنبه كان مخالفة موسى (ع) وإتهامه بمختلف التهم لذلك كانت توبته منحصرة بتحقق رضا موسى (ع) عنه ، ولكن ذنب يونس (ع) هو عدم رضايته على القضاء الإلّهي والبلاء النازل على قومه ، فأوكله الله إلى نفسه طرفة عين فنزل به البلاء .

والعبرة من نقل هذه الروايات هو بيان حسن الظن بالله تعالى ، ويجب على العبد وفي كل وقت ، أن لا ييأس من رحمة الله ، وأنْ يدرك أنّ اليأس من رحمة الله ، يعتبر من الذنوب الكبيرة القريبة إلى الكفر فعلى العبد أن تكون ثقته بالله كبيرة . وخلاصة القول يجب على العبد أثناء الدعاء أن يكون مطمئناً من أنّ الله سوف يستجيب لدعاءه .

فلا يوجد أسوأ من فرعون الذي ادعىٰ الربوبية ، ومع ذلك فإنّ الله استجاب دعاءه عندما غرق هو وجنوده في البحر وهو يتعقب موسى (ع) .

في بحار الأنوار المجلد الخامس رواية تقول : أنه بعد دعوة فرعون ربه انحسر الماء من النيل حتى خرج هو وجنوده . لهذا قال المصريون إن انحسار الماء لفرعون هو بسبب ربوبيته ! بعد أن خرج فرعون وجنوده من الماء إنفرد فرعون بنفسه وسار حتى وصل إلى مكان لا يراه فيه أحد ، ثم سقط إلى الأرض وهو يتضرع إلى الله ويقول : إلّهي إنّي أعلم بأني أقول الكذب ، أنا لا أريد الآخرة منك ولكني أريد الرياسة في الدنيا ، فأسألك أنْ تجري الماء الذي انحسر في النيل ، وما أن انتهى فرعون من دعائه حتى عاد النيل جارياً ، فلا يقولن أحد إنّ إجابة دعاء فرعون كان السبب في ضلال الناس ، فكل عاقل يفهم أنّ فرعون بشر ، ومخلوق عاجز مثل غيره . ولكن إجابة دعاء فرعون كانت فتنة وامتحان للمصريين آنذاك .

دعاء الجماعة مستجاب .

من الآداب الأخرى للدعاء ، هو الدعاء بشكل جماعي ، فلا يمكن لأربعين نفر من الناس أن يدعوا الله ولا يستجاب دعاؤهم . وكلما كانت المجموعة أكبر كلما كان تأثير الدعاء أكثر في الوقت الذي يكون فيه أربعين قلباً طاهراً يقول يا الله فكيف لا يستجاب لهم الدعاء ؟ في قضية المباهلة لم يأت الرسول (ص) لوحده ، بل جاء مع علي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين ، إنّ الله يحب دعاء العباد مجتمعين .

الإمام الصادق (ع) يقول : كان أبي باقر العلوم (ع) كلما أهمته حاجة جمع كل أهل بيته حتى العبيد والإماء فيقول لهم أني سوف أدعو وأنتم أمّنوا على دعائي (أي قولوا آمين) . والخلاصة أنّ الدعاء بصورة مجتمعة أحبّ إلى الله سواء قرأ الجميع مع بعضهم البعض ، أو قرأ أحدهم ، وأمّنَ الباقين .

كان الإمام السجاد (ع) في آخر يوم من شهر رمضان يجمع العبيد والإماء ويجلس في وسطهم ويقول ادعوا لي واطلبوا من الله أن يعفو عني ويغفر لي .

وهناك رواية تقول : إذا لم يتوفر جمع الأربعين نفراً من أجل الدعاء فيكفي عشرة ويقرأ كل واحد أربعة مرات وإذا لم يتوفر العشرة فيكفي أربعة ويقرأ كل واحدٍ عشرة مرات ، وإذا لم يكن إلّا شخصاً واحداً فعليه أن يقرأ أربعين مرة .

الحمد والثناء على الله قبل الدعاء .

من جملة الآداب وشرائط الدعاء هو الابتداء بالحمد والثناء على الله . مثلاً ، عند قراءة فقرة أو عدة فقرات من دعاء الجوشن أو الدعاء المأثور عن الإمام أمير المؤمنين (ع) : (يا مَنْ هو أقْربُ إليّ مِنْ حَبْلِ

الوريد يا مَنْ يَحُولَ بين المرء وقلبه يا مَنْ هو بالمنظر الأعلى يا مَنْ ليس كمثله شيء) وبعد الحمد والثناء على الله يشرع بالإقرار بالذنوب والإستغفار وتعداد نِعَمْ الله عليه . ففي دعاءْ عرفة يتذكر الإمام الحسين (ع) نِعَم الله عليه ويعددها ويقول : « إلٓهي أنت الذي أخرجتني من بطن أمي صغيراً ، وأنعمت عليّ كبيراً وكسوتني اللباس من نعمتك » . وفي دعاء أبو حمزة الثمالي يقول السجاد (ع) : (سيدي أنا الصّغير الذي ربّيته ، وأنا الجاهل الذي علّمته ، وأنا الضّال الذي هديته ، وأنا الوضيع الذي علّمته) .

سئل الإمام الصادق (ع) أنّ الرجل منّا يدعو ولا يستجاب له دعاء ؟ فأجاب الإمام (ع) : لأنه لم يأت بشرائط الدعاء .

من آداب وشرائط الدعاء الأخرى هو الصلاة على محمد (ص) وآله ، أولاً لأن محمد (ص) وآله عليهم السلام لهم حق علينا ، وثانياً بوسيلة وواسطة شأنهم عند الله يصبح الإنسان ذو شأن ومنزلة .

زُليخا تصبح مقربة بوسيلة حب محمد (ص)

روي عن الإمام الصادق (ع) قال : إنّ يوسف (ع) بعد أنْ اعتلىٰ عرش السلطنة في مصر طلبت زليخا بعد أن ـ أصبحت عجوز كبيرة عاجزة وقد فقدت أموالها ـ طلبت من رجلٍ أنْ اذهب إلى يوسف وقل له زليخا تريد مقابلتك . امتنع الرجل وقال لها : أوَعندك جرأة مع كل الأعمال التي عملتها أن تطلبي مقابلة يوسف (ع) ؟! فقالت زليخا : إنّ يوسف ليس من أهل الدنيا وهو يخاف الله وسيشفق على حالي .

إقتنع الرجل وذهب وأخبر يوسف (ع) إنّ زليخا تريد مقابلتك ، فأذن لها يوسف (ع) بالدخول . عندما رأت زليخا يوسف (ع) قالت : الشكر لله الذي رفعك إلى هذا المقام ، لأنّك أطعته وعزل عزيز مصر . فذكّر يوسف (ع) زليخا بما عَمِلته معه وما الذي دفعها إلى ذلك.؟

فأجابت زليخا : حُسْن وجْهِك هو الذي دفعني إلى ذلك . فقال يوسف (ع) لو كنت ترين جمال نبي آخر الزمان ، والذي هو ظاهراً وباطناً أجمل مني فماذا كنت تفعلين ؟ قالت زليخا : صدقت . فقال يوسف (ع) : كيف عرفتي ؟ فأجابت زليخا : لأني عندما سمعتك وأنت تخبرني عنه ، دخلت محبته في قلبي ، نزل جبرائيل على الفور على يوسف (ع) وقال : إنّ الله عز وجل يحب زليخا لأنّها تحب محمد (ص) ، وبعد أنْ وصل النداء إلى يوسف (ع) يأمره بالزواج من زليخا ، تزوج منها (ع) ، وأجاب دعوة الله عز وجل .

سلمان الفارسي والحاجات الثلاث .

قال سلمان الفارسي : إذا كان لأحدكم عند السلطان حاجة أو عمل فليكلف أحد أقاربه بالرجوع إليه ليقضي له حاجته . وهنا يقول سلمان : لا يوجد عن الله من هو أشرف من خاتم الأنبياء محمد (ص) ، فبِهِ وبأهله التجؤا إلى الله ، لكي تقضىٰ حاجاتكم . فقال بعض المنافقين لسلمان : إذا كان ما تقوله حقاً ، فاطلب من الله أن يجعلك أغنىٰ الناس . فقال سلمان : إنّي طلبت من الله أن يحقق لي ثلاثة أشياء : الأول : أن يجعل لساني بذكره مشغولاً . والثاني : أن يجعل قلبي له خاشعاً .

والثالث : أن يجعلني صابراً على ما ينزل ببدني من بلاء الدنيا وشدائدها ، وقد حقق الله لي ذلك ، وهي عندي أفضل من ملك الدنيا بمائة ألف مرة ، فالخلاصة وكما قلنا أنّ من شرائط الدعاء هو الصلاة على محمد (ص) وآله ، والدعاء الذي في أوله وآخره الصلاة على محمد (ص) وآله فهو مقبول عند الله .

يُذكر في كتب الحديث إنّه : من ليل الخميس وحتى عصر الجمعة تنزل الملائكة إلى الأرض لتُسجِلَ صلاة كل من يصلي على محمد (ص) وآله .

قال رجل للإمام الصادق (ع) : عندما ذهبت إلى بيت الله من أجل الحج لم أتذكّر أي دعاء ما عدا الصلاة على محمد (ص) وآله عليهم السلام ، فقال (ع) : لم يخرج أحد من الحج أفضل منك ثواباً وحسنات ، أي أن الصلاة على محمد (ص) وآله عليهم السلام أفضل من كل دعاء ، فكل إنسان يرتبط بمحمد (ص) برابطة المحبة ، لا تنفك هذه الرابطة عنه حتى لو دخل إلى جهنم ، وستكون هي سبب نجاته من النار .

الخشوع ، وإقبال القلب إلىٰ الله من شرائط الدعاء .

من آداب وشرائط الدعاء الأخرى خشوع القلب وإنكساره لله ، فإذا خشع القلب لله استجيب الدعاء . حتى قيل : إذهب إلى مقابر المسلمين وتكلم مع الموتى لعلك تتأثر وتتغير حالك ، وكذلك إقبال القلب فأنّه من الشرائط المهمة جداً للدعاء . ومعنى إقبال القلب أنّ الإنسان إذا أراد أنْ يطلب شيئاً من الله فليطلبه بقلبه لا فقط بلسانه ، لأنّ اللسان ترجمان القلب .

وكذلك في الدعاء يجب أن ينطق القلب بالحاجة مثلاً ، الإنسان إذا كان بيته وحياته معرضة لخطر السيل فكيف يستغيث أو أنّ إنساناً يركب سفينة ، وتتعرض للطوفان في عرض البحر فكيف يدعو الله ويستغيث به ، وكذلك الإنسان عندما يفكر بالموت وسكرات الموت فإنه سوف يدعو الله من صميم قلبه .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « لا يَقْبَلُ الله عز وجل دعاء قَلْبٍ لاهٍ » . وحديث آخر عن عيسىٰ (ع) عندما وصله النداء يقول له : « إدعوني بتضرع وبكاء » ، وفي كتاب الكافي حديث عن أمير المؤمنين (ع) يقول : « إذا دعا أحدكم للميت فلا يدعو له وقَلْبُهُ لاهٍ ولكن ليجتهد في الدعاء » . مثلاً ، المجاملات المتعارفة بين الناس في مجالس الفاتحة ،

لا تعود على الميت بأي أثـر أو نتيجة . المـرحوم المجلسي يقـول : لأنّ هذه المجاملات المتداولة بين الناس خالية من الـروحانيـة ، لذلـك يقول الإمام (ع) : مثل هذه المجامـلات لا تعود على الميت ، بـأي أثر . نعم إذا جلس الإنسان في مجالس الفاتحة هذه وحصر فكره بالميت وفكّر بأنه الآن في البرزخ ، وأخذ يـدعو لـه من صميم قلبه بـالفرج وأن يخفف الله عنه مع استحضار لشروط الـدعاء ، فـإنّ الله سوف يفـرج عن هذا الميت برحمته .

الرسول (ص) ودعاء المطر .

في كتـاب الكـافي ينقـل قصـة وهي أنــه في زمن خـاتم الأنبيــاء محمـد (ص) تأخّـر نزول المـطر ، فجاء أصحـاب رسول الله (ص) إليـه وطلبوا منه بأن يدعو الله تعالى بـأن ينزل المـطر . فدعـا رسول الله (ص) ولكن لم يستجب الدعاء ولم ينزل المطر ، فدعا (ص) ثـانية والتجـأ إلى الله ، فـظهـرت الغيـوم في السمـاء ، ونــزل المـطر ، فســأل أصحـاب رسـول الله (ص) ما هي العلة من عـدم نزول المـطر في المـرة الأولى ، ونـزوله في المـرة الثـانيـة ؟ فـأجـاب (ص) : بـأنّي في المـرة الأولى لم أستحضـر النية في الـدعـاء وفي المـرة الثـانيـة دعـوت بنيـة خـالصـة لله فاستجاب دعائي .

أي أنه (ص) في المرة الأولى دعـا الله نتيجة لـرجاء أصحـابه دون جدية في الـدعاء ولكنـه في المرة الثـانية تـوجّه إلى الله بقلبـه فاستجـاب دعاءه .

كـذلك المؤمن يجب أن يكـون دعاؤه من صميم قلبـه حتى يكـون مورداً للإجابة . لذلك نجد أنّ أغلب الأدعية لا تستجاب لأن الدعـاء غير نـابع من القلب . والنتيجـة على الدُّعـاة أن لا ينسـوا حضـور القلب في الدعاء ، حتى لو أراد الإنسان أن يقول (يا الله) فقط . إنّ ركعتين صلاة

بتدبر أفضل من قضاء الليل حتى الصبح بالصلاة دون حضور القلب .

إنّ قصة أمّ داود مع الإمام الصادق (ع) معروفة . فقد جاءت أم داود إلى الإمام الصادق (ع) وسألته الوسيلة في إطلاق سراح ولدها من سجن المنصور الدوانيقي (وابن أم داود كان من السادات الحسنيين وهو أخو الإمام بالرضاعة) فقال لها الإمام (ع) ومن أجل إطلاق سراح ولدك عليك بصيام الأيام البيض من شهر رجب ، فإذا بلغتِ اليوم الخامس عشر منه فاختلي بنفسك (من الخلوة) في مكان ، وبعد أداء صلاة الظهر ، والعصر ، ونوافلهما ، إقرئي مائة مرة (سورة الحمد) وعشرة مرات آية الكرسي ، وبعض سورة من القرآن (عيّنها الإمام) ثم قراءة الدعاء الخاص باليوم الخامس عشر من رجب .

وأعمال أم داود في النصف من الرجب مشهورة ومجربة في سرعة الإجابة وفي كتاب مفاتيح الجنان وغيره من الكتب ورد تفصيل أعمال أم داود ، والخلاصة أنّ أم داود عملت بإرشادات الإمام وكان أن أطلق سراح ولدها في نفس الليلة وجاءها على جمل سريع .

كل شيء يبتغيه الإنسان من الله يجب أن يكون فيه حضور للقلب حتى كلمة (سبحان الله) مع حضور للقلب أفضل من ألفٍ من الأذكار دون حضور القلب .

تقديم الآخرين على نفسه بالدعاء .

من الأمور التي تكون سبباً لإجابة الدعاء ، هو تقديم الإنسان لحاجات أخوته في الدين على نفسه في الدعاء . يقول أحد المعصومين عليهم السلام : إذا علمت أنّ أحد المؤمنين يتألم كما تتألم فحقٌ عليك أن تدعو له وتقدّمه على نفسك وهذا من باب العلاقة والمحبة الإيمانية ، إلى الدرجة التي يصبح فيها ألم المؤمن ، هو

ألمك ، وراحته ، هي راحتك ، بل أكثر ، وإذا تحقق هذا الشعور تجاه أخيك فإنّ الله سيقضي لك حاجاتك .

وفي كتاب عدة الداعي[1] نقل عن علي بن إبراهيم عن أبيه أنّه قال : رأيت عبد الله بن جندب في عرفات يوم عرفة واقفاً حتى الغروب ، وقد رفع يديه إلى السماء ودموعه جارية ، فاقتربت منه وقلت : لم أرَ أحسن منك اليوم في عرفات ، فأجاب : أقسم بالله لم أكن أدعو لنفسي ولكن لإخواني ، فقد سمعت سيدي موسى بن جعفر (ع) يقول : إذا دعا أحدكم لأخيه في الدين ، يصل النداء إلى العرش : ولك مائة ألف ضعف مما تطلب لأخيك ، فليس من العدل أن أترك مائة ألف ضعف ، من أجل دعاء واحد ، لا أعلم ، هل هو مستجاب أم لا ؟ أي لو دعوت لنفسي ، فهو دعاء واحد ومشكوك ولا أعلم هل هو مستجاب أم لا ، ولكن لأنّي التجأت إلى الله ، ودعوت لأخي ، فإنّ لي مائة ألف ضعف ، ودعائي مستجاب ، لأنّ المَلَك يدعو معي ودعاء المَلَك مستجاب .

ويستفاد من الروايات ، أن الدعاء للأخ المؤمن يُعطىٰ للداعي مثله ، مثلما يعطىٰ للمؤمن . وحيناً يعطىٰ ضعفين ، وأحياناً يعطىٰ أكثر من ذلك إلى مائة ألف ضعف، وهذا الإختلاف ، نابع من التفاوت ، في الضعف وقوة الإيمان والمحبة القلبية للدعاة ، ولأنّ عبد الله بن جندب ، من كبار أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم ، عليهما السلام ، وله من جلالة القدر والمقام الكبير في محبة الله ، فله مائة ألف ضعف .

ويروىٰ عن زيد أنه قال : كنت مع معاوية بن وهب في عرفات ، وكان مشغولاً بالدعاء وكنت أسمع دعاءه ، فلم يدعو بشيء لنفسه وإنّما كان يذكر المؤمنين ، وآباءهم ويدعو لهم . فسألته لماذا لم تدعو

---

(١) كتاب عدة الداعي ، لإبن فهد الحلي .

لنفسك ؟ قال : سمعت سيدي الصادق (ع) يقول : « كل مؤمن يدعو لأخيه في غيابه ، يناديه مَلَك من السماء الأولى يقول : لك مائة ألف ضعف ، ويناديه مَلَك من السماء الثانية ، ويقول : لك مائتا ألف ضعف ، ومَلَك من السماء الثالثة يقول : لك ثلاثمائة ألف ضعف ، إلى أن قال ومَلَك من السماء السابعة يقول : ولك سبعمائة ألف ضعف ، بعد ذلك يقول الله تعالى : ولك ألف ألف ضعف) . فهنيئاً للدعاة الذين يتجاوز دعاؤهم حتى السماء السابعة .

بحث حول البداء .

وفي خاتمة البحث عن الدعاء ، هناك جواب عن شبهة حول الدعاء ، وفحوى هذه الشبهة والإشكال ، هو أن الإنسان كل ما يريده ويحبه ، فإنّ الله يعطيه سواء دعا الله أم لم يدعو . وبعبارة أخرى فإنّ المقدّر لا يتغيّر ، أي ليس للدعاء أيّ أثر أو خاصيّة معينة ، لتحقق الأشياء .

والجواب عن هذه الشبهة هو أولاً : أنّ جميع المقدرات ليست حتمية ، بل بعضها معلق ، ومتوقف على الدعاء والصدقة ، وبوسيلة الدعاء والصدقة تتحقق ، أو بلاء واقع يرفع بالدعاء والصدقة . وبعبارة أخرى بعد الدعاء والصدقة تتحقق المصلحة العامة أو الخاصة . مثل قوم يونس (ع) والذي كاد البلاء أنْ يقع عليهم ، ولكن بسبب تضرع ودعاء وتوبة هؤلاء رُفع البلاء عنهم ، وهذه هي مسألة (البداء) والإعتقاد بها واجب ، وهو من خواص مذهب الإمامية . وقد أكّد الأئمة عليهم السلام كثيراً على الإعتقاد به ، كما أنّ العلم والإعتقاد به له فوائد عظيمة وسوف أشرح مختصراً عن حقيقة البداء ليستفاد منه عموم المؤمنين .

البداء هو عبارة عن التغيير في الأمور التكوينية والمصيرية المثبّتة (المكتوبة في اللوح المحفوظ) والحالات البشرية ، مثل البلاء بعد

العـافية ، والعـافية بعـد البلاء ، والصحـة بعد المـرض ، والمرض بعـد الصحـة ، والغنىٰ بعد الفقـر ، والفقر بعـد الغنىٰ ، واليسر بعـد العسر ، والعسـر بعـد اليسـر ، وطـول العمـر وقصـره . يعني : تقـديم الأجـل وتأخيره . مثلاً ، شخص يسقط من مكان مرتفع ، إلى الأرض ، فحسب القاعدة يجب أن يموت مثل هذا الشخص ، ولكن بما أنّـه قام قبـل ذلك بصلة رحمه أو دفع صدقة لم يمت وتأخّر أجله . وبالعكس ، شخص في تمـام الصحة والعـافية ، ولكن نتيجـة لقـطع رحمـه ، أو بعض الـذنـوب الكبيرة ، نجده يموت فجأة ، وحسب القاعدة والقانون الـطبيعي لا يجب أن يموت مثل هـذا الإنسان . فهـذه التغيرات في القـانون الإلٓهي هـو ما يسمىٰ بالبداء أي بمعنى الظهور أي إن الله تعـالى يظهـر أشياء وأمـورٌ لم تخـطر على بال أحـد . مثلاً ، إنسـان يصـاب بمـرض عضـال بحيث لا يحتمل الأطباء له أي شفاءً ، ولكن بوسيلة الصدقة أو الدعاء ، يعافيه الله أي بدا وظهر نتيجة الصدقة أو الدعاء ، بأن يعـافى ذلك المـريض . وهو عبـارة عن تغيير في القـانـون الـطبيعي من إحتمـال الأطبـاء بعـدم شفـاء المـريض إلى شفـائـه التـام ﴿ **يَمْحُـو الله مـا يشـاء ويثبت ، وعنـده أم الكتاب** ﴾ .

إنّ سر وجوب الإعتقاد بالبداء والأجر ، والفوائد العـظيمة المتـرتبة عليه ، هو أنّ الإعتقاد بالبـداء وسيلة لإيجاد حـالة الخـوف والرجـاء التي هي من لوازم التوحيـد والإيمان ، فـالمؤمن الذي يكـون في حال النعمـة والعـافية يخـاف من إرتكـاب أيّ ذنب أو معصيـة ، أي يخـاف من هـذا الذنب وتلك المعصية ، من أن تكون سبباً للبداء ، أي يبدو لله أن يسلب منه النعمة والعافية . وأذا كان في حال البـلاء والضيق والشدة فهـو يأمـل من الله ويرجوه أن يكون حالـه هذا سببـاً للبداء ، وبـوسيلة دفع الصـدقة والدعاء يرتفع عنه البلاء . فإذا تجذّر هـذا الإعتقاد لـدىٰ المؤمن فهو من صلب التوحيد والإيمان .

وفي كتاب أصول الكافي يروىٰ عن الإمـام الصادق (ع) أنّـه قال :

(لو عَلِمَ الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فَتَروا عن الكلام فيه) وفي حديث آخر يقول (ع) : (ما عُبِدَ الله بشيء مثل البداء) . إنّ أكثر مصالح العباد ومراتب عبادة الخالق سبحانه هي في الإعتقاد بالبداء ، وإذا لم يكن هناك إعتقاد بالبداء تحصل حالات ترك للدعاء ، والصدقة ، وسائر الأعمال الخيرية ، ويحرم الإنسان من السعادة واللذّة العظيمة التي هي في الإعتقاد بالبداء . أضِفْ إلى أنّ حالة الخوف والرجاء التي هي من اللوازم القطعية للإيمان والتوحيد تنعدم في نفس الإنسان ويبقىٰ إيمانه ناقصاً ،وإنّ إنكار البداء والقول بأنّ كل شيء مقدّر هو واقع لا محالة ، يشكل خللا في توحيد الله ، ونقصاً في الإيمان ، كما يعتبر إنكاراً لآيات القرآن المجيد والروايات المتواترة . ويستفاد من الآيات والروايات ، أنّ الأمور المقدّرة تقع على قسمين : حتميّة وغير حتميّة ، أي معلّقة . مثلاً ، في باب الآجال نقول كل فرد له نوعين من الأجل :

الأول : أجل حتمي ، أي إذا بَلَغ الإنسان حداً من العمر فأنه لا يستطيع تجاوزه ، وبأي وسيلة لا يمكن دفع أو تأخير الموت عنه .

الثاني : أجل غير حتمي (أي معلّق) وهو أن تقع حوادث قبل الوصول إلى الأجل الحتمي ، يمكن أن تكون سبباً لموته ، لكن بوسيلة الدعاء ، والصدقة ، وصلة الرحم ، وسائر الأعمال الصالحة ، يتأخّر موته ، وينجو من تلك الحوادث . فبهذه الوسائل المذكورة ، الدعاء ، والصدقة وغيرها يؤخر الله موته ، حتى يصل إلى أجله الحتمي ، ويموت . وبالعكس فترك الدعاء ، والبخل في الإنفاق ، وقطع الرحم ، وسائر الذنوب تعجّل بموته ، ويدرك أجله المعلق (غير الحتمي) .

بعد هذا البيان ، يصبح من المعلوم ، أنّ أجل الإنسان طال أم قَصُرَ ، فهو بيد الإنسان نفسه ، فالإنسان بوسيلة الطاعات ، وأعمال الخير يمكن أن يطول عمره ، وبسبب المعاصي ، والذنوب يمكن أن يقْصُر .

وفي بحـار الأنوار يـروى عن أمير المؤمنين (ع) أنّـه قال : « مـوت الإنسان بالذنوب ، أكثر من موته بالأجل ، وحياته بالبـر ، أكثر من حيـاته بـالعمر » . مثـلاً ، أحد الـذنوب هـو الإسراف في الأكـل حسب الكمية والكيفية . فكثير من الأشخـاص ، وبسبب هذه الخصلة يصـاب بمرضٍ مـزمن يقصّر في عمـره ، ويموت قبـل أن يصل إلى أجله الحتمي . ومـا يصحّ على الأجل ، يصـحّ أيضاً على الصحـة ، والمرض والفقـر والغنىٰ والعـزة والذّلـة وغير ذلـك . فكل هـذه الأمـور والتغيـرات والتحـولات ، والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير في حياة الإنسان كله بيد الله . ولكن أسبابها تعـود بالأصـل إلى السلوك العام لـلإنسان في الحيـاة ، وما يتعلق بالحياة الدنيا يتعلق أيضاً بالآخرة . فالإنسان الذي يموت ، وهو من أهـل الخير والعاقبة الحسنة يصبح من الناجينَ ويصل إلى المقامات والدرجات العليا ويفوز بسعادة الدنيا والآخرة . وبالعكس ، الإنســان الذي يعـرض عن ذكر الله ، ويستغرق بالمعاصي ، والذنوب ، ويموت ولا إيمان لـه ، فقد خسر سعادة وخير الدنيا والآخرة .

جـاء في كتـاب أصـول الكـافي ، بـاب الـدعـاء ، عن الإمـام السجـاد (ع) : « الدعـاء يدفـع البلاء النـازل ، ومـا لم ينـزل » . وبهـذا المضمـون ورد ثمـانيـة أحـاديث . وأيضـاً عن الإمـام الصـادق (ع) قـال لميسر بن عبد العزيز : (ادعُ ، ولا تَقُـل أنّ الأمر قـد فُرِغَ منـه ، إنّ عند الله منزلة لا تنـالُ إلاّ بمسئلةٍ ، ولو أنّ عبـداً سدَّ فـاهُ ، ولم يسأل لم يُعطَ شيئاً ، يا ميسّـرُ ، ليسَ من بابٍ يُقـرَعُ إلاّ ويُفتَح لصـاحبه) . وأيضـاً في كتـاب الكـافي ، بـاب المعـارين ، حـديث عن الإمـام الصـادق (ع) : « ومِنْهُمْ مَنْ أُعير الإيمان عاريةً ، فـإذا هو دعـا ، وألَحّ في الـدعاء مـات على الإيمان » .

وعن الإمام موسىٰ بن جعفر (ع) قال : كان في بني إسرائيـل رجل صـالـح وعنـده زوجـة صـالحـة ، رأىٰ في أحـد الليـالي في المنـام من يخاطبه ، ويقول له : إنّ الله تعالى قد قدّر لك عمراً معيناً ، ولكن سوف

يكون نصف عمرك وأنت في تمام النعمة والعافية ، والنصف الثاني سوف يكـون وأنت في تمـام الضيق ، والشـدة ، والحـاجـة ، وأنت مختـار في تقـديم أيّ نصف من عمرك على الآخـر . فقال الـرجل : عنـدي زوجـة صـالحة ، وأريـد أن أشاورهـا في الأمر ، لأنّهـا شريكـة حيـاتي ، وعنـد الصباح قصّ الرجل منامـه على زوجته ، فقـالت تلك المرأة الصـالحة : اختر النصف الأول الذي تكون فيه وأنت في تمام النعمة والعافية ، لعـل الله يرحمنا ولا يسلب النعمـة منّا في النصف الثـاني من العمر . وعنـدما جنّ عليـه الليل ، رأى في المنـام ثانيـةً مَنْ يسألـه ، ما الـذي اخترتـه ؟ فقال : اخترتُ النصف الأول من العمر الذي أكون فيه في تمام النعمة . ومِنَ الغد نزل عليه الخير من كـل جهة وفـاضت عليه الـدنيا ببـركاتهـا . فقالت له الزوجة : كما أفاض الله عليـك من الخير ، يجب عليـك عمل الخيـر ، ومساعـدة الفقـراء ، والتصـدق على المعـوزين ، والمحتـاجين والإحسان مع الجيران ، وما إلى ذلك من أعمال حسنة ، ففعل الرجل ما نصحته به زوجتـه ، وفي الليل رأى في المنـام نفس الشخص الذي كـان يحـاوره ويقول لـه : جزاءً لإحسـانك ، وشكـرك لنعمة الله تعـالى فإنـك سوف تعيش بقية عمرك في تمام النعمة والعافية ، والخير .

وأيضـاً يروى عن عيسىٰ (ع) أنه صادف مـروره من أمـام بيت فيـه عرس . فقال لأصحابه : هذه الليلة سوف تموت هذه العروس ، وينقلب فرح البيت إلى عزاء .

وفي اليوم الثاني كان عليه السـلام ماراً من أمـام نفس البيت فلم يَرَ أيّ أثرٍ للعزاء ، فسأل عن العروس فقيل إنّها سالمة وفي كامل صحتهـا . فاستأذن (ع) بالدخـول ، ودخل حتى وصـل إلى فراش العـروس ، فأمـر برفع الفراش وإذا بثعبان عـظيم تحت الفِراش فقـال (ع) للعروس : كـان هذا الثعبان مأمور بقتلك تلك الليلة ، فمـاذا فعلتِ ليلتها حتى نجـوت ؟ فقـالت العروس : جـاء فقير ليـل أمس يطلب طعـاماً ، فلم يـردّ جـوابـه

أحـد ، فقمت أنا وأعـطيتـه طعـامي . فقـال (ع) : بهـذا العمـل ، رُفِـعَ الموت عنك .

وفي كتاب البحار المجلد ١٣ ، في بـاب إنتظار الفـرج ، نقل عن الإمـام الصادق (ع) قـوله : إنّ الله قـدّر لبني إسـرائيـل أن يعيشـوا تحت الحكم ، والـظلم الفرعـوني أربعمائـة سنة ، وبعـد مـرور (٢٣٠) سنـة استجاروا بالله ، من هذا الظلم ، وهم يبكون ويتضرعـون ويستغيثون بـه سبحانه، فأوحىٰ الله إلى موسى (ع) وهارون أنّي سأرفع عذاب فـرعون عن بني إسـرائيـل ، فـرفـع الله عنهم عـذاب (١٧٠) سنـة والتي هي بقيـة الـ (٤٠٠) سنـة التي كـانت مقـدرة لهم أنْ يعيشـوهـا تحت العـذاب الفـرعوني . ثم قـال (ع) : وهذا يمكن أن يكـون في كـل وقت ، فـأنت يمكن أن تكون مثل بني إسرائيل في البكـاء والتضرع والإستغـاثة بـالله ، فإنّ الله سيجعل الفرج قريباً بإذنه (أي ظهور المهـدي عجل الله فـرجه) وإذا لم تفعل ذلك فأنّ الشدة والبلاء ستطول إلى آخـر المدة المقـدّرة لها مِنْ قِبَلِ الله سبحانه .

إلى هنا أعتقد أننا قد وفّينا موضـوع البداء حقّـه وبيّنا تـأثير الـدعاء والصدقة في المقدّرات وتغييرهـا . وقلنا في الجـواب عن التساؤل حـول العلة من عدم استجابة بعض الأدعية ، هو إمّا أن يكون الدعاء غير حـائز على شـروط الإجابـة ، أو لم تكن هناك مصلحـة من إستجابـة الدعـاء ، ويعوّض عنه بشيء آخر أو يحفظ له ذخيـرة في الآخرة . وحتى لا نخـرج عن الموضوع نكتفي بهذا القدر من الشرح .

﴿ فَذَكِّر فما أنْتَ بِنعْمَةِ رَبِّكَ بكاهِنٍ ولا مجنون ﴾

فاء (فَذكّر) وردت لتؤكّد الأمـر الإلّهي . أي : عبدي إنّـك بسبب الخـوف والإشفاق والـدعاء وصلت إلى الجنـة (أي : رسول الله (ص)) فذكّر الناس بذلك لكي يدعو الله مخلصين لينالوا بذلك الثواب الإلّهي .

ذكـر المفسرين : أنّـه بعد أنْ ذمّ الـرسول (ص) الأصنـام ، وعبدة الأصنام ، قرّر أعـداؤه من قبيلة قريش الإنتقـام منه فصممـوا على إرسال إثني عشـر رجلاً ليسـدوا الطـرق إلى مكـة ، لأنّ مكة كـانت أمّ القرى ، فكان يقصدها كثير من النـاس فتوزّع الـرجال على الـطرق المهمة لمكـة وبدأوا يحدثون المارّين بالهتاف قائلين : لقد ظهر في هذه المدينة رجـل باسم محمد (ص) وهو يدّعي النبوّة ونزول الوحي عليه ، ومن ثم أصبـح الرسول (ص) عرضةً لمختلف التهم والافتراءات فمرة يقال عنه بأنه كاهن وسـاحـر ، ومـرة يقـال أنـه شـاعـر ، ومجنـون ، وغيـرهـا من التهم والإفتراءات ، في الوقت الـذي لا تنطبق أي تهمـة أو إفتراء على شخص الرسول الأكرم (ص) فلا هو بساحر ولا مجنون ولا كاهن ولا شاعر .

ما هي الكهانة ومن هو الكاهن ؟

الكهـانـة هي تسخيـر الجن من أجـل الإطـلاع على بعض الأمـور الغيبيـة . مثلاً ، بـوسيلته نستـطيع أن نتعـرف على الأموال المسـروقة أو أموراً غير واضحة .

فقبل الإسلام كانت الكهانة رائجة جداً ، وكان هـذا الفن هو نـوع من الرياضة . فبعض الأفراد ، إستطاع أن يتحمل هذا النوع من الرياضة الشيطانية حتى صارت أرواحهم خبيثة ومسخّرة من قِبل الجن ، وبـوسيلة الجن استطاعوا الإطّلاع على بعض المستقبل والماضي .

وفي الإسـلام ، فـإنّ جميـع أنـواع التسخيـرات ، كتسخيـر الجن والأرواح والشمس يعتبر حرام ، ومن الأعمال المنحطة .

يختلط الصـدق والكذب في الكهـانة ، وغـالباً مـا يتلوّث الإنسـان بهذه الصفات .

وأحـد هذه الـرياضـات أن يقوم الإنسـان خلال أربعين يـومـاً وليلة بالوضوء ببولِهِ ، أو يضع القرآن تحت قدمه أربعون يوماً ، وبعد كل هـذه

الأعمال لا يصل للكاهن من الجن إلّا الشيء القليل واليسير .

في صحيحة ابن محبوب عن هيثم يقول : دخلت على الإمام الصادق (ع) وسألته : إذا كان في الجزيرة كاهن وكانت هناك أموال مسروقة ، فهل بالإمكان سؤال هذا الكاهن عن الطريقة لإيجاد هذه الأموال واللص ؟ فقال (ع) : أي أحد من الناس يذهب إلى كاهن أو ساحر ، ويصدقه فيما يقول ، فهو بنص كتاب الله يعتبر كافراً . « الكهانة من الذنوب الكبيرة » .

جماعة من المشركين إتّهموا الرسول (ص) بالكهانة ، إنّ عديمي المروءة هؤلاء لا يعلمون أو لا يريدوا أنْ يعلموا أنّ عمل محمد (ص) لا يشبه الكهانة بأي وجه من الوجوه ، إنّ مقام النبوة أسمىٰ من هذا الكلام فالنبي يتحدث عن المبدأ والمعاد ، فما علاقة ذلك بالكهانة ! لذلك فأنّ الله سبحانه يخاطب الرسول (ص) في هذه الآية : إنّ كل هذه التهم ليست لها علاقة بعملَكَ (يعني فليقولوا ما يريدون) فأنت بواسطة نعمة ربك لا ساحر ولا كاهن ولا مجنون . وحرف الباء في كلمة (بنعمةِ) هو حرف قسم . يعني قسماً بنعمة ربك ، أنت لست بكاهن ولا مجنون بل نبي الإسلام .

واستمر الحال على هذا المنوال وصعّد المشركون من أذىٰ الرسول (ص) وإلقاء التهم المختلفة عليه ، حتى قال الرسول (ص) : ما أوذي نبياً مثلما أوذيت . ورغم كل هذا الأذىٰ كان (ص) يدعو ويقول : اللّهم إرحم أمتي .

يروي العلامة المجلسي رحمة الله عليه في حياة القلوب : إنّ الله تعالى أمر رسوله (ص) أنْ يعلن دعوته في وسط قريش ، فقام (ص) في موسم الحج حيث إنّ جميع طوائف العرب تأتي من الأطراف إلى مكة في هذا الموسم فوقف (ص) على جبل الصفا ، ونادىٰ بصوت مرتفع يسمعه الناس : (أيّها الناس إنّي رسول ربّ العالمين إليكم وإلى الناس

كـافة) فتعجب النـاس من كلامـه ، ثم صعد (ص) إلى المـروة ، ونادىٰ بنفس النداء ثلاث مرات . وعندما سمع أبو جهل خـطاب الرسـول (ص) حمل حجراً كبيراً وقذفه نحوه فأصاب جبهـة النبي (ص) وشجها فسـالت الدماء ، ثم تبعَ بقيةِ المشركين أبو جهل وقذفـوا النبي (ص) بالحجـارة ، فصعـد (ص) إلى جبل أبو قبيس، وجلس في مـوضعٍ ليستـريح ، فتبعـه المشركون إلى هناك ، ثم سمع أمير المؤمنين (ع) أحدَ المشركين يقول : لقد قُتِلَ محمد (ص) ، فجاء (ع) إلى بيت خديجة وهو يبكي وقال لها : إنّ المشركين رموا رسول الله (ص) بالحجارة ، وسمعت أحدهم يقـول : لقد مات محمد .

ثم سـار عليه السـلام مع خـديجـة وحمـلا معهمـا شيئـاً من المـاء والـطعـام حتى وصـلا إلى جبـل أبــو قُبيس ، فقـال أميـر المؤمنين (ع) لخديجة : إذهبي أنت من طـرف الوادي وأنـا سوف أصعـد إلى الجبل . فصعــد (ع) وهــو يبكي ويضــج ويـقــول : يــا محـمــد (ص) ، يــا رسول الله (ص) أفديـك بروحي أين الآن أنت وبـأي وادي تراك عـطشان وجائع ، وخديجة تنادي بأعلى صـوتها لعـل النبي (ص) يسمعها . فنـزل جبرائيل على رسول الله (ص) في ذلك الوقت ورفعه ووضع له « مسنـد » من الجنة ، بعد ذلـك هبط كل من مـلائكة السمـاء ، والأرض والبحار ، والجبال ، وكل منهم عـرض خدمتـه على النبي (ص) وقالـوا : نحن من قِبَـل الحق تعالى مـأمورين بـإطاعتـك ، فأذن لنـا أن نهلك قومـك لأنّهم عاملوك بتلك المعاملة القـاسية ، فـأجاب (ص) : إنّي رسـول الرحمـة ، فاتركوا قومي إنّهم لا يعلمون . ثم قال جبـرائيل : رسـول الله (ص) أنظر إلى خديجة لقد جاءت في إثرِكَ وهي تبكي وقد بكت الملائكة لبكائها . فبلّغ سلامنا لها وسلام الله عليها وبشّرهـا بالجنـة . ثم طلب النبي ، أمير المؤمنين وخـديجة إلى محضـره (ص) ، بينما كـانت الدمـاء تسيـل على وجهه الشريف وبعـد أنْ جنّ الليل حمـل علي (ع) وخديجـة النبي (ص) إلى منـزل خـديجـة . ولمّـا عَلِمَ المشـركـون بـذلـك ، جـاءوا إلى بيت

خـديجة ، وأخـذوا يرمـون البيت من كل جـانب بالحجـارة ، وعلي (ع) وخديجة يحولون بينهم وبين رسـول الله (ص) خوفـاً من وصول الحجـارة إليـه (ص) . ثم رفعت خـديجـة صـوتهـا بـالنـداء : يـا قبيلة قـريش ألا تستحـون من قذفِكُمُ الحجـارة على بيت امرأة هي من أشـرف نسائكم ، فـإذا كنتم لا تخـافـون الله فـارجعـوا إلى أحسـابكم وكـونـوا عُـرُبـاً كمـا تزعمون ، فرَجِعَ المشركون وإنكفأوا .

والخلاصة فإنّ الله تعالى دافَعَ عن رسوله (ص) في مقابل إتهامـات وافتراءات المشركين والأعداء .

في زمن عيسىٰ بن مريم (ع) صعد الشياطين حتى السماء الرابعة ، ولكن بعد ولادة نبيّ الإسلام الرسول محمـد (ص) منع الجن والشيـاطين من الصعود إلى السماء . والآن نرجع إلى موضوع الكهانة فنقـول إنّ بين الجن من هو صادق ومن هو كاذب ، كما أنّ اطّلاع الجن على الغيب هو اطـلاع ناقص وضئيـل جداً . فمن الممكن أن يعـطي الجن إلى الكاهن المسخّر له خبـراً ناقصاً أو كاذباً . وفي الإسـلام الإخبار بـالغيب والسحر والكهانة تعتبر حراماً . فكل إنسان يرجع إلى الكاهن لمعرفة المستقبل أو الإطلاع على الغيب ويصدّقه فيما يقول يعتبر شرعـاً حرامـاً وكفراً . فهـل يُعقـل من يعتبر هـذه الأعمال من المحـرمات وبـاطلة أن تنسب إليه هـذه الأعمـال ؟! كـذلـك فـإنّ النبي (ص) ليس بمجنـون ، فهـل أنّ الـطعن بالأصنام وعبدة الأصنام والأمر بمحامد الأفعال والنهي عن رذائـل الأعمال يعتبر دليلاً على الجنون ؟! .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَترَبّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ ﴾

التهمـة الأخرى التي نُسِبَت إلى الـرسـول (ص) هـو إتّهـامـه بـأنـه شاعر .

والتّـربُصْ بمعنىٰ الإنتظار . فجملة نتـربص به ريب المنـون أي :

ننتظر له الموت أو الهلاك . عندما لم يتمكن المشركون من إيصال أذاهم إلى النبي (ص) (لأنّ الله كان يحفظه منهم) قالوا : إنّا ننتظر له يوماً عصيباً شديداً وغير ذلك من الكلام ، ومما قالوا : إنّ أباه عبد الله مات وهو شاب ، وسوف يموت هو الآخر وهو شاب ونرتاح منه .

﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾

الله سبحانه يخاطب النبي (ص) : قل للمشركين إذا كنتم تنتظروا موتي ، فإنّي أنتظر موتكم أيضاً . إنّ أكثر الذين إتّهموا النبي (ص) قد ماتوا قبله أو قتلوا أو أسلموا أخيراً ، أمّا تهمة الشاعر فأيّ تناسب بينها وبين مقام النبوة ؟!

فالكل يعرف أنّ النبي (ص) أُميّ لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يقل إلاّ بيتاً واحداً من الشعر في غزوة أحد :

أنا النّبيُ لا أكذِب أنا ابن عَبْدُ المُطّلِبْ

والقرآن لم يكن نثراً ولا شعراً ، فبأي مناسبة إذاً يُتَّهمْ النبي (ص) ويقال عنه بأنّه شاعر .

إنّ الشعر يكون على وجهين : الأول : إنْ يتشكّل من بيتين أو أكثر .

والآخر : أن يكون كلاماً منظماً ، ولكن بدون حقيقة ، لذا قيل من بالغ الكذب فيه (أي في الشعر) ، أحسن فيه . يعني في الشعر كلما كان الكذب وما هو خلاف للواقع أكثر ، كلما كان الشعر أحسن .

شعراء الحق والباطل .

شعراء الباطل هم الشعراء الذين يلهثون وراء المال ، فلا يتورعون من مدح الفجّار والفسّاق والظلمة من الناس والأمراء والملوك . فإذا تبيّن من الشخص الذي يقصدونه أنّه خلاف توقّعهم وطمعهم يبدؤن بهجائه

وإن لم يكن أهلاً لذلك ، ويعتبر هذا من الذنوب الكبيرة . كما أنّ معظم شعر هؤلاء ، هو في الغزل ، والعشق ، والغرام ، وتهييج الشهوات وكل ما هو خلاف للعفة . وبعد أنْ عرفت معنى الشعر والشاعر ، فهل أنّ القرآن المجيد أو دعوة محمد (ص) التي هي طاهرة من كل رذيلة ، وتتحلىٰ بكل فضيلة ، هل يمكن أن ننسب إلى صاحب الدعوة (ص) كلمة شاعر ؟ إنّ الوجود القدسي للنبي الرباني والروحاني الذي أخرج أتباعهُ من ظلمات عبادة المال والجاه والشهوات هو منزّه من كل هذه التهم ، فأيّ تهمة نُسِبَتْ إليه ؟ .

نعم إنّ أكبر حربة للعدو هي التهمة والإفتراء ، وبلا شك فأنه يعلم أنّ هذه التهمة هي كاذبة وعارية عن الصحة .

أرجو مراعاة الدقة في هذا الحديث الشريف . في المجلد الثاني من كتاب حياة القلوب يقول المرحوم المجلسي : عندما رأى المشركون أنّ كثيراً من الناس يدخلون في دين محمد (ص) جاءوا إلى أبي طالب وقالوا : إنّ ابن أخيك سبّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد شبابنا وفرّق جمعنا ، فإذا كان فقيراً ويحتاج إلى المال أغنيناهُ ، وجمعنا له ما يريد من المال حتى يصبح أغنىٰ رجل في قريش ، وأي امرأة يريد من قريش زوّجناه بها ، وإذا كان يريد الجاه والسلطان جعلناه أميراً على مكة بشرط أنْ يترك سبّ آلهتنا . فقام أبو طالب ونقل إلى النبي (ص) ما اقترحت به قريش فقال (ص) : « والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه » .

وعندما نخصّ الشعر والشعراء بالذمّ فلا نقصد كل الشعر ولا كل الشعراء . فإذا كان الشعر كلاماً لا يشتمل على المبالغة والكذب وما هو خلاف الواقع والمدح هنا ، والذم هناك ، بل قول الحقيقة ، ونصرة الحق ، فأن مثل هذا الشعر يكون ممدوحاً بل هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله .

وهناك مجموعة من الشعراء كانوا مورداً لإكرام رسول الله (ص) مثل قيس بن عدي ، وكعب بن مالك الأنصاري ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن رواحة الأنصاري (الذي لقبه رسول الله (ص) بسيد الشعراء) ولبيد بن ربيعة العامري وحسان بن ثابت الأنصاري ، لكن حسان لم يثبت على نهجه كما كان في زمن رسول الله (ص) ، فما أن انتزع الإمام علي (ع) منه حب المال حتى أصبح من أتباع معاوية وخالف أمير المؤمنين (ع) لذا لم يمدحه الرسول (ص) بشكل كلي بل قال (ص) : (لا تزالُ يا حسّان مؤيَداً بِرُوحِ القُدس وما نصرتنا بلسانك) ، ويروى أنّ حسّان كان في مسجد رسول الله (ص) فطلب منه النبي (ص) أنْ يرتقي المنبر ويقول أشعاراً في نصرة الإسلام ، والمسلمين ورسول الله (ص) وذم الشرك ، والمشركين ، فصعد المنبر وأنشد الأشعار . وقصيدته في غدير خم مشهورة .

إنّ الشعراء في زمن الأئمة عليهم السلام كانوا يجاهدون بلسانهم في الدفاع عن حق أهل البيت ، لذلك كانوا محل وموضع إكرام الأئمة عليهم السلام وإحترامهم مثل (الكميت) والسيد إسماعيل الحميري ، اللذين كانا محلاً لإكرام الإمام الصادق (ع) ، وكذلك الفرزدق الذي كان محلِ لإكرام ولطف الإمام السجاد (ع) ودعبل الخزاعي الذي كان خليقاً بإكرام الإمام الرضا (ع) ، وعندما أنشد قصيدته التائية المشهورة في حضرة الإمام (ع) والتي من أبياتها :

(مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحيٍ مقفر العرصات)[1]

وعندما بلغ دعبل هذا البيت من القصيدة :

لقد خِفتُ في الدنيا وأيام سعيها وإنّي لأرجو الأمن بَعدَ وفاتي

---

(١) من أراد الحصول على هذه القصيدة ، فإنها موجودة في ديوان دعبل الخزاعي / طبع الدار الإسلامية - بيروت .

قال الإمام (ع) : آمنك الله يوم الفزع الأكبر . وما إنْ بلغ دعبل هذا البيت :

خُرُوج إمامٍ لا محالة خارجٌ   يَقُومُ على اسم الله والبركاتِ

حتى قال (ع) : يا خزاعي نطق رُوحُ القدُسِ على لسانك بهذين البيتين . ثم قال (ع) : هل تعرف من هو هذا الإمام ؟ وفي أي زمان يقوم ؟ فقال دعبل : لا يا مولاي ، ولكني سمعت أن إماماً منكم أهل البيت يخرج ويطهر الأرض من الفساد والظلم ، ويُشيع العدل . فقال الإمام (ع) : يا دعبل إنّ الإمام الذي بعدي هو ابني محمد ، والذي بعده إبنه علي ، والذي بعده إبنه الحسن ، والذي بعده ابنه الحجة القائم (عج) ، الذي يغيب عن الأنظار حتى يأذن الله له بالخروج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وأن وقت ظهوره مثل قيام يوم القيامة يبقىٰ مستوراً .

ثم قال الإمام (ع) يا دعبل أضف إلى قصيدتك هٰذين البيتين :

وقبرٌ بطُوسٍ يا لَها مِن مُصيبةٍ   تُوقدُ في الأحشاءِ بالحُرقاتِ

وقال (ع) : يا دعبل إنّ هذا القبر هو قبري ، ومَن زارني في قبري كان معي يوم القيامة في جنة الخلد ، ثم دفع الإمام (ع) مائة دينار إلى دعبل من السكة التي ضرب عليها اسمه الشريف ، وحملها الغلام إليه ، فقال دعبل : والله ما لهذا جئت ولا قلت قصيدتي من أجل طمع الدنيا ثم أرْجَعَ المال وطلب ثوباً من ثياب الإمام من أجل التبرك به . فأرسل الإمام (ع) بردته مع كيس المال إلى دعبل مع الخادم وقال له : قل له إنّ هذا المال سوف تحتاج إليه سريعاً . فأخذ دعبل البردة والمال وقفل راجعاً إلى وطنه ، وعند وصوله وجد أن اللصوص قد سرقوا كل ما في بيته من أثاث . فقام دعبل ببيع المئة دينار التي معه والتي عليها اسم الإمام (ع) إلى بعض التجار الإمامية بعشرة آلاف درهم ، وبهذا المال

عوّض ما فقده من أثاث في بيته ، فتذكّر قول الإمام له ، إنك ستحتاج إلى هذا المال سريعاً .

ثمّ أنّ دعبل كانت له جارية قد أُصيبت بمرض شديد في عينيها ، وقال الأطباء له أنّ عينها اليمنى قد عميت أما عينها اليسرىٰ فمن المحتمل أن تشفىٰ بعد العلاج ، فحزن دعبل كثيراً وجزع من أجلها ، ولكنه سرعان ما تذكر البردة التي أعطاها له الإمام الرضا (ع) والتي اشتراها منه أهل قم بألف دينار وأعطوه قطعة منها ، أخذها فوضع هذه القطعة من بردة الإمام (ع) على عيني الجارية ، وما إنْ أصبح الصباح حتى رأى أنّ عيون الجارية قد شفيت تماماً ، وأصبحت أفضل من الأول ببركة الإمام (ع) .

وفي المجلد الحادي عشر من بحار الأنوار يروىٰ عن سهل بن ذبيان أنه قال : ذهبت يوماً لزيارة الإمام علي بن موسىٰ الرضا (ع) وعندما دخلت عليه ، قال (ع) : فعلت خيراً يا سهل بمجيئك إلى هنا ، فقد كنت ناوياً أن أبعث في طلبك ، ثم قال (ع) : ليلة أمس رأيت في المنام سُلّماً كبيراً له مائة درجة وقد نُصب من أجلي ، ثم ارتقيت السُلّم إلى الأعلىٰ حتى بلغت آخر درجة منه ، فقال سهل : عمرك طويل يا سيدي وستعيش مائة سنة أخرى . فقال الإمام (ع) : « كل ما يشاء الله يكون » . ثم أضاف (ع) : وبعد أن بلغتُ أعلى السُلّم رأيت قصراً كبيراً ، وقد جلس فيه رسول الله (ص) وإلى جانبيه الحسن والحسين وبالقرب منه جلست فاطمة الزهراء (ع) وإلى جانبها أمير المؤمنين (ع) ورأيت رجلاً آخر يقف قبال جدي (ص) وهو ينشد قصيدة كان مطلعها (لِأمِّ عمرٍ باللّوىٰ مَرْبَعُ)[1] فقال لي رسول الله (ص) : سَلِّم على أبيك ، علِّي (ع) وعلى أبويك الحسن ، والحسين عليهما السلام وعلى أمكَ فاطمة (ع) وعلى شاعرنا ومادحنا السيد إسماعيل الحميري ، وبعد

(١) ديوان السيد الحميري .

أن سَلّمتُ عليهم وجلست ، قال رسول الله (ص) للسيد الحميري : إقرأ قصيدتك فإن كل إنسان يقرأ هذه القصيدة ويحفظها ويداوم على قراءتها يصبح من أهل الجنة .

وفي بحار الأنوار يروي عن الإمام الصادق (ع) أنّه بعث للسيد الحميري بحنوط وكفن وعندما بلغه خبر وفاته تأثر ودعا له وترحم عليه ، فقال رجل : إنّ السيد الحميري كان يشرب الخمر . فقال (ع) : سمعت أبي ينقل عن جدي رسول الله (ص) أنه يقول : « إنّ مُحبّي آل مُحَمَّدٍ (ص) لا يموتون إلّا تائبين » ويقال أن السيد الحميري وهو في النزع الأخير قبيل وفاته تبدل لون وجهه إلى أسود قاتم موحش ، مما جعل أعداءه يفرحون ويشمتون به ، وما هي إلّا لحظة حتى ظهرت نقطة بيضاء في وجهه أخذت تتسع حتى صارت مثل الهلال في ليلة الرابع عشر ، وفي ذلك الوقت أخذ يردد هذا الشعر ، ويكرر نطق الشهادتين :

كَذِبَ الزّاعِمُون إنّ علياً   لن يُنجّي مُحبّهُ مِنْ هناتِ
قَد وَربّي دخلتُ جنةَ عدنٍ   وعفاني الإلٰه عن سيئاتي

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾

أحلام جمع حلم ، وتعني العقل ، يعني هل أن عقولهم تأمرهم بالنطق بمثل هذا الكلام ، حيث أن أهل مكة في ذلك الوقت ، قد اشتهروا بأنهم أعقل الناس في الجزيرة العربية ، وأنّ القراءة والكتابة كانت من اختصاص أهل مكة فقط ، ولا يجاريهم أحد في ذلك لأنهم كانوا أصحاب أموال وثروة كبيرة ، ومن أجل تعليم أولادهم كانوا مستعدين لتحمل النفقات الباهظة وذلك من أجل استقدام معلمين لأولادهم من خارج مكة . أمّا هؤلاء الذين لا مال عندهم ولا ثروة ، فلا يملكون أي وسيلة لتعليم أولادهم .

إنّ الله سبحانه أراد أن يظهر لهم خطأ نظريتهم والعقلية التي هم

عليها ، فخاطبهم تعالى بالقول : أنتم يا من تدّعون بالعقل والعقلانية هل يمكن لإنسان أن يكون شاعر ومجنون وكاهن في نفس الوقت ؟ يقال إنّ الكذاب لا يملك حافظة ذهنية ولا يَصْدُق مع نفسه (لأن الله وكله إلى نفسه) إن الشعر والكهانة تحتاج إلى العقل والنباهة والإنسان المجنون لا عقل له . ومحمد (ص) هو العقل الكلي الكامل ، فالله سبحانه في هذه الآية يقول : إنّ هؤلاء فقدوا عقولهم وكل شخص يُحرم من نور العقل يقع أسيراً للتناقض والتضاد (أعاذنا الله وإيّاكم) . ﴿ **أم هُمْ قومٌ طَاغونَ** ﴾ ؛ يعني أنّ هؤلاء عندهم من العناد ، والطغيان ، ما يجعلهم ينحرفون عن الإيمان وطاعة الله سبحانه .

﴿ **أمْ يَقولُون تَقَوّلهُ بَلْ لا يُؤمِنُون** ﴾ .

أم يقولون إنّ محمد (ص) جاء بالقرآن من عنده ، تَقَوَّلَهُ ، تعني أنه اخترع القرآن من عند نفسه ، والله سبحانه يقول : ﴿ **وإن كُنْتُم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسُورةٍ من مثله** ﴾ والخطاب موجه للعرب ويقول : إن محمداً (ص) يعيش بينكم ولم يغادركم إلّا مرة واحدة ضمن قافلة مع عمه أبو طالب ولم يذهب إلى مكاتب التعليم ، ولم يرىٰ معلماً في حياته ، فكيف لمحمد (ص) أن يأتي بهذا القرآن العظيم الذي جمع علوم الأولين والآخرين .

نفسي لمن لم يقرأ العلم الفدى	لكنه فاق الأنام وأرشدا
لم يدخل «الكتاب» يوماً، حينما	أضحى المعلم للألوف على المدىٰ
لا ليس ما اجترح الرسول بسحره	رب السما أوحى إليه وسرّدا

ويرد هنا تساؤل ، وهو أن القراءة والكتابة من مقومات كمال البشر ، هل معنى هذا أنّ الرسول (ص) فاقد لهذا الكمال ؟ والجواب على هذا الإشكال أنّ القراءة والكتابة من مقومات الكمال بالنسبة لأفراد البشر العاديين ، فأنّ كل واحد من هؤلاء يتعلم ويكتب ويجب أن يكتسب العلم ، لكي يصل إلى المعرفة ، فمثل هذا الإنسان يجب أن

يتعلم القـراءة لكي يستوعب العلوم المثبتـة في الكتب ، وأيضـاً يجب أن يتعلم الكتابة لكي يُدوّن ما تَعلّمـه حتى لا ينسىٰ . أما الشخص المكتسِب للفيض الإلّهي والذي يكون علمه موهبة وعطاءً إلٰهيا ، وغيـر مكتسب من البشر ﴿ وآتيناهُ مِنْ لَدنّا عِلماً ﴾ ، مثل هذا الإنسان القراءة والكتابـة ليستا من ضـروريـات كمـالـه فهـو الـذي لا يـزول ، ولا يغيب أي شيء من خـاطره ، ولا يعتـريه السهـو والنسيان ، فمثله لا يحتـاج أن يدوّن العلوم التي يتعرض لها ، فإحاطته بها صلى الله عليه وآله وسلم بشكلٍ حيث لا يـوجد حجـاب بينه وبين الأشيـاء ، وحالتـه في اليقـظة والنـوم واحـدة ، وهو (ص) يقول : « مثلما أرىٰ وأشاهـد أمامي أرىٰ وأشـاهد من خلفي ، وحتى صفـوف جماعـات المصلين أحس بهـا من خلفي » . وإنّ الله هـو الـذي اختار لـه أن لا يقرأ ولا يكتب كي لا يستـطيع أي إنسـان ، حينما يبعث الله نبيـه بالـرسالـة السماويـة أن يقول إن القـرآن وعلومه (ص) قـد أخذها من البشـر ، ولكن صحيح أنـه ، صلى الله عليه وآلـه وسلم ، لم يتعلم ولكن لو أراد بطريق الإعجاز أن يقرأ ويكتب لاستطاع .

هل تأتوا بسورة مثل القرآن ؟

في موضوع الخطاب الإلّهي للمشركين ، الذي تحداهم فيه ، بأن يـأتوا بسـورة واحدة من القـرآن ، من الممكن لبعض النـاس البسـطاء أن يقولوا : من المحتمـل إنّ بعض الأعراب يستـطيع أن يـأتي بكتاب نـظير للقرآن الكريم ولكن لم يـظهروا هـذا الرأي أو أنهم خـافوا من الكـلام . ونقول في الجواب : إنّه خلال مدة ثلاثة عشر سنة كان الرسول (ص) في مكة ولم تكن دعوته في موقع القوة ، بحيث لم يكن للشخص من الجرأة الكافية في الكلام عنها ، كما إنّ المسلمين خلال ثلاث سنين لم يتجاوز عددهم الأربعين ، ولم يستطيعوا بعد المجاهرة بالإسلام . وبعـد مدة من الحصار في شُعُبْ أبي طـالب كانـوا فيها هـدفاً لتعـذيب وأذىٰ المشركين وبعدها هاجروا إلى الحبشة .

والخلاصة في ذلك الوقت لم يكن لأي شخص القوة والجرأة الكافية لإظهار عقيدته ، مع العلم أنّ ذلك الزمان قد اشتهر رجاله بالفصاحة والبلاغة وكان لها رواجاً كبيراً ، بحيث إن كل شخص كان يقول الشعر ، يعلق شعره على الكعبة ، وبعد بزوغ فجر الإسلام رفع هؤلاء الشعراء أشعارهم من على جدران الكعبة .

تصوروا أين أشعار العشق لفصحاء العرب ، من بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله رب العالمين !!!

﴿ فَلْيأتُوا بِحَديثٍ مَثلِهِ إنْ كانوا صادقين ﴾

الله سبحانه يقول : إذا كان هؤلاء صادقين فليأتوا بحديث (في فصاحة وبلاغة وبيان الحقيقة) مثل القرآن .

والخلاصة إنّ هؤلاء يقولون إنّ القرآن من عند محمد ، وجاء به محمد (ص) فإذا كانوا صادقين فيما يدّعون وهم أهل الفصاحة والبلاغة فليأتوا بحديث مثل القرآن ، وعندما وجدوا أنفسهم عاجزين عن ذلك ، أدركوا عندها أنّ القرآن كلام الله وليس كلام محمد (ص) .

﴿ أمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أمْ هُمُ الخَالِقُونَ ﴾

لأنّ أهل مكة يتصفون بالعقل والمعرفة ، حسب ما هو معروف في الجزيرة العربية ، فإنّ الله سبحانه يخاطبهم في هذه الآية : هل خُلقتم في هذه الحياة من غير شيء أم أنتم خلقتم أنفسكم بأنفسكم ، ألم تُخلَقوا من تراب ونطفة ؟ إن أي إنسان عاقل وصاحب بصيرة لا يمكن أن يقول نحن خَلقنا أنفسنا ، بل خُلِقْنا من الماء والتراب وبتقدير حكيم عزيز ، وصاحب عقل مطلق .

بدنك أيها الإنسان يتألف من مائتين وثمانية وأربعين قطعة عظمية وجهك ، عينك ، لحمك ، أذنك ، ولو أردنا أن نحسب الأجزاء التي

يتألف منها جهازك السمعي أيها الكائن المخلوق لوجدنا أنه يتشكل من ثلاثة ملايين جزء ، فسبحان الخالق !!

فمك أيها الإنسان ، وما يحويه من الأسنان بأنواعها المختلفة ، وكيف رُتبت على الفكين ، وكيف جاء الفك الأعلى ثابتاً ، والفك الأسفل متحركاً . واللسان مأمور بتحريك الطعام في وسط الفم لكي تؤدي الأسنان وظيفتها في تقطيع وطحن الطعام ، بعد ذلك يتحرك الغذاء المطحون لينزل إلى المعدة فيعترضه طريقين : القصبة الهوائية ، وهو مجرىٰ التنفس ، والمريء وهو مجرىٰ الماء والغذاء . ولو قُدر أنْ نزل الغذاء في القصبة الهوائية بدلاً من المريء ؛ لمات الإنسان في الحال . فأي قدرة قاهرة هذه التي ابتدعت هذا الجهاز العظيم وأوجدت له هذا النظام الدقيق ؟!!

عُميت عين لا تراك .

يذكر المرحوم المحدث النوري في كتابه دار السلام ست عشرة فائدة للنوم . من جملة هذه الفوائد الاحتلام . وفائدة الاحتلام إضافة إلى أنّه يحفظ سلامة البدن ، يجعل الإنسان بأن يرى النطفة التي يتكون منها . يُرى قطرة الماء النتنة التي يتكون منها هذا البدن العظيم ، أين العظام الصلبة من قطرة الماء النتنة هذه ؟

وما أبلغ ما قاله مولىٰ الكونين أبي عبد الله الحسين (ع) إذ قال : « عميت عين لا تراك » . ولكن الماديات تحول بين الإنسان وفهمه وعقله .

فأهل مكة أفنوا عمرهم في أخذ الربا ، ولعب القمار ، وارتكاب الزنا ، وأخذ أموال الناس بالباطل ، ولكن لم يكن هناك شخص يجرأ بأن يقول لهؤلاء : أنتم غارقين بالجهل إلى رؤوسكم ، ولو تهيأ لهم مثل

هذا الإنسان الجريء لَما اعترفوا بذنبهم وجهلهم لأنّ الماديات تحول بينهم وبين هذا الإعتراف .

لم يخلق هذا الإنسان عبثاً

إنّ البشر لو إعترفوا بجهلهم لكان هذا الإعتراف بحد ذاته حقيقة علمية يستفاد منها الإنسان ، ولكن المأساة لو كان هذا الجهل جهلاً مركباً ، وفي الواقع أنّ البشر جميعهم يقعون تحت تأثير هذا الجهل المركب بحيث يرون خطأ الأعمال صحيحاً ، وهناك وجه آخر لتفسير ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غير شيءٍ أَمْ هُمُ الخالقون ﴾ يعني : هل أنّهم خلقوا بدون هدف أو نتيجة ؟ وأنت أيها الإنسان العاقل المدرك هل تعقل أنّ هذا الجهاز البشري الدقيق الصنع جاء إلى الوجود بدون نتيجة ؟ فلو كنت مشغولاً ببناء بيت واعترضك شخصاً آخر فمن البديهي أن ترده بالقول : بأنّي لا أفعل العبث ، وإنّما أُعمّر هذا البيت من أجل أن يكون مكاناً لراحتي ، وحتى الحيوانات عندما تترك بيوتها وتخرج فهي إنّما تخرج من أجل البحث عن الغذاء ، كذلك جميع أجزاء عالم الوجود لا تعمل بدون هدف ، وخالق الوجود خلقك دون أن يسألك . فهل خُلقت أيها الإنسان من أجل الماديات والأدران الدنيوية ؟! عقلك يقول هل خلقت عبثاً وبدون نتيجة ؟ يا له من تساؤل بليد . إنّ أصغر شيء في هذا الكون يدل أنّ هذا العالم لا يتحرك بدون هدف ، وأنّ هدف ونتيجة هذا العالم هو يوم القيامة . إنّ أقل شيء يعطىٰ للمؤمن في الآخرة يعادل عشرة أضعاف ما في الدنيا ، فحسب ما ورد في الرواية لو أنّ قطرة ماء واحدة خرجت من فم حور العين ووضعت في جميع البحار لأصبحت جميعها عذبة وحلوة !! فأين هذا من الحياة الدنيا وآلامها وأوجاعها .

إنّ المؤمن في هذه الدنيا يجب أن يَفْنىٰ في السعي إلى الله لكي يفوز بالسعادة العظمى في الآخرة ، وطريق الوصول إلى هذه السعادة ،

هو بالمعرفة والعمل وبهذين العنصرين ، يرتقي المؤمن الدرجات العالية وينال السعادة العظمىٰ .

في الواقع لو فكر الإنسان في حاله وتساءل أين السعادة في هذه الدنيا وهو يرى سلسلة من المكررات اليومية المتعبة ، وأين هذه الدنيا من الحياة الآخرة ، التي هي سعادة أبدية وتجديد دائم في المسرات لا تكرار فيها .

العلم والعمل نتيجة للخلق .

الغاية والهدف من الخلق هو (العلم ، والعمل) ولذلك أمر الرسول (ص) به الجميع ، ومن أجل الطهارة من الذنوب قال الإمام الصادق (ع) : لا يوجد شيء أسوأ من الذنب بالنسبة للقلب ، فقل يا إلٰهي طهرني من الذنوب .

ذكر صاحب كتاب مجمع البحرين الحديث القدسي وفيه يخاطب الله سبحانه عيسىٰ بن مريم (ع) : يا عيسىٰ إنّ سروري بك ورضاي عنك هو عندما أراك تتوسل بي وتدعوني خوفاً وطمعاً .

الخلاصة : فإن كل الشرف والسعادة والفخر هو الإستجداء والتضرع وإظهار العجز والحاجة والتملق إلى الله سبحانه ، ولا يمكن تصوّر شيء يفوق ذلك .

العُمْر يَمُرُّ وينقضي وكل ما بان الشيب على رأس الإنسان ووجهه فإن هذا هو من علامات قرب المنية وحلول الأجل .

فاجلس أيها الإنسان، وتفكّر في نفسك وفي العمر كيف انقضىٰ ، ثم استحضر سيرة الماضين بينك وبين نفسك واستعرض حياتهم وكيف قضوا ليكون ذلك عبرة لك ، ورأس مال تتزود منه في سفرك الطويل ، إلى الآخرة . فاندب الله متوسلاً ، وادعوه مخلصاً لأنْ يزيد في معرفتك ويوفقك للعمل الصالح .

فـالآيـات التي استعـرضنـاهـا لا تختص بـالمشـركين في زمن الرسول (ص) إنّما هي لكل زمان ، فماذا يقول الطبيعيـون ؟ ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غير شيءٍ أمْ هُمُ الخالقون** ﴾ ، هكذا أوجدت نفسك بنفسك أم هناك قوة مطلقة قادرة أوجدتك ؟ فإذا رسمت صورة على حـائط ، وإذا ما نـظر إنسان إليها يقـول : هناك رسّـام قد رسم هـذه الصورة ، فصـورة وجهك أيهـا الإنسان من رسمهـا ؟ صورة الـوجه الإنسـاني بهـذا الصنـع الـدقيق والجميل ، فالعين مثـلاً ودقة صنعهـا فشكلها لا بـالمثلث ولا بالمـربع ، وفي زاويـة العين يوجـد ثقب دقيق يساعـد على خروج الأوسـاخ العالقـة بالعين عن طريق الأنف إلى الخارج فسبحان الخلّاق العليم .

﴿ أَمْ خَلَقُوا السّمواتِ والأرضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ ﴾

بعد هذا تأتي مرحلة العالم الخارجي الذي حولنا، لو تفكرنا قليـلاً بأسراره ما هذه المصابيح التي فـوقنا في السمـاء ، هذه النجـوم ما هي ؟ من الذي جعلها تدور في الفضاء ؟ إنّ أصغر نجم يعادل ثمـانية أضعـاف حجم الكـرة الأرضية التي نعيش على سـطحها ، ثم الـظاهرة السمـاويـة الأخرى وهي الشمس ذلك الجرم الكبير وهي أكبر من الأرض بـ (مليون وثلاثمائة ألف مرة) . ثم ما تلك القدرة التي تجعل الكرة الأرضيـة تدور حول الشمس بنظام عجيب ؟ ويؤكـد العلم الحديث على حقيقـة ، وهي إنّ السيارات الشمسية في دورانها حول الشمس تدور حول نقطة لا تحيد عنها ولو بمقدار رأس إبرة . إنّ الفصول الأربعة والليل والنهار هي نتيجـة وأثر للحركة الانتقالية للأرض حول نفسها وحول الشمس ، إنّ كل كـائن في هذا الوجود يتحرك ضمن الحد الذي حُدّ له وفق نظام دقيق للغاية .

ماذا يقول الطبيعيون ؟ فـإنهم مهما قـالوا فهـو من باب التخمين لا من بـاب اليقين حتى الفـلاسفـة وكبـار العلمـاء الـذين تكلمـوا في هـذا المجال مع إيـراد الدليـل لم يثبت ما أوردوه ، مثـلاً ، قالـوا أنّ لون جلد النمـر ناشيء من كـون النمر يعيش في الغـابات وينـام تحت الأشجـار ،

وصادف إنْ كان نائماً تحت شجرة والشمس قريبة من هذه الشجرة ، فعكبست أغصان هذه الشجرة نور الشمس على جسم النمر فكان لون جلده هكذا ، نقول لهؤلاء إذا كان هذا ما تعتقدونه في تفسيركم لهذه الظاهرة يكون لون جلد النمر الصغير عند ولادته يختلف تماماً ثم يتحول بتأثير فعل الشمس إلى اللون الذي هو عليه ، في حال أن النمر الصغير منذ ولادته يكون لون جلده هو نفس اللون الذي يكون عليه وهو كبير . الرد الثاني على هؤلاء أنه حسب تفسيركم يكون القسم المتعرض للشمس من جلد النمر هو الذي يحمل هذا اللون ، في حال أنّ لون جلده بأجمعه هو هذا اللون الطبيعي الذي على النمر ، والرد الآخر على هؤلاء هو أنّ سائر الحيوانات التي هي مثل النمر تنام تحت الأشجار في الغابات ، فيجب أن يكون لونها مثل لون النمر أيضاً .

أقوال بدون دليل .

المرحوم فخر الإسلام كان في ابتداء حياته مسيحياً ، ثم أسلم بعد ذلك . في كتابه (أنيس الإعلام) كان يجيب ويرد على الماديين ، ومن جملة كلامه أنّ الإنسان المادي لا يتكلم بموجب دليل بل كل ما يتلفظ به من باب التخمين فقط .

إني أتعجب لهذا الإنسان الصغير الحجم وهو يدعي على الله هذه الإدعاءات الكبيرة ﴿ **إنّه كان ظَلُوماً جهولا** ﴾ .

في كتاب ربيع الأبرار للزمخشري أورد حديثاً عن الإمام السجاد (ع) جاء فيه : أراد الإمام السجاد (ع) في أحد الليالي الوضوء لأجل صلاة الليل ، وكان ماء الوضوء بجانبه عليه السلام ، وكان ضوء القمر ينير المكان فبدأ الإمام بالوضوء وأخذ الماء بيده اليمنىٰ وبدأ بوجهه الشريف فوقع بصر الإمام على السماء ، أخذ ينظر إليها وبقىٰ على هذه الحالة رأسه مرفوع إلى الأعلى ويده في الماء وما انتبه الإمام وإلّا

والمؤذن وهو يقول (الله أكبر) فأدرك الإمام عندها أنه بقي على هذه الحالة عدة ساعات . نعم الإمام يجب أن يكون بهذا المستوى من التفكر ، وكل صاحب عقل وإيمان يجب أن يتفكر في خلق السموات والكواكب المنتشرة فيها ، التي لا نهاية لها ولا حصر ، يتفكر في نظامها الدقيق في حركتها وفي النور المنبعث منها في طلوعها وغروبها يجب أن يتدبر في كل ذلك ، ويتفكر أيضاً في تلك العظمة والحكمة والقدرة اللامتناهية التي ابتدعت هذا النظام الدقيق وأتقنت صنعه !! والإنسان إذا تأمّل في السماء بدون تفكر وتدبر بهذا الصنع المتقن للخالق سبحانه ، فهو لا فرق بينه وبين أي حيوان ؛ فالحمار يمكن أن يقع بصره على السماء ولكن دون أي إدراك منه لما ينظر ، فكلما إزداد الإنسان تفكراً وتدبراً في هذا الخلق والصنع العجيب كبر في نفسه وارتقى درجات في عالم الروح والملكوت ، ولكن كلما استغرق في الجزئيات أصبح إنساناً سطحياً تافهاً . فبعض الناس يقصر فكره على أمور الدنيا والناس ومثل هكذا بشر مستواهم هذا ولا يتجاوزوه أبداً . فإذا كان الإنسان كلّ همه منصب على الأمور الجزئية والحياة الدنيا وتأمين الغذاء واللباس والمسكن والشهوة ، وتمام فكره وخياله مركز في الأشياء الموهومة ومراقبة أحوال الناس والحديث عن الماضي والمستقبل ، لكنه لا يفكر مطلقاً في التعرف على مقام الخالق المنعم وشكره ، ولا يشغل نفسه في معرفة الحياة وتأمين الحياة بعد الموت في الآخرة مثل هذا الإنسان تسقط عنه درجة الإنسانية وينزل إلى مستوىٰ أسفل سافلين بل أوطأ من ذلك . وفي مقابل هذا ذلك الإنسان الذي لا يعير أهمية لكل هذه الأمور الجزئية وهو متعلق بالعالم الأعلى إن مثل هذا الإنسان يكون أعلىٰ وأرقىٰ من الملائكة .

من له عيون الخفافيش لا يرى هذه الآيات .

في شأن الآية السابقة يقول بعض المحققين : لو رأىٰ أحد

الأشخاص صورة قد رسمت على حائط ، فإنّ ذهن المشاهد يتوجـه فوراً إلى أن من وراء هذه الصورة رسام أبدع في رسمهـا ، فلماذا البشـر وهم يـرون آيـات الله المختلفـة لا يتـوجهـون إلى هـذا الصـانـع المبـدع ؟! والجـواب على هذا التسـاؤل أن كثرة الشـواهد والآيـات الإلّهيـة التي لا نهاية لها ، شكل غشاوة على العيون الضعيفة وجعلها لا تبصر ، مثل نور الشمس وشدته فأن عيون الخفـاش الضعيفة لا طـاقة لهـا على رؤية هـذا النور ، كذلك البشر فإنّ الإنسان الضعيف البصيرة لا طاقـة له على رؤيـة النـور الإلّهي وآيات الله سبحـانه وتعـالى . والوسيلة التي تقـوي البصيرة لـدىٰ الإنسان هي أداء الفروض التي أوجبهـا الله على خلقـه من الصـلاة والصيام وغيرها من العبادات فكـل مـا هو ملكـوتي وإلّهي يجب أن ينظر إليـه الإنسان بعين البصيـرة ، وأيضاً الإنفـاق في سبيل الله من العبـادات التي توسع عين البصيرة عند الإنسـان ولذلـك جاء الأمـر بالإنفـاق وسائـر العبادات الأخرى من أجـل شرح صـدر الإنسان وتقـوية البصيـرة عنده ، على عكس أمراض البخل والحسد والضغينه .

سئل رسول الله (ص) شـرح الصدر مـاذا يعني ؟ فقال (ص) : هـو نـور يـدخـل قلب الإنسـان ، فقيـل يـا رسـول الله مـا هي عـلامتـه ؟ أجاب (ص) : أن يكون قلبه خاليـاً من الدنيا ومتعلقاً بعالم الآخرة ، وهو مشغـول بعمران الأعمـال التي توصله إلى رضـوان الله . نعم إذا انعكس ذلك النور في القلب فإنّه يدفع الإنسان للتعلـق بالعالم الأعلىٰ ، ويجعـل روحه معلقة بساحة القدس الإلّهية بعالم الخلود .

إنّ الشرع المقدس قد أكد على هـذه الآداب والمستحبات وعينهـا من أجل تقوية روح الإنسان ولكي يسمـو به عن عـالم الماديـات . وعلة هذا الإهتمام من الشرع الأقدس ، لأنّ أغلب أفراد البشر يتعلقون بالمادة التي تعمي بصيرتهم .

أسئلة لا جواب لها .

في هـذه السورة المبـاركة الطور ورد خمسة عشـر حـرف إستفهـام بـ (أم) من أجل توبيخ المشركين ولا جواب لكل هـذه الأسئلة ، مثلاً ، لو أعطيت ابنك صفحة من الورق لكي يكتب عليها ثم غبت مدة ورجعت فوجدت ابنك قد كتب على صفحة الورق ولكن كان خطه سيءُ للغـاية . فتقـول لـه : ألم أُعـطك قلم ؟ ألم أكتب لك السـطر الأول لكي تكتب مثله ؟ كل هذه أسئلة تذكر ولكن لا جواب لها . الله سبحانه أورد خمسـة عشـر سؤال من هذا النـوع في هذه السـورة المباركـة ، مثـل الآيـة ﴿ أمْ خُلِقُوا من غير شيءٍ أم هُمُ الخالقون ﴾ ؟

كتب عن بهلول في أحد حالاته أنه كان في أحد الأيـام جالسـاً في مقبرة فعثر على جمجمة لأحد المـوتىٰ فأزال التـراب عنها وجلس يتـطلع فيها فصادف مرور شخص من هناك فوجد بهلولاً على هذه الحالـة فسألـه لماذا تعمل هكذا وما الذي تتطلع إليه في هذه الجمجمـة ؟ فقال : أريـد أن أعرف أن هذا البشر في الدنيـا كم كان يـدّعي من الإدعاءات الكثيـرة عن قـدرته ، وكيف أنّ دمـاغه صـار تراباً . فما أصغـرك وأعجـزك أيهـا الإنسان !

قبل عدة سنوات وقعت نار في مخزن للذخيرة في شيـراز ، فالتجـأ النـاس كلهم إلى الله ، حتى الذي لم يصلي ركعـة واحدة في عمـره ولم يقل في حياته أبداً كلمة (يا الله) ، من ماذا ؟ من نار الدنيا (فالويـل من عذاب الآخرة) وكانت هذه النار من المحتمل أن تـأتي على مدينـة شيراز بكاملها .

﴿ أمْ عِنْدَهُمْ خزائِنُ رَبِّكَ أمْ هُمُ المُصَيطِرُونَ ﴾

يعني هل عند هؤلاء خزائن الله حتى يعطوا النبوة لمن يريدون ، أم عندهم خزائن العلوم الإلٰهية حتى يعرفوا الشخص اللائق لمنصب ومقـام

النبوة . ﴿ أمْ هُمُ المُصيطرُون ﴾ يعني هل أنّ هؤلاء غلبوا وتسلطوا على كل شيء ، وأصبح كل شيء واقع تحت إرادتهم بحيث إن كل ما يريدونه يفعلونه ، وكل شخص يرغبون فيه يمنحونه منصب الرسالة والنبوة .

يجب أن ندرك تماماً أنّ كل ما في هذا الوجود من أنواع الجمال ، والنعم ، والقدرات ، والحكمة ، والرزق اليومي للإنسان ، والحيوان من الله ، وخزائن جميع هذه الأشياء عند الله سبحانه وتعالى ، وهي تظهر وتنزل إلى هذا العالم بقدر معين معلوم ، كما ورد في سورة الحجر : ﴿ وإنْ مِنْ شيءٍ إلاّ عِنْدَنا خزائنه وما نُنزّلُهُ إلاّ بقَدرٍ معلوم ﴾ . ولأن شرح وتفصيل هذا المطلب يطول بنا المقام به وفهمه إلى حدٍ ما مشكل بالنسبة إلى فهم عموم الناس ، فما يخص الخزائن الإلٓهية نتذكر هنا موردين وهما : الخزائن الإلٓهية الظاهرين والباطنية . فلو دقق الإنسان النظر في مورد الرزق اليومي للإنسان والحيوان وهو مثلاً ، النباتات والحبوبات المختلفة يفهم أنّ خزينة هذه الأشياء وموادها عبارة عن الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار ، أو بالمصطلح الحديث : الأوكسجين ، والهيدروجين ، والفسفور ، والحديد . وواضح تماماً أن البشر لو جُمعوا كلهم وفكروا جميعاً بمكنونات الخزائن الإلٓهية ، لما عرفوا كنهها ولا أحصوا عددها . لأنّ الله سبحانه أخضعها لعلمه وقدرته وحكمته . ويأتي مورد آخر وهو أن العلم والحكمة تعني معرفة الخالق تعالى وجميع أسمائه وصفاته ، ومعرفة أسرار عالم الخلق والإحاطة بالحكمة والمصلحة الإلٓهية في الخلق ، ومعرفة كمال وسعادة البشر ، ومعرفة المعاد والحياة الأبدية بعد الموت . والخلاصة هي الإحاطة بعالم الملك والملكوت . ولا يوجد شك أن أي بشر لا يملك الطريق لمعرفة مكنونات هذه الخزائن الإلٓهية إلاّ إذا تفضل الله عليه بفضله وكرمه وتكرّم عليه بعطاء الفهم والحس والإدراك .

والعطايا الإلٓهية لها مراتب وأعلى مرتبة لهذه العطايا ، هو الوجود

المبارك للرسول محمد بن عبد الله (ص) وقد وضع سبحانه تمام خزينة العلم والحكمة في قلبه المبارك . وقد قال الإمام أمير المؤمنين (ع) في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم : « وقلبه خزانة الحي الّذي لا يموت » ولأنّ الله تعالى اختار عبده محمد (ص) للرسالة ووضع في قلبه الشريف خزينة العالم والحكمة ﴿ **وعلّمك ما لم تكُن تَعْلَم** ﴾ ، لا يحق لأي بشر الإعتراض والمزايدة في الكلام حول هذا الأمر ، فهؤلاء لا يملكون خزائن علم الله بل الخزائن كلها بيد الله وأعطىٰ خزينة العلم لعبده محمد (ص) ، وإنّ البشر جميعاً استفادوا من العلوم الإلٰهية التي منحها الله لرسوله (ص) واهتدوا إلى طريق سعادتهم أما الكفار فكان حالهم يختلف تماماً فالكفار والمشركين ومنكري الرسل بدل أن يستفيدوا من هذه النعمة (نعمة وجود الرسول) والذي بعثه الله من أجل هدايتهم ، ولكنهم استبدلوا النعمة بالكفران فخالفوهم وناصبوهم العداء وأوقعو بهم الظلم والعسف . فإن الله في هذه الآية يقول: هل عند هؤلاء خزائن ربّك (يا محمد) ، أم أن خزائن الله الظاهرية والباطنية بيد الناس وأنت محتاج إليها ؟ إنّ هؤلاء لا يعرفون الله ولا يسألون الله ولا يقولون كلمة (يا الله) ، ولو أراد الله أن يغلق باب النعمة عليهم فماذا يحصل ؟

ذكر أنّه في سنة ١٢٩٧ هجري حصلت مجاعة وقحط شديدين لسبع سنين في مدينة شيراز ، كان الناس فيها لا يحصلون على رغيف الخبز ولم يكن القحط وحده هو الذي حلّ بالناس ، بل السيل والزلازل وعدم سقوط المطر والأوبئة الفتاكة ، مثل وباء الطاعون ، من المعلوم كم قاسىٰ الناس في تلك السنين العجاف وكيف مرت عليهم ؟ قيل أن شخص من الفضوليين الذي لا إيمان لهم قيل له : لو أراد الله أنْ يجفف ماء كل العيون التي على الأرض فمن أين تأتي بالماء ؟ فقال هذا الرجل الذي لا حياء له مطلقاً : ليس الأمر بالصعب ، وأتىٰ ببعض أدوات الحفر وبدأ يحفر في الأرض حتى خرج الماء منها ، ولكنه عندما قام في الصباح وجد أن ماء عينيه قد جف وهو لا يبصر بهما ، ولم يكن هناك

أحد من الأطباء يقدر على علاجه ، يعني الله سبحانه قادر أن يجفف ماء عينك التي في رأسك وهي أسوأ من جفاف عين الماء التي في الأرض فيجب أن تخشاه سبحانه واشعر بأنك محتاج إليه دائماً .

الموت يُعري الإنسان

المرحوم السيد نعمة الله الجزائري ينقل في كتابه زهر الربيع عن مراسم غريبة كانت تجرى في الهند فيقول : كل سلطان كان يموت هناك ويترك هذه الدنيا الفانية ، توضع جنازته في النعش ويخرجون يده من النعش ثم يفتحوا كف يده ، وتحمل الحاشية النعش ويدورون به في المدينة وهم ينادوا هذه جنازة السلطان ، لكي يرى الناس يد السلطان المفتوحة الخالية ، وإنه رحل عن هذه الدنيا ولم يأخذ من حطامها شيء .

إنّ كلمة مصيطر لغة تعني الغالب والقاهر ، ولا يكون الإنسان تحت سلطان الإنسان الآخر ، فهل يوجد أحد غير الله مصيطر ؟ أين ، إنّما هؤلاء يدّعون إدعاءاً وحياة البشر كلهم تنطفىء بالموت .

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَستَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾

السلّم هو الوسيلة التي يستخدمها الإنسان للإرتقاء إلى شيء مرتفع فهل عند هؤلاء سلّم يرتقون به إلى السماء ، ليسمعوا حديث الملائكة ويعرفوا ما يوحىٰ إليهم ، ليطلعوا على الماضي والمستقبل (أي عالم الغيب) . ومن جملة ما قال هؤلاء : هو إمّا أن يموت محمد (ص) قبلهم ، أو أنهم سوف يغلبوا محمد (ص) على أمره ، فإذا كان أي شخص من هؤلاء يدّعي مثل هذا الإدعاء وهو أنّه يسمع حديث الملائكة ويطلع على عالم الغيب ، يجب أن يأتي بدليل واضح وصادق على إدعائه . فكل شخص يدّعي بأنّه عثر على طريق يوصله إلى العالم الأعلىٰ (غير مقام النبوة) عليه أن يأتي بالحجة والدليل . الله سبحانه

أشار إلى أن هؤلاء أطلقوا كلامهم أمام النبي (ص) بدون شعور منهم ، وبدون شعور تَقَوّلُوا على الله سبحانه وقالوا أنّ الملائكة بنات الله .

﴿ أمْ لَهُ البَنَاتُ ولَكُمُ الْبَنُونَ ﴾

إنّ الله سبحانه ليس بجسم حتى يكون له أولاد ، وأسوأ من هذه التهمة والافتراء عليه سبحانه ؛ إنّ الله له بنات (لأنّ العرب في الجاهلية كان يسوؤهم جداً إذا جاءت لأحدهم البنت ، وكانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء في التراب) ، إنّ حديث هؤلاء الجهلة بمنتهىٰ السفاهة واللاعقل ولذا خاطبهم الله عز وجل ﴿ أمْ لَـهُ البناتُ ولكُمُ البنون ﴾ . فهل مثل هكذا إنسان يملك القابلية للإتصال بالعالم الأعلى ويسمع حديث الملائكة ؟ والخلاصة أنّ حماقة هؤلاء كانت في نسبة الأولاد إلى الله ، والأسوأ من ذلك هو نسبة البنات إليه سبحانه ، وهي نسبة ما يسوؤهم إلى الله عز وجل . فهل مثل هذا الإنسان عنده قابلية الإتصال بالعالم الأعلى ومعدن العلم ؟!

﴿ أمْ تَسْئَلُهُمْ أجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرمٍ مُثْقَلُونَ ﴾

وهنا يأتي استفهام آخر ويعني : هل تريد من هؤلاء الأجر والأُجرة على الرسالة لكي يكون في عهدتهم حِمْلٌ ومسؤولية ثقيلة ؟ والغرامة في هذه الآية (مَغْرمٍ) تعني الضرر المادي الذي يحصل بدون جناية . ومثقلون تعني : أنّهم حُمّلوا بما يثقلهم . وهذا المطلب تكرر في القرآن الكريم في أكثر من موضع لكي يذكّر الأنبياء والرسل أن لا يطلبوا أجرهم وأجرتهم من الناس ، وأن لا يطمعوا بما في أيدي الناس . فهل بحكم العقل والمنطق اتباع إنسان يهديني وهو ناصح لي وعطوف وليس عنده طمع ليس بواجب ؟! وفي سورة يسٰ يقول الله عز وجل : ﴿ إتّبِعُوا مَنْ لا يسألكُمْ أجراً ﴾[1] ، الإنسان الروحاني ليس عنده أيّ تعلق بالماديات

---

(١) سورة يسٰ : الآية ٢٣ .

وهو يعلم بـ ﴿ إنّ الله هو الرّزاق ﴾ فالروحاني يتعامل مع الله سبحانه وهو لا يرىٰ غير الله في كل شيء ﴿ قُل لا أسألُكُمْ عليه أجراً ﴾ . وكان داود (ع) يعمل سفائف الخوص بيده ويبيعها في السوق ويأكل من عمل يده ، وقد علّمه الله هذه الصنعة . وكان خليل الله إبراهيم (ع) يرعىٰ الغنم ، ليكون في ذلك حجة على الخلق جميعاً . وإنّ الإمام علي بن أبي طالب (ع) يقول في شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم : خاتم الأنبياء (ص) كان أخمص الناس بطناً .

قال ابن عمر : كنت في أحد الأيام أمشي مع رسول الله (ص) حتى وصلنا إلى نخلة ، وكان بعض حبات التمر قد سقطت منها على الأرض فجمعها عليه أفضل الصلاة والسلام وأزال ما عليها من التراب ثم قال لي : تفضل كُل معي ، فقلت : لا أرغب في الأكل يا رسول الله . فقال (ص) : هذا طعامي منذ ثلاثة أيام .

الرسول (ص) لم يعر مال الدنيا أهمية .

كان شخص يدعىٰ عبد الرحمن ، ويعتبر من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة على عهد النبي (ص) . جاء يوماً إلى النبي (ص) يخطب ابنته فاطمة الزهراء (ع) وقال له : إذا شرفتني بالموافقة على الزواج من ابنتك فإني على استعداد أن أفرش الأرض من منزلك إلى منزلي بالحرير والأستبرق (ومع المهر الكبير الذي ذكره الرجل من أجل الزواج من فاطمة (ع)) أجاب النبي (ص) : إنّ أمر فاطمة ليس بيدي ، ولكن ما يأمر به الله . نعم فإن زوج الزهراء (ع) يجب أن يكون علي أمير المؤمنين (ع) . وتقول الرواية إنّ عبد الرحمن هذا أعطىٰ مفاتيح جميع خزائنه للرسول (ص) من أجل أن يوافق، ولكنه (ص) قال : إنّ آخره الموت . الإمام علي (ع) يقول : لو لم يكن فيّ أي عيب أو نقص ما عدا إنّي أحب ما لا يحبه الرسول (ص) ، لما نفعني كل ما أنا عليه من كمال ، وكان النبي (ص) لا يحب الدنيا أبداً .

المشركين الذين أعرضوا عن الرسول (ص) ، هل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد شيئاً من هؤلاء حتى يعرضوا عنه كل هذا الإعراض ؟!

موسىٰ (ع) وقرص خبز الشعير .

الإمام أمير المؤمنين (ع) وفي أحد خطب نهج البلاغة ذكر أسماء عدد من الأنبياء من جملة هؤلاء موسىٰ بن عمران (ع) حيث قال عنه : (وَكَانَ يأكُلُ بَقْلَةَ الأَرضِ ، ولقدْ كانَتْ خُضْرَةُ البَقْلِ تُرىٰ مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطنِهِ) ، وبعد أن استسقىٰ لبنتي نبي الله شعيب (ع) ، وأعطته إحداهن قرص خبز الشعير شكر الله وأثنى عليه وقال : ﴿ **رَبِّ إنّي لما أنزلتَ إليّ من خيرٍ فقير** ﴾ .

عيسىٰ بن مريم (ع) كان فراشه التراب وسراجه القمر . وكان النبي الأكرم (ص) عندما يرىٰ الساتر على باب بيته وفيه التصاوير ، يقول يا فلانة ـ لإحدىٰ أزواجه ـ غَيّبيهِ عنّي فإني إذا نَظرتُ إلَيْهِ ذكرتُ الدُنيا وزَخارِفَها .

المرحوم المجلسي ينقل في كتابه بحار الأنوار عن الرسول (ص) أنه كان عندما يعود من السفر ، فإنّ أول منزل يدخله هو منزل ابنته فاطمة الزهراء (ع) وفي أحد الأيام عندما كان عائداً من السفر دخل على ابنته الزهراء (ع) فرآها وقد تزينت بعقدٍ في رقبتها وبأساور في يديها وبحلق في أذنيها فخرج الرسول (ص) غاضباً من المنزل ، فأدركت الزهراء (ع) علة خروج أبيها من المنزل ، فاستدعت الحسن والحسين (عليهما السلام) وخلعت ما عليها من الزينة وأرسلتها إلى رسول الله (ص) بيد الحسنين (عليهما السلام) وقالت لهم : قولا لجدكم فليصرفها في سبيل الله . فقال الرسول (ص) . ثلاث مرات (أبُوهٰا فِدٰاهٰا) ، ثم قال للحسنين (ع) : يا آل محمد مالكم والدنيا . لو

كانت الدنيا تساوي عند الله مقدار جناح بعوضة لِما سقىٰ فيها الكافر شربة ماء .

الدنيا دار مَنْ لا دار له .

الأنبياء كانوا يروا عالم الآخرة ويطلعوا عليه لذا لم يعروا الدنيا أية أهمية . وكل من ليس له دار في هذه الدنيا الفانية يعاني ويتعذب ، ولهذا يقول رسول الله (ص) : الدّنيا دارُ مَنْ لا دَارَ له ومالُ مَنْ لا مالَ له ولهَا يبني من لا عَقْلَ له . الأنبياء العظام منزهين عن الطمع في الدنيا . أمّا بالنسبة إلى مسألة الخمس والزكاة ، فأولاً : الزكاة تعتبر واجبة في شرع جميع الأديان ، وثانياً : ليس للزكاة تعلق وارتباط بالأنبياء عليهم السلام بل هي تصرف من أجل عموم الفقراء ، أمّا بالنسبة إلى ذرية الرسول (ص) فالزكاة محرّمة عليهم . وتؤخذ الزكاة من أجل تطهير المال ، وممّا ورد في خطبة الزهراء(ع) : (والزكاة منماةٌ للمال) . فما مقدار هذه الزكاة ؟ بالنسبة إلى الذهب المسكوك والفضة المسكوكة فزكاتها بنسبة واحد إلى أربعين ، أي كل أربعين مثقال زكاته مثقال واحد . أمّا بالنسبة للمزروعات فالزكاة بنسبة واحد إلى عشرين ، ومزروعات الأرض التي تسقىٰ بماء المطر تكون بنسبة واحد إلى عشرة ، أمّا الخمس ففي أول كل سنة إذا كان المال كثير يؤخذ بنسبة واحد إلى خمسة . ويعطىٰ لذرية الزهراء (ع) وكل ما يصرف من المال خلال السنة لا خمس عليه .

الخمس من أجلك أيها الإنسان .

في المجلد الحادي عشر من كتاب بحار الأنوار يورد رواية عن معجزات الإمام الصادق (ع) : جاء أحد الشيعة إلى الإمام الصادق (ع) بمال كثير بعنوان الخمس ، وكان هذا الشخص معجب بنفسه ، ومستكثر على الإمام ما جاء به من مال ، وما أنْ رأىٰ الإمام (ع) ذلك حتى أمر

غلامه بأن يأتي بطشت كان في زاوية البيت ، ثم دعىٰ الإمام ببعض الكلمات فانقلب الطشت وبدأت تسقط منه الدنانير في ساحة المنزل حتى حالت بين الغلام وذلك الرجل ، ثم التفت الإمام إلى ذلك وقال : إذا كان الله سبحانه قد أعطاني بقدرته كل هذا المال ، فهل تراني محتاج إلى مالك ؟! ثم قال (ع) : إنّما يأخذ منكم ما يأخذ لِيُطهّركُمْ .

إنّ مقَصود الآية الشريفة واضح تماماً ، وهو أنّ رسول الله (ص) لا يريد شيئاً من أهل الدنيا . والإمام علي (ع) يقول : لقد رحل رسول الله (ص) عن هذه الدنيا ولم يترك حجراً على حجر . كان بيت رسول الله (ص) من أغصان وورق النخيل ويقول بعض العلماء : كانت هناك محاولات للإبقاء على بيت النبي بما هو عليه لكي يرىٰ المسلمون بعد قرون من الزمان كيف كان يعيش نبيهم .

يعيش مثل المسافر .

سلمان الفارسي سلام الله عليه (لا حاجة إلى تعريفه فالكل يعرف من هو سلمان الفارسي صاحب الكرامات وخوارق العادات) عند موته بكىٰ فقيل له لماذا تبكي يا سلمان ؟ أجاب : إني أخاف أن ألاقي رسول الله (ص) ولم أفي بعهده . فقيل له : مثلك يبكي ، فماذا يفعل الآخرين ؟ فقال سلمان : في حجّة الوداع أخذ رسول الله (ص) بحلقة الكعبة وقال : « وَليكُنْ بُلْغَـةُ أَحَـدِكُمْ كـزاد الـراكب » . وكانت حياة الرسول (ص) كما قال هو (كزاد الراكب) وكان (ص) يقول لسلمان : كن من أهل التوحيد وأعمل لآخرتك واترك الماديات ، والحسد والبخل والطمع لأنها من أخبث صفات الإنسان . هذه نصائح الرسول (ص) ، وهو لم يتوقع أجراً من أحد في مقابل ذلك ، ومَنْ الذي يستطيع أن يكافىء الرسول (ص) غير الله سبحانه وتعالى ؟ النبي يقول : « قولوا لا إله إلاّ الله تُفْلِحُوا » .

﴿ أَمْ عِندهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾

فهل عند هؤلاء ما هو مدون في اللوح المحفوظ وعندهم مكتوب أن أخبار الرسول (ص) حول المبدأ والمعاد غير صحيحة ، أو أنهم يكتبون ويخبرون أن محمداً (ص) سوف يموت وتصبح دعوته باطلة .

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فالذين كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ ﴾

يعني هل أن هؤلاء يريدوا المكر والكيد بك ، ومن أجل إزالتك ومحو دعوتك ، اجتهد الكفار بالكيد لك والتصدي لدعوتك ولكن وبال عملهم هذا إرتد عليهم . وكان من نتيجة ذلك أن قُتِلَ أغلب المشركين في معركة بدر وارتد الباقين على أعقابهم ، ثم تحطمت أصنامهم في مكة بعد ذلك وانتصرت دعوة محمد (ص) . والمراد من كيد المشركين في هذه الآية يقول بعض المفسرين الكيد هنا يعني الإفتراءات والتهم المختلقة التي كان الكفار ينسبوها إلى رسول الله (ص) ويقولوا بأنّه شاعر ومرة بأنّه كاهن ومرة بأنه مجنون ، وكان غرضهم من كل هذه الإفتراءات والتهم ؛ لكي يبعدوا الناس عن رسول الله (ص) حتى لا يسمعوا حديثه ويتأثروا به وبالتالي لا تصل دعوته إلى المجتمع المكي حيث كانوا يعيشون في جاهلية مطبقة ، وبذلك التدبير يطفأ نور الله ، ولكن وبال كيدهم عاد إلى نحورهم ، فلم يستطيعوا أنْ يقفوا أمام انتشار الدعوة الجديدة . وثانياً : إنّ هؤلاء السّيّءِ الحظ حرموا من سعادة الدنيا والآخرة ، وفي مقابل كيدهم لم يوفقهم الله وختم على قلوبهم .

ولكن بعض المفسرين يقول : إنّ الكيد في هذه الآية يرجع إلى اجتماع المشركين في دار الندوة واتخاذهم القرار بقتل رسول الله (ص) ، ولكن الله سبحانه رد كيدهم إلى نحرهم وأمر رسوله بالهجرة وحتى وقعت معركة بدر وقُتِلَ فيها أغلب المشركين . وخلاصة القصة أنّ المشركين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيما بينهم بأنّ رسول الله (ص) لو رحل إلى المدينة والتف الناس حوله تقوىٰ بذلك شوكته ، ويصبح من العسير

مقاومته . وبينما هم مجتمعين في دار الندوة دخل مجلسهم هذا الشيطان بصورة شيخ كبير السن ، وأول متكلم في هذا المجلس كان أبو جهل فقال : إنّ محمد أفسد علينا عقيدتنا وطأطأ بذلك رؤوسنا إلى الأرض ، يجب أن نستأجر من يقتل محمد (ص) ويريحنا منه ، فقال الشيطان إنّ هذا العمل غير ممكن لأنّ قتله ليس بالأمر الهين ، كما أنّ بني هاشم لا يمكن أن يقفوا مكتوفي الأيدي . فقال أمية وأبو سفيان : يجب أن نضع القيد والحديد في يدي محمد (ص) وقدميه ونرميه في السجن ، فاعترض الشيطان أيضاً وقال : إنّ هذا العمل لا يمكن تحقيقه ، لأنّ بني هاشم لا يمكن أن يتركوه ، وإذا لم يستطيعوا إنقاذه ففي موسم الحج يستعينوا بالآخرين من أجل إنقاذه . فقالوا : نربط محمد (ص) على جمل عاري ونطلقه في الصحراء حتى يموت . فاعترض الشيطان مرة أخرى وقال : إنّ هذا العمل غير ممكن ، لأنّ محمد (ص) بهذه الفصاحة والبلاغة سوف يجذب الناس إليه ويؤثر فيهم ولا يمكن أن يتركوه يموت . الشيطان بهذا الكلام جذب إنتباه كل الحاضرين في ذلك المجلس ، ثم عرض (الملعون) عليهم فكرته وهي أن يختاروا من كل قبيلة شخصٍ واحد ، وحتى من قبيلة بني هاشم يؤتىٰ برجل واحد ، ثم يقتلوا محمداً (ص) مجتمعين ، عندها يضيع دمه بين القبائل ولا يقوىٰ بنو هاشم على مواجهة كل القبائل . إستحسن الجميع هذه الفكرة وعزموا على تنفيذها في تلك الليلة . فنزل جبرئيل على النبي (ص) وأخبره بعزم المشركين على قتله ، وبأنّ الله يأمره بالهجرة إلى المدينة وأن ينام علي (ع) في فراشه . إنّ رحيل النبي (ص) في ذلك الوقت يعتبر مشكلة بحد ذاته ، لأنّ الرسول (ص) عرف بالأمانة بين الناس وعنده أمانات كثيرة للناس يجب أداءها . ومن ناحية أخرىٰ هل يترك زوجته وابنته فاطمة الزهراء (ع) ؟ ولكنه أمر الله سبحانه وعليه تنفيذه ، فقرر أن يترك علي (ع) للمحافظة على عياله وحفظ الأمانات وأداءها .
والخلاصة لقد نام علي (ع) في فراش الرسول (ص) واعتقد المشركون

بأنه محمد (ص) وقد عقدوا العزم على قتله في تلك الليلة ، ولكن أبو لهب اعترض وقال : إنّ في البيت امرأة فاتركوه إلى الصباح ثم اقتلوه .

الله سبحانه يتباهىٰ بعلي (ع) .

هناك رواية ينقلها الشيعة والسنة على حد سواء ، وقد أوردها حجة الإسلام الغزالي في كتابه إحياء العلوم . ومضمون الرواية تقول : إنّ النداء الإلٓهي بلغ جبرئيل وميكائيل بأنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الثاني ، فأيّكما يتنازل بطول العمر لأخيه ؟ فسكت الإثنان ولم يجيبا كراهية بالموت . فجاء النداء : لماذا لا تكونا مثل محمد (ص) وعلي (ع) فقد آخيت بينهما وإنّ علياً (ع) فدىٰ محمداً (ص) بنفسه .

وورد في الروايات أيضاً أنّه بعد أنْ جاء الأمر الإلٓهي للنبي (ص) بالهجرة وبأنْ يترك علياً (ع) في فراشه ، قال النبي (ص) لعلي (ع) : إنّي أخشىٰ عليك من المشركين ، ولا أضمن بقائك سالماً . فكان موقف علي (ع) مشرفاً حيث أظهر كامل الإستعداد بأن يقتل في سبيل الله وفي سبيل رسول الله (ص) .

السيد بن طاووس في كتاب الإقبال ذكر مفصلاً ما دار بين النبي (ص) وعلي (ع) في هذا الشأن . والخلاصة جاء الأمر الإلٓهي إلى جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) بأن اهبطا إلى الأرض واحرسا وليِّ علي بن أبي طالب ، فوقف جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند قدميه وقالا : بخٍ بخٍ لك يا علي .

ورد عن أكثر المحدثين من أهل السنة قولهم : ما أعظم الفداء الذي قدّمه علي (ع) في سبيل رسول الله (ص) ، حتى إنّ الله سبحانه باهىٰ به ملائكته . وعند الصباح اقتحم المشركون منزل النبي (ص) ولكنهم لم يجدوه وفوجئوا بعلي (ص) في فراشه ، فقال أبو جهل : ماذا

فعلت بمحمد (ص) ؟ فقال علي (ع) : هل أودعت محمداً (ص) بيدي لتسألني عنه ؟ فقال أحد المشركين ما دام محمد قد ذهب فيجب أن نقتل علياً مكانه . فقال أبو جهل : لا تفعلوا ذلك ، لأنّه شاب ولا عقل له . فقال علي (ع) : إنّ الله قد وهبني من العقل ما لو قُسّمَ على جميع أهل العالم لما بقي مجنون على وجه الأرض ، وأعطاني من القوة ما لو وزعت على جميع الناس لما بقي ضعيف على الأرض . عندها تقدم رجل يدعىٰ أبو البختري شاهراً سيفه على الإمام أمير المؤمنين (ع) ليقتله ، فأمسك علي (ع) بيمينه وشد عليها ، فسقط السيف من يده وارتعد هو وسقط على الأرض فقبض الإمام (ع) على هذا الملعون من خلفه وأخذه ودفع به خارج المنزل .

إتّباع المشركين لآثار النبي (ص) .

نادى المنادي في مكة مَنْ جاء بمحمد (ص) أو جاء بخبر عنه فله مائة من الإبل جائزة له ، وكان هناك رجل يعرف بين العرب بأنّه خبير باقتفاء الأثر ، فجاء هذا الرجل وقال : هذا أثر قدم محمد (ص) وهو شبيه بقدم إبراهيم (ص) ، فانطلق المشركون من ذلك المكان في أثر النبي (ص) حتى وصلوا إلى جبل يقال له (جبل ثور) وكان فيه غار (وعندما كان النبي (ص) متوجه إلى هذا الغار رأىٰ في الطريق أبو بكر فأخذه معه ليصاحبه في طريقه) عندما وصل المشركون إلى باب الغار قال أبو بكر : يا محمد (ص) سوف يأتوا ويعثروا علينا ، فقال النبي (ص) : هل تخاف على اثنين ثالثهما الله سبحانه ، ولكن أبو بكر لم يهدأ . ولكن النبي (ص) كان رابط الجأش ومطمئن فأشار إلى شجرة قريبة من الغار فاقتربت بقدرة الجليل عز وجل وثبتت عند باب الغار ، ثم جاء العنكبوت ونسج عند الغار، ثم جاءت حمامة وجمعت عشاً وباضت هناك . وعندما وصل المشركون إلى مسافة عشرين ذراعاً من الغار ، عندها قال الرجل الذي كان يقتفي الآثار : إلى هنا تنتهي آثار أقدام

محمد (ص) ولكني لا أعرف هـل ابتلعته الأرض أم صعـد إلى السماء . فقال بعضهم : لقد دخل الغار . فقـال البعض الآخر : لا يمكن ونسيـج العنكبوت وبيض هذه الحمامة يدل على أنّه لم يـدخل الغـار أي شخص ومنذ مدة ، فأجمعوا على أنه لا يوجد في الغار أي أحد ، ثم رجعوا على أعقـابهم خاسئين . ﴿ **ويمكـرون ويمكر الله ، والله خيـر الماكـرين** ﴾ . وهنا نشير إلى أنّ المكر الإبتدائي عقلاً قبيح وشرعاً حـرام ، ولكن المكر الجزائي عقلاً ممدوح وشرعاً جائز .

﴿ فَالّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ ﴾

لقد أعمى الله أبصار المشـركين بنسيج العنكبـوت وبيض الحمامـة التي كـان في باب الغـار . لقـد كـان أبـو بكـر في داخـل الغـار يـرتعـد ويرتجف ، ولكن النبي (ص) كان قـوي القلب ثابت في عقيـدته متـوكل على الله ، وبعـد أن رجـع المشـركـون خـائبين ، بعث النبي (ص) إلى علي (ع) يأمره بأداء جميع الأمانات واللحـاق به إلى المـدينة وأن يحمـل معه الفواطم أي : فاطمة الزهراء (ع) ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمـة بنت الـزبير بن عبـد المطلب ، وبعض الضعفـاء من المسلمين . وأدىٰ الإمام علي (ع) كل ما أمره الرسول به وحمل الفواطم وسار يريد المدينة وحاول المشـركون منعـه ولكن سيف أمير المؤمنين (ع) كـان لهم بـالمـرصـاد ، وقصة مواجهته لهم مشهورة .

ما جرىٰ خلال الطريق .

تحرك النبي (ص) وأبو بكـر باتجـاه المدينـة ، ولكن المشركين لم تهدأ ثائرتهم بعد وكانوا قـد عينوا جـائزة مـائة من الإبـل لمن يقبض على محمـد (ص) أو يأتي بخبـر عنه ، وكـان هناك رجـل من الأعراب يـدعىٰ سـراقـة بن مـالـك طمـع في الجـائـزة ، فـركب فـرسـه وانـطلق يـطلب النبي (ص) ، وعندما علم الرسول (ص) بذلك أخـذ يدعـو ربه أنْ اكفني

شر سراقة ، وما أن انتهىٰ النبي (ص) من دعائه حتى غارت أرجل الفرس في الأرض وانقلب سراقة على وجهه فانطلق ماشياً حتى أدرك النبي (ص) فقال : يا محمد إنّي أعلم أنّ ما حلّ بي من البلاء هو بسبب دعائك ، فادعو ربك أن يخلص فرسي وأنّي أقسم لك بأني سأكفيك شرّي ، فدعا النبي (ص) ربه حتى قام الفرس من مكانه ، وعندما ركب سراقة فرسه عاد يطلب النبي (ص) مرة أخرىٰ ، فوقع الفرس كالمرة الأولى وعاد سراقة يرجو النبي (ص) أن يخلص له فرسه ، فعل ذلك ثلاث مرات وفي المرة الثالثة قال : يا محمد هذه إبلي وغلامي وقوسي خذها وخذ كل ما يلزمك مني ، وإنّي سوف لا أترك أحداً يتبع أثرك بعد ذلك . فقال النبي (ص) لا حاجة لي بمالك .

وخلال الطريق إلتقىٰ رسول الله (ص) برجل فسأله عن إسمه ، فقال الرجل إسمي (بُرَيدة) . فقال النبي (ص) : بَرُدَ أمرنا (أنّه تفاؤل بالخير) ثم سأله من أيّ قبيلة أنت ؟ فقال الرجل : مِنْ بني أسلم . فقال النبي (ص) : سلمنا والحمد لله . وبعد هذه المحاورة عرض الرسول (ص) عليه ، فأسلم بُريدَة وسبعون رجلاً ممن كانوا يرافقوه ، ثمْ قال بُريدَة لرسول الله (ص) : لا نذهب إلى المدينة هكذا فاسمح لي أنْ أكون حامل رايتك . فقال رسول الله (ص) : كما تحب يا بُريدَة (وبُريدَة هذا كان من أصحاب رسول الله (ص) وعلي (ع)) . ثم خلع بريدة عمامته وجعلها علماً وحمله ليكون راية لرسول الله (ص) وهو في طريقه إلى المدينة .

والخلاصة بعد إثني عشر أو ثلاثة عشر يوماً وصلَ النبي (ص) إلى المدينة ، وخلال الطريق مرّ هو وصاحبه أبو بكر بامرأة يقال لها (أم معبد) ، فسألها النبي (ص) ماذا يوجد عندك ؟ فأجابت المرأة : ليس عندي إلّا واحدة من الغنم (شاة) ضعيفة ومربوطة لا أقدر على رعيها في الصحراء . فقال النبي (ص) هلى تعطي نعجتك حليب ؟ فقالت :

لا . فاقترب النبي (ص) منها ومسح على ضرعها بيده الشريفة ، ثم حلبها فتدفق الحليب منها بغزارة وشرب الجميع وشربت (أم معبد) ، وظلت الشاة يدرّ الحليب منها بغزارة ببركة رسول الله (ص) ، وعاشت الشاة بعد ذلك ثمانية عشر سنة حتى أدركت زمان عمر بن الخطاب .

رواية أخرى تقول إنّ النبي (ص) قَدِّمَ له التمر وبعد تناوله لبعض منها قام النبي الأكرم بزرع نوىٰ حبات التمر بنفسه فنبت عدد من شجر النخل في تلك المنطقة . ورواية أخرى تقول إنّ النبي الأكرم (ص) توضأ عند شجرة الشوك الصحراوي ، وبعدما نزل ماء الوضوء على كعب تلك الشجرة ، نمت واخضرّت وأخذت تعطي من الثمار ما كان فيه شفاء لكل مرض، وكل جائع وعطشان يأكل من ثمرها يرتوي ويشبع . وبعد وفاة الرسول الأكرم (ص) نقص ثمار هذه الشجرة ، وبعد وفاة الإمام أمير المؤمنين (ع) لم تعد تعطي هذه الشجرة ثماراً ، وبعد استشهاد الإمام الحسين (ع) يبست الشجرة وماتت . والخلاصة : بعدما ترك الرسول الأكرم (ص) المكان عند أم معبد وسار في رحلته باتجاه المدينة . جاء زوج هذه المرأة فوجد أن الوضع تغيّر عند أم معبد ، فالشاة التي لم تكن تحلب منذ سنوات وجد الحليب يدرّ من ضرعها بغزارة . فقصت أم معبد لزوجها ما كان من شأنها مع النبي الأكرم (ص) وصاحبه ، فكانت هذه الحادثة سبباً في إسلامه وإسلام قبيلته .

بعد ذلك وصل الرسول (ص) إلى موضع يقال له قبا وبقي هناك ولم يتحرك من ذلك المكان بانتظار ابن عمه الإمام علي (ع) ، بعد ذلك وصل علي (ع) ، ومن كان معه من المسلمين والفواطم بعدها عزم الرسول على التوجه إلى المدينة ، وتفصيل ذلك يوجد في محله من الكتب . لقد انطلق الرسول (ص) في هجرته من مكة في أول ربيع الأول ونزل المدينة في اليوم الثاني عشر من نفس الشهر ، وتنازع أهل المدينة فيما بينهم حول أيّهُمْ يتشرف بنزول النبي (ص) ضيفاً عليه . فقال النبي (ص) : اتركوا الناقة فإنّها مأمورة وفي أي مكان تقف فيه فإنّي

سأنزل هناك . وتركت الناقة تسير حسب ما هي مـأمورة حتى وقفت عنـد منـزل أبي أيّوب الأنصـاري ونـزل النبي (ص) هنـاك وبقي لمـدة ستٍ أو ثمانية أشهر وبعدها انتقل من ذلك المكان .

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٓهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾

وهنـا يأتي استفهـام مهم آخر وفيـه خطاب لمشـركي مكة ، ولكنـه استفهام كلي وعام إلى يوم القيامة .

فهل لهؤلاء إلّهٌ غير الله سبحانه وتعالى ؟ هل لهم غير الله يسألونه ؟ وفي البلاء يكونون في حفظه ويطلبون منه حاجاتهم ؟ إنْ الله سبحانه منزّه عن أن يكون له شريك .

الفرق بين الله وإلّه .

إلّه على وزن كتاب مصـدر من اَلِهَ ، يـأْلَهُ ، إلّهـاً . بمعنى المعبود ودون شك أنّ المعبود بحق هو المنعم الحقيقي ، وكل النعم في الـوجود منه تعالى ، بل أن كل البشر وتمام النعم وكـل شيء في هذا الـوجود من الله سبحانه ، ولا يسأل إلّا هو العلي القـدير . والعبـادة تعني اللجوء إلى الخالق سبحانه ، وأن يكون الإنسان في حضرته ذليلاً منقاداً ، خاضعـاً ، خاشعاً وفي منتهىٰ الذلة والإنقياد والخضوع والخشوع ، وفي كل شيء يمكن أن يطلبه العبد من معبوده . وبعض البشر يعبد الأصنام ، يعني العبد حيّ ذي روح يعبد جماداً لا روح له ، وبعض هؤلاء كان قبل سبعمائـة مليون سنة أو أكثر في الصين واليابان والهنـد . وينقل بعض الأصحـاب أنّه رأى في معبـد في الهند عـابد هنـدي وقف لسبع سـاعات بشكـل قنوت أمـام الصنم يتعبد . لماذا لا نفعل نحن هذا أمام الله سبحانـه ؟! وهناك روايـة تقول كل من طال قنوته في الدنيا ، هان حسابه يوم القيامة .

وجماعة أخرى تعبد القصور وتعشق جمال النساء ، والنساء يعشقن

الحلي والمجوهرات ، وهناك من يعبد الشجر في الهند ، وهناك نوعان من الشجر في الهند يُعْبَدُ من دون الله . وجماعة آخرين يعبدون البقر ، وإنّ عباد البقر هؤلاء من أسوأ خلق الله فإذا رأىٰ أحدهم امرأة فإنّه يعطيها كل شيء تريده منه ، بل هو على استعداد أن يعطيها كل شيء ، يعني ماله ، وبدنه ، وقلبه ، وروحه ويكون أمامها ذليل خاضع . والخلاصة يجب أن يكون الخضوع والخشوع والإنقياد كله لله سبحانه وتعالى .

وهناك طائفة أخرى في الهند يعبدون الشمس والقمر والنجوم وبالخصوص كوكب (الزهرة) فيوجد الكثير من الذين يعبدون هذا الكوكب . وهناك من يعبد مثيله من البشر ويخضع له . في كتاب لوامع البيّنات للفخر الرازي ينقل عن عمران بن حصين أنّه قال : سألني رسول الله (ص) يوماً ، كم إلّه تعبد ؟ فقلت : ستة أو سبعة في الأرض وواحد في السماء (لأنّ الأصنام كانت كثيرة في قبائل العرب وكل شخص يعبد واحد أو أكثر من الأصنام) . فقال النبي (ص) : « وأيّهُمْ تَعْبُد لرغبتك ورهبتك » ؟ فقلت : خالق السماوات . فقال النبي (ص) : إذاً إلّه السماء هو الذي تحتاجه ، وحاجتك هو الذي يقضيها ويكفيها ولا حاجة لك في الأصنام ، وإذا أردت أن تكون مسلماً سأعلمك كلمتين تحفظهما فإنّها تنفعك . وبعد أن أسلم عمران ، طالب النبي (ص) بما وعده فقال له رسول الله (ص) : « قل اللّهُمّ ألهمني رُشدي وأعذني مِنْ شر نفسي » ، وفي الحقيقة إنّ هذه الجملة التي قالها رسول الله (ص) تعتبر مهمة جداً ، ويجب أنْ نعرف أنّ من أسوأ الشرك ، عبادة الهوىٰ (هوىٰ النفس) وهي تعني عبادة المال ، وعبادة التجمل ، وعبادة النساء ، وعبادة المنصب والمقام والجاه وأمثال ذلك ، وحتى أنّ عبادة الأصنام ترتبط بعبادة هوىٰ النفس . إنّ الله حفظنا من شر أنفسنا ، وجعلنا من أهل التوحيد ومن أهل عبادته سبحانه .

غير الله لا أحد يستحق العبادة .

بعد أن وَضُحَ معنى إلـه ورد في الآية الشـريفـة السابقـة ، وقلنا أنّ فيها خطاب كلي وعام إلى يوم القيامة . فهل هؤلاء الذين اتخـذوا معبوداً لهم من دون الله ، أفي معبودهم هذا شيء مميز جعل هؤلاء يعبـدونه ؟! أي أنّ عبـادة المال ، وعبـادة البقـر ، وعبـادة النسـاء ، وعبـادة المنصب والجـاه ، هل في هـذه الأشياء مـا يستحق العبادة ؟ فمن أجـل أي شيء تكـون خاضعـاً لمخلوق مثلك أو أضعف منـك ؟ ألا تعلم أنّ الله إذا أراد أن ينجز لك طلبتك فهو ينجزها سبحانه بـدون تملق منك لهـذا أو ذاك . وهـذا الإنسان (صـاحب الحزب أو المنصب أو الجـاه) الـذي اتخـذتـه معبوداً لك من دون الله ، ماذا يزيد عليك في الشرف ؟ في أنّ له عقل أو عين أو أُذن وكل الأشياء التي عنده ، فهي عندك أيضـاً . وإذا كان يملك القدرة والعطاء المادي والخلاص من المشكـلات ، فهذا كله راجـع إلى الله تعالى إنّ الله إذا أراد فهو ينجز لك حاجتك بوسيلة أحد المخلوقين ، وإذا لم يرد سبحانه إنجازها ، فإنّ أقدر المخلوقين يكون عاجزاً أمام ذلك والخلاصة إنّ تمام الأمور بيد الله سبحانه ، وهو يجريها كما يشاءِ بـوسيلة المخلوقين من عباده .

الخليفة على جسر بغداد .

أحد الخلفاء العباسيين كان يعبر جسر بغداد ، فرأىٰ فقيراً يستعطي ولكن هيئته كانت توحي بأنّه من الأمراء وأولاد السلاطين ولكن لباسه كان لباس فقراء ، وبعد التحقيق تبيّنَ أنّه ابن الخليفـة السابق ، فـرّق الخليفة لحـاله وأعـطاه كيساً من النقـود وقال لـه لا تعد لـلإستعطاء مـرة أخرى ، وعندما عاد الخليفة من جولته ومرّ من نفس المكان ، وجد صاحبه جالساً يستعـطي ولم يترك الإستجـداء كما أمـره . فقال لـه الخليفة : ألم تـأخذ كيس النقود ؟ فقال الرجل : نعم ، ولكني عنـدما أردت أن أضـع الكيس في جيبي سقط في النهـر . عندهـا أدرك الخليفة أنّ الله لم يـرد لـه غيـر

ذلك ، أي أنّ الله أراد له الفقر ، وأنّ الخليفة بإعطائه كيس النقود لم يستطع أن يغيّر إرادة الله . يحكىٰ أنّ أحد العلماء كان في حال احتضار فزاره سلطان ذلك الزمان ، وعندما جلس السلطان بجانب ذلك العالم الكبير ، سأله كم عندك من الأولاد ، وإذا تسمح أن يكون أولادك في عهدتي أهتم بشؤون حياتهم من بعدك . فسكت العالم ولم يجب ، فأعاد السلطان كلامه ثانيةً ، ولكن العالم لم ينطق بحرف واحد ، وفي المرة الثالثة قال العالم : إنّي أخجل من ربّي أن أترك أولادي لغيره ، والسلطان عبدٌ من عبيد الله ولست في حاجةٍ إليه ، يجب أن أترك أولادي لمن هو باقي وهو حيٌّ لا يموت . فإذا أمسك الله سبحانه لطفه وعنايته عن أحد المخلوقين ، فلا ينفعه مال ولا عطاء الخلق أجمعين وقد يموت من الجوع .

وإن كثير من الميسورين وأصحاب الثروات قد ابتلوا بأمراض لا دواء لها ، نعوذ بالله .

ربط هذه الآيات التي تقدمت بالآيات التي بعدها .

لقد مرّ معنا خمسة عشر استفهامٍ إلزامي في هذه السورة الشريفة تبدأ جميعها بعلامة السؤال (أمْ) . إنّ جواب كل هذه الأسئلة عند كل عاقل يصدق قول الله سبحانه من الآية الأولىٰ إلى الآية الأخيرة ، ولكن هؤلاء القوم الأشقياء وقساة القلوب لا يريدوا أن يسمعوا كلام الله . ورد حديث أنّه في يوم القيامة يكون أبو جهل في حفرة ، وعندما يأتيه خبر قدوم رسول الله (ص) على أهل المحشر يقول : اضربوا وجهي بالحجر حتى لا يقع بصري عليه وأراه . فيقال له :ألا تريد شفاعة رسول الله (ص) ؟ فيقول : لا أريد . فالمشركون كانوا في عناد شديد مع رسول الله (ص) فقد أعمىٰ الجهل بصيرتهم وختم الله علىٰ قلوبهم . فمن قولهم له صلى الله عليه وآله وسلم : إنْ كنت صادقاً يا محمد فانزل علينا كسفاً من السماء يسقط على رؤوسنا ويهلكنا ، فيقول الله سبحانه :

﴿ وإنْ يرَوْا كِسفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾

والخلاصة لا يوجد أي استعداد عند المشركين للإعتقاد بالله سبحانه فإنّ عيون هؤلاء ترى الأسباب الظاهرية فقط ، ولكنها لا ترى مظاهر القدرة الربانية ، فلو وقع زلزال أو طوفان وأدىٰ إلى خراب في العمران وهلاك جمع كثير من الناس ، فيقولوا إنّما حصل هذا نتيجة لضغط الأبخرة والحرارة الباطنية أو بفعل الطبيعة ، إنْ هؤلاء لا يفكرون بأنّ أصغر الأمور والأشياء في كل الكرة الأرضية لا يمكن أنْ تحصل بدون إذن ومشيئة خالق الكرة الأرضية . وفي الواقع هم لا يريدوا أن يتخيلوا هذه القدرة الإلٓهية وهيمنتها على العالم أجمع ، حتى لا يقعوا بسبب هذا التفكير في الخوف من القهر الإلٓهي .

نقل في شرح الصحيفة السجادية عن أحد الأشخاص الذي كان في حال الاحتضار وعندما قُرأ دعاء العديلة من أجله وما أنِ انتهى الدعاء حتى قال المحتضر : شعرت بأنّ هواءً بارداً قد غشيني ، وذهبت الحرارة عني وكل بلاءٍ كنت فيه ، وبقي هذا الرجل هكذا حتى فارقت روحه الدنيا ، فيجب أن لا نلتفت فقط إلى الأسباب الظاهرية ، بل يجب أن نتيقن أنّ هناك أسباباً قاهرة إلٓهية .

﴿ فَذَرْهُمْ حتّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الّذي فِيهِ يُصْعقُونَ ﴾

إنّ من لا يقبل منطق الحق ، مثل هذا الإنسان حتى ولو قتل لا يأتيه القبول والإنصياع لمنطق الحق . فالطفل الذي نشأ على الضياع والتشرذم والتمرد مستعداً لعمل أي شيء ، ولكنه ليس على استعداد أن يذهب إلى المدرسة . الإنسان تارك الصلاة مثلاً ، عندما يقال له : قُمْ للصلاة فكأنك قلت له : إذهب واحمل جبلاً . مثلهم مثل الحيوان الجموح الذي لا ينقاد لأيّ أحد . عندما يصل الإنسان إلى هذه المرحلة من العناد ، فيجب أن يترك لحال سبيله . والويل للمريض الذي يكون علاجه بأن يترك وشأنه الذي هو عليه . فلو تخلىٰ رسول الله (ص) عن

مثل هؤلاء المرضىٰ ، فماذا يفعل الناس ؟ الله سبحانه يخاطب رسوله (ص) ويقول : ﴿ **فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون** ﴾ .

صاعقة يوم القيامة .

ذُكِرَ وجهان لكلمة (يصعقون) التي وردت في الآية ، الأول : إشارة إلى صاعقة يوم القيامة . إنّ زلزلة يوم القيامة يكون فيها كل كبير وعظيم في الدنيا ، صغيراً وحقيراً ويحمل صفة الذرة في صغره . يوم القيامة هو يوم ظهور السطوة الإلّهية ، منظر في غاية الوحشة للكافرين بهذا اليوم ، وحرارته لهم كحرارة بيت نار الحداد . فالأرض في يوم القيامة تكون باردة تحت قدم المؤمن ، وتغلي كالنار تحت قدم الكافر ، فأرض يوم القيامة لها شعور وهي تميّز بين المؤمن والكافر ، كما حصل في نهر النيل بالنسبة لبني إسرائيل وقوم فرعون ، فكان النهر ماءً للشرب لبني إسرائيل ولكنه تحول إلى دم لقوم فرعون ، وكثيراً ما كان يأتي قوم فرعون إلى بني إسرائيل لشرب الماء ولكنهم وبمحض أخذهم الماء يتحوّل بين يديهم إلى دم .

وجاء في رواية أنه على أثر حرارة يوم القيامة فإنّ مخ الإنسان يحترق ويذوب ، والقلوب من شدة الخوف تنخلع من مكانها .

يقال أنّ أحد الأشخاص رأىٰ السلطان محمود الغزنوي في المنام ، فقال له : لقد كنت رجلاً صالحاً في الدنيا فماذا فُعِلَ بك ؟ فأجاب : إنّ اللقب والعنوان الذي كنت أحمله في الدنيا ، زال عني واختفىٰ هنا ، فقد كنتُ أعتقد نفسي سلطان ولكن العناوين والألقاب ملغاة ولا مكان لها هنا . في يوم القيامة الله سبحانه يقول : لقد جعلت لنفسي نسبة وجعلت لكم نسبة ، ولكنكم تركتم وبدلتم نسبتي لكم ، واتخذتم لأنفسكم نسبة جديدة ، فأنا أقول : ﴿ **إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتْقَاكُمْ** ﴾ ، فمن عمل بهذا

الأمـر الإلّهي ؟ فيوم القيـامـة هـو اليـوم الـذي تُبـدّل فيـه الألقـاب وتـزول العناوين وتتـوحـد الخـلائق . وصـريـح القـرآن الكـريم يقـول : ﴿ ولـو تـرىٰ إذِ المجـرمـون نـاكسـوا رؤوسهم عنـد ربهم ﴾ ويقـول : ﴿ وخشعت الأصـوات للرحمان فـلا تسمع إلّا همسـاً ﴾ ويقـول أيضـاً : ﴿ لا يتكلمون إلّا مَنْ أذِنَ له الرحمٰن ﴾ .

في كتاب بحار الأنوار في باب أحوال الرسول الأكرم (ص) ، يورد روايـة تذكـر بأنّـه كلما هبت عـاصفـة شـديـدة صفـراء أو حمـراء ، فـإنّ رسول الله (ص) كان يستوحش منها كثيراً ، فقيل له : ما هذه الحالة التي تظهر عليك كلما هبت عاصفة ؟ فقال (ص) : أخشىٰ أنْ يكون فيهـا بلاء من الله .

ثلاثةٌ هم أمانٌ للآخرين .

في المجتمـع الإنساني هنـاك ثلاثـة أقسام من البشـر ، ومن أجـل وجودهم فإنّ الله سبحانه لا يُنزِل البلاء .

القسم الأول : هـو الشيـخ الكبيـر في السن الـذي بلغ السبعين أو الثمانين من العمر ، وأيامه معمورة بكلمة (يـا الله) ، وخصوصـاً إذا بلغ التسعين من العمر ، فالرواية تقول يصل النداء له أيها الأسير في الأرض إننا قد غفرنا لـك ذنوبـك . مثل هؤلاء الأفـراد فإنّ وجـودهم يعتبر نعمـة وبركة في كل مدينة ومحلة ومكان يحلّون فيه .

القسم الثاني : هم الشباب الـذين تركـوا شهواتهم ، وتعلقـوا بالله الـواحد القهـار وخضعوا وخشعـوا له ، ومثلهم من يكـون مشغـولاً بعيش الدنيا وملذات الحياة .

والقسم الثالث : هم الأطفال الرضع .

﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شيئاً وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾

يوم بدر لم ينفعهم كيدهم .

أما تفسير الوجه الثاني للآية الشريفة السابقة فهو راجع إلى معركة بدر ، فبعد أن يأس النبي (ص) من المشركين ، تركهم يلاقوا مصيرهم الذي لا بد منه وهو الهلاك ، يوم لم يثمر كيد هؤلاء عن أي نتيجة والمقصود بهذا اليوم هو يوم معركة بدر . في معركة بدر هذه كان المشركون يفوقون المسلمين عدة وعدداً ، ولكنهم انكسروا وهزموا شرّ هزيمة ، وقتل سبعون من أبطالهم وأُسِرَ سبعون آخرين . وأرسل الله خمسين ألف ملك يقاتلون مع المسلمين . والوجه الآخر لتفسير هذه الآية وهو أكثر قبولاً من غيره ، وهو أنّ كيد المشركين لا أثر له يوم القيامة .

في الإرشاد للشيخ المفيد وردت رواية عن عمرو بن معد الكرب ، وكان رجلاً شجاعاً وبطلاً من أبطال الحروب ، عندما قدم عمرو على رسول الله (ص) ، فقال له النبي (ص) : يا عمرو أسلم حتى تأمن من الفزع الأكبر . فقال عمرو : يا محمد وأيّ فزع أكبر ، إنّي رجلٌ شجاع وليس للخوف مكاناً في قلبي . فقال النبي (ص) : إنّه ليس كما تتخيل يا عمرو ، إنّها صيحة واحدة لا يبقى أحد بعدها من الناس ، تتبدل السماء وتتلاشىٰ الجبال وتنفصل قطعة من جهنم كالجبل الكبير ثم تتناثر فتحرق كل ما تقع عليه ، فلا يبقىٰ بعد هذا صاحب روح . ويتذكر يومئذٍ ذنوبَهم المجرمون فأين أنت من هذا يا عمرو ؟ وما إنْ سمع عمرو هذا الحديث من رسول الله (ص) ، حتى اهتزّ كيانه وقال : إنّي أسمع أمراً خطيراً . فأسلم وأسلمت قبيلتهُ في ذلك الحين .

﴿ وإنّ للّذينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذٰلِكَ ولَكنّ أكثَرَهُمْ لا يعلَمُونَ ﴾

هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، بإنكارهم الله ورسول الله (ص) ويوم

القيامة ، بأنّ لهم عذاب غير عذاب الآخرة ، فإضافةً إلى عذاب الآخرة يقع عليهم عذاب آخر قبل يوم القيامة ، وأنّ أكثر هؤلاء لا يعلمون ، والقلة الذين يعلمون لا يعملون بعلمهم . والعذاب الواقع قبل يوم القيامة ذكر له وجهان ، الأول : إشارة إلى البلاء الذي وقع على المشركين في معركة بدر فقتل من قتل ، وأُسِرَ من أُسِر . الوجه الثاني : المراد به عذاب القبر وضغطة القبر وعذاب البرزخ الذي يقع قبل يوم القيامة . وهذا الوجه أقرب وأنسب لأنّه عام وشامل لجميع الكفار والمشركين إلى يوم القيامة . يعني جميع الكفّار والفجّار قبل عذاب يوم القيامة يعذبون في القبر والبرزخ ، فقد ورد في القرآن بخصوص قوم آل فرعون : **﴿ النّار يُعرضُونَ عَلَيْها غُدوّاً وعَشِياً وَيَوْمَ تقُومُ السّاعةُ اَدْخِلُوا آل فِرعَوْنَ أشَدَّ العَذَابِ ﴾**[1] .

وعذاب البرزخ لا يختص بالكفار فقط ، بل حتى المؤمن الذي يرتكب ذنباً ويموت ولا يتوب منه ، فالعذاب الذي يقع على هذا المؤمن في عالم البرزخ هو بمثابة التطهير لنفسه من الذنوب حتى يرد على المحشر ولا ذنب له . والشواهد والروايات على ما ذكرنا كثيرة جداً ، ومن جملتها ما ورد في كتاب الكافي ، إنّ عمرو بن زيد قال للإمام الصادق (ع) : لقد سمعت أنّك تقول : إنّ جميع شيعتنا حتى المذنبين منهم في الجنة . فقال الإمام (ع) : « صدقت كلهم والله في الجنة » . فقال عمرو : فداك نفسي يا ابن رسول الله (ص) ، إنّ الذنوب لكثيرة وكبيرة ، فقال (ع) : « أمّا في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي (ص) المطاع أو وصيّ النبي ولكِن والله أتخوفُ عليكم في البرزخ ، قلتُ : وما البرزخ ؟ قال : القبر منذُ حِينَ موتِهِ إلى يوم القيامة »[2] .

(١) سورة غافر : الآية ٤٦ .

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٧١ .

يفهم من الحديث السابق أنّ الشفاعة حتمية وقطعية للمؤمنين ـ هؤلاء الذين ماتوا وهم مؤمنين ـ في يوم القيامة ، أما في عالم البرزخ وهو الفاصلة بين الموت ويوم القيامة ، فالشفاعة غير حتمية . ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع) : «لا شفيعٍ أنجح مِنَ التوبةِ » . فإذا تاب الإنسان من ذنبه توبة صادقة نصوح ، فإنه يطهر من ذنبه ويخلص من العقوبة . والخلاصة إنّ هذه الآية لا تختص بالمشركين فقط ، بل بكل ظالم ارتكب أنواع الذنوب في حياته ، ومات دون أن يتوب من هذه الذنوب . والشواهد حول هذا الموضوع في كتاب بحار الأنوار وهي كثيرة جداً .

قال النبي (ص) : قبل البعثة النبوية كنت أرعىٰ غنماً لعمي (أبو طالب) وفجأة وحين الرعي كنت أرىٰ الأغنام تترك المرعىٰ وتقف جانباً ، وبعد بعثتي نبياً من قبل الله جل جلاله سألت جبرائيل عن سر ذلك ، فقال جبرائيل : إنّ الميت عندما يعذب في القبر ، فإنّ جميع الموجودات ما عدا الجن والإنس يسمعوا صوت استغاثته .

جاء رجل إلى سلمان الفارسي وقال له : اروِ لي حديثاً . فأشاح سلمان بوجهه ، فذهب الرجل وعاد مرة أخرى ، وقال : يا سلمان اذكر لي أي شيءٍ تعرفه . فأشاح سلمان بوجهه أيضاً ، وفي المرة الثالثة قرأ الرجل الآية الشريفة **﴿ إنّ الّذينَ يَكْتُمُونَ ما أنْزلنَا مِنَ البَيّناتِ وَالهُدىٰ مِنْ بَعْدِ ما بَيّنَاهُ لِلنّاسِ في الكِتَابِ أولٰئك يَلْعَنُهُمُ الله وَيلعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ ﴾**[1] ، فتأثّر سلمان وقال : لو وجدنا أميناً لحدّثناه ولكِنْ أعِدّ لِمنْكَرٍ ونكيرٍ إذا أتَيَاك في القبر فسألاك عن رسول الله (ص) ، فإنْ شَككتَ أوِ التَويتَ ضرباك على رأسِكَ بمطرقةٍ معهما تصيرُ منه رماداً[2] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٣ ص ١٣٦ .

محبّ علي وآله هو في راحة في كل مكان .

في حـديث متفق عليـه بين الشيعـة والسنـة ، أنّ رسـول الله (ص) قـال : « لو اتفق النـاس جميعاً على حبّ علي (ع) ، لمـا خلق الله نـار جهنم » . في كتاب معالم الزلفىٰ يروي عن الإمامٍ الصادق (ع) أنّه قال : كان جدي رسول الله (ص) في أحد الأيـام جالسـاً وقد مـات غلام أسـود ومرت جنازته وكان يحملها أربعة من الزنوج ، فأشار رسول الله (ص) بأن يـأتوا بـالجنازة ، وعنـدما حضـرت الجنازة بين يـديه ، كشف عن وجهـه وقـال : يا علي (ع) هـذا رباح غـلام آل بني النجار . وعنـدمـا رآه أميـر المؤمنين (ع) قـال : إنّ هذا الغـلام كلما رآني كـان يفرح ويقـول : إنّي أحبّـكَ يـا أميـر المؤمنين . وعنـدمـا سمـع رسـول الله (ص) ذلـك من علي (ع) ، أمـر بالجنـازة فَغُسّـل الغـلام وكفن بلبـاس رسـول الله (ص) وحضر جميع الصحابة من أجل تشييع الجنازة ، وسُمِعَ صوت عجيب من السمـاء ، فقال النبي (ص) : إنّـه صوت نـزول الملائكـة ، سبعون ألف قبيـل من الملائكـة ، وكل قبيـل فيه سبعـون ألف جاؤوا من أجـل تشييع جنازة هذه الغلام . وفي مراسم الدفن نزل النبي (ص) إلى القبر وعندمـا رفـع الغلام من لحـده ليوضـع في قبره تـوقف النبي (ص) لحظة وأشـاح بوجهـه جـانباً ، وبعـد الانتهاء من الـدفن سُئِلَ رسـول الله (ص) ، لماذا تـوقفت وأشحت بوجهـك يـا رسـول الله (ص) ؟ فقـال (ص) : لأنّ هـذا الغلام حبيب الله فعندما مات كان عطشـاناً فجاءت الحوريات له بشـراب من الجنــة ، ولأنّ حبيب الله غيـور ؛ فهــو لا يحبّ أن ينـظر أحــد إلى زوجـاتـه ، ولــذلـك أشحت بــوجهي عنـه . ثم التفت النبي (ص) إلى علي (ع) وقال : يا علي إنّمـا وصل هـذا الغلام إلى هـذا المقام ، لأنّـه كان من محبيك .

ما كان يحذره وقع فيه

في المجلد الثـالث من بحار الأنـوار ينقل عن كتـاب الكافي ، إنّ

علي بن الحسين (ع) قال : لا أعرف ماذا أعمل مع هؤلاء الناس ، إذا ذكرت حديثاً سمعته عن رسول الله (ص) ضحكوا ، وإذا أنا سكتّ لا تتم الحجة عليهم . فقال ضمرة بن معبد : أذكر لي حديثاً عن رسول الله (ص) . فقال الإمام (ع) : هل تعلم أنّ عدو الله عندما تحمل جنازته ويذهب به إلى قبره ماذا يقول ؟ فقال : لا أعلم . فقال الإمام (ع) : إنّه يقول لحاملي جنازته : إنّي أشكو لكم عدواً غرني وخدعني ، فبسبب عداوتي لله أضج وأصيح وألقىٰ في وادي الهلاك ، ولكنكم لا تسمعوا استغاثتي ولا تردوا جوابي ، إنّي أشكو رفقائي وأحبائي الذين تركوني ، إن أشكوكم لأنّ البيت الذي تكلفتُ وبذلت الجهد من أجل بنائه ، والآن يسكنه غيري ، أين محبتكم لي وقد تعجلتم حملي إلى قبري ؟ فقال ضمرة : إذا كان الميت يلقي مثل هذا الخطاب على الناس ، لسقطت الجنازة من أيدي الناس ولفرّوا منه فزعين (وكان ضمرة يقصد الاستهزاء بهذا الكلام) . فقال الإمام (ع) : إلٰهي إذا كان ضمرة يستهزأ بحديث رسول الله (ص) فخذه إليك . وبعد هذه الحادثة ساءت حالة ضمرة كثيراً ولم يعش أكثر من أربعين يوماً توفي بعدها . وكان أحد أصحاب الإمام (ع) في تشييع جنازة ضمرة وعندما رجع سأله الإمام (ع) : أين كنت . فقال : كنتُ في تشييع جنازة ضمرة وعندما وصلنا إلى القبر ، فإنّي أُقسم بالله صادقاً بأنّي قد سمعت نداءً يقول : وَيْلكَ يا ضمرة اليوم خَذَلك كلُّ خليلٍ وصار مصيرك إلى الجحيم .

شبهة حول عالم البرزخ .

لقد ابتدع الزنادقة شبهات كثيرة حول عالم البرزخ ، وإلى يومنا هذا نسمع بمثل هذه الشبهات ، ولكن أصلها يعود إلى زمن الزنادقة . في شأن سؤال منكر ونكير قالوا : نضع شيئاً في فم الميت وبعد أن يقبر في قبره ثم يكشف عنه بعد ذلك ، فنجد أن هذا الشيء ما زال في

فمـه ، فلو سئل هـذا الميت لتحرك فمـه ولسقط منه هـذا الذي وضعنـاه فيـه ، والحال إنّـه ما زال في فمـه . أو يقولـون مثلاً ، إنّنـا لا نـرىٰ أثـراً للإستجواب على الميت في القبر . وهذا هـو نموذج لهـذه الشبهات . أو يقولون : إنّ البشر يدفنـون تحت التراب ثم يتـلاشون بعـد ذلك ، فـأين عـالم البرزخ وسؤالـه وجوابـه حتى قيام يـوم القيامـة ؟ ومن ناحيـة أخرىٰ هناك أخبار كثيرة ومسلّمة تذكر : إنّ المؤمن يـوسع عليـه في قبره ويقـوىٰ فيه نظره ، فهـو يبصر لسبعين ذراعـاً وبعض الروايـات تقول لسبعين سنـة في عالم البرزخ. وهناك آيات صريحة وردت في القرآن الكريم تذكر عالم البرزخ ، فماذا يجب علينا أن نعمل أمام هذه الشبهـات ؟ والجواب : إنّ الإنسـان إذا تعـرف على الأخبـار وحقق في الـروايـات بشكـل دقيق فـإنّ المسألة وعقدها تنحل وتتوضح أمامه .

الإمام الصادق (ع) عندما بيّن عذاب عالم البرزخ ، سأله الراوي : وأين يكون عالم البرزخ ؟ فقال الإمـام (ع) : إنّه يكـون حين الموت إلى يوم القيامة . فالقبر منزل من منازل عالم البرزخ ، والروح هي التي تكون متفاعلة في هذا العالم ، أمّا الجسد فيتلاشىٰ .

المرحوم المجلسي رضوان الله عليه يقول : إنّ الأخبار التي وردت حـول القبر المـراد منها هـو عالم البـرزخ لا القبر الجسمـاني ، والروايـة الـواردة بـأنّ الله يـوسـع علىٰ المؤمن في قبـره هي من منـظور العــالم الـروحاني (عـالم البرزخ) ، وكـذلك ظلمـة وضياء القبـر هي بـالمعنىَ الروحاني لا الجسماني ، وقد ورد في الدعاء (أبكي لظلمة قبري) .

سأل رجل الإمـام الصادق (ع) : عنِ الـرجل عنـدما يصلب ويعلق في الهواء الطلق لعدة سنوات فيصبح رميماً ثم يذر بدنه في الهواء ، فأين سيكـون ضغط القبـر عليـه بعـد ذلـك ؟ فيجيب الإمـام (ع) : « إنّ رَبَّ الأرضِ هُـوَ ربّ الهواء فيُوحي الله إلى الهواء فَيضغِـطه أشدَّ من ضَغـطَةِ

القبر »[1] .

قال أحد المحققين : إذا كان الإنسان مؤمناً بالله ورسوله الأكرم (ص) والوحي فإنّ قبول هذه المطالب يعتبر هيناً جداً بالنسبة له .

الرؤيا نموذج صغير لعالم البرزخ .

إنّ النموذج لعالم البرزخ في الدنيا ، هو الرؤيا في المنام . فالإنسان يمكن أن يشاهد العجائب في المنام . مثلاً ، يرىٰ الإنسان نفسه في مكان يحترق وهو يصرخ ويستغيث طالباً النجاة ، ثم يستيقظ من نومه فيخبره الذين حوله في نفس المكان ، بأننا كنا نسمع صوتك وأنت تستغيث ، فهل يستطيع أن ينكر ذلك ؟ أو أنه يرى نفسه وقد قُيّدَ بالحديد والسلاسل ، ومن شدة أثرها عليه ، يحاول أن يخلص نفسه وهو يصرخ ويستغيث ، ولكن لا أحد يأتي لنجدته . والله وحده هو العالِم ، كم يصرخ الموتىٰ ولكننا لا نسمعهم نعم ، فهناك عالم آخر ، كما أنّ الأمور الباطنيّة في بعض الأحيان تسري إلى الظاهر .

في كتاب الكافي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : لم تكن الرؤيا والمنامات موجودة عن ابتداء الخلق ، وفي زمن أحُد الأنبياء عندما كان يتحدث عن يوم القيامة ، بدأ الناس يسألون ومن جملة أسئلتهم ، أنّه كيف يحيا الميت بعد موته ؟ وفي نفس الليلة حصلت الرؤيا لهم في منامهم ، وفي اليوم الثاني قصّ هؤلاء رؤياهم على الآخرين ، كما قصّوها لنبيّهم . فقال هذا النبي (ص) : لقد تمّت حجة الله عليكم ، فإنّ الذي رأيتموه في منامكم ، يعتبر نموذجاً لما سوف يراه الميت بعد موته .

في بعض الأحيان تسري الأمور الباطنية إلى الظاهر ، ولذلك قيل إن من المستحبات زيارة القبور وقراءة الفاتحة مع العلم أنّ روح الميت

---

(١) بحار الأنوار ج ٣ ص ١٤٦ .

لا تكـون في ذلك المكـان ، ويعلم الله أين تكون روحـه ، ولكن لكـون جسـده مدفـون في تلك البقعة من الأرض ، لـذلك يكـون الأحيـاء على عـلاقة بـذلك المكـان ، وفي الروايـات أن روح المؤمن تكـون في وادي السلام وفي جوار أمير المؤمنين علي (ع) ، وروح الكافر تكون في وادي برهوت .

فالبدن بعد الموت يكون بدناً برزخـاً وليس مثل البـدن الدنيـوي ، كمـا إنّه لا ظـل له ، وأنّ بعض الأرواح (إذا لم تكن محبـوسـة) فـإنّهـا تستطيع أن تحيط بجميع العالم .

المرحوم الشيخ محمود العراقي في آخر كتابه (دار السـلام) ينقل عن سيد جليل وعارف نبيل هـو السيد محمـد علي العراقي (ويعتبـر في عداد الـذين رأوا الإمام الحجة (ع)) يقول هذا السيد : في أيام الطفـولة كنت في موطني الأصلي (وهو قـرية من قـرىٰ العراق) وقـد توفي رجـل أعرف اسمه ونسبه ثم حملت جنازة هـذا الرجـل إلى المقبرة التي كـانت بجانب بيتنا ودفن هناك ، وبعد مدة أربعين يوماً من هذه الحادثة ، وكـان الوقت مغرباً رأيت ناراً تنبعث من قبـر ذلك الـرجل ، كمـا سمعت صراخ احتـراق الروح من ذلـك القبر ، وبمـا أنّ الوقت كـان أول الليـل ، فقـد انتابني الفزع وارتجف جسمي كمـا انتابتني حـالة من الغشيـان غبت فيها عن الـوعي ، وعندمـا رآني أحـد المـارة في هـذه الحـالـة ، حملني إلى منزلي القريب ، وعندما عـاد إلّي وعيي وتذكـرت ما أصـابني وما سمعتـه ورأيته تعجبت كثيراً ، ثم أخذت أحقق في حياة هذا الرجـل قبل وفـاته ، وأخيراً علمت أن هذا الرجل كان يعمل عملاً حكومياً (جبٰايـة الضرائب) وفي أحد الأيام أراد هذا الرجل أن يفرض ضريبة مالية إجبارية على أحـد الأشخاص من السادة العلويين ، ولما كان هذا السيد لا يملك مـا يعطيـه (الضـريبـة المـاليـة) تسبب هـذا الـرجـل في دخـول ذلــك السيـد إلى السجن .

مؤلف الكتاب المرحوم الشيخ العراقي يقول : سبق وأن رأيت ذلك الشخص الميت في حياته ، ولكني أخاف أن أذكر اسمه ونسبه ، ثم قال : إنّ جناب السيد المذكور ناقل القصة ينقل أيضاً ويقول : لقد ذهبت من طهران قاصداً زيارة ضريح نجل الإمام الحسن وهو يقع في أحد قرىٰ طهران القريبة وعندما وصلنا إلى هناك ، تقدم أحد المسافرين الذين كانوا معنا في السيارة من أحد القبور في وسط الصحن وجلس عنده ثم انشغل بالدعاء أو الزيارة إلى غروب الشمس ، وفجأة انبعثت حرارة شديدة من بناء ذلك القبر ، وكأنّ شعلة نار حداد إنفتحت علينا وكان جماعة من الحاضرين قد شاهدوا هذه الحالة ، وبعد قراءة اللوحة التي على القبر وجدت اسم امرأة قد نقش عليها .

والخلاصة إنّ شدة عذاب الروح في عالم البرزخ يلحق أثرها بالجسد أيضاً . مثل قبر يزيد بن معاوية عليهما الهاوية ، فعندما قام بنو العباس بنبش قبور بني أمية ليحرقوا أجسادهم فلم يجدوا في قبر يزيد إلّا خطاً رفيعاً من الرماد ، وهو علامة على احتراق جسد ذلك اللعين ، وشواهد هذا المطلب كثيرة جداً وفي ما نقلناه كفاية فعندما تكون الروح في عالم البرزخ في غاية البهجة والسعادة وقوة الحياة ، يكون الجسم أيضاً في نفس المرتبة من البهجة والسعادة ، والشواهد على ذلك كثيرة ولكني أكتفي بنقل بعضٍ منها .

نقل أنّه في زمان خلافة معاوية وبأمر من معاوية نفسه تم حفر قناة في جبل أحد ، وصادف مرور هذه القناة على قبور عدد من شهداء معركة أحد ، فأصابت الحفريات قبر سيد الشهداء حمزة عم النبي (ص) فسال دمه وكأنّه استشهد في ذلك اليوم ، وانكشف بدن كل من عمرو بن جموح وعبد الله بن عمرو ، وكان الإثنان قد استشهدا في معركة أحد ، لأنّ قبريهما كانا واقعين في مسيرة القناة ، والعجيب أنّ جسد كل من الشهيدين كان سالماً ، وكأنهما استشهدا في نفس ذلك اليوم ، ثم حفر لهما قبر ودفنا في قبر واحد . مع العلم إنّ الفاصلة الزمنيّة بين شهادة

هذين الشهيدين وزمان معاوية ، هي أربعون سنة[1] .

نقل في كتاب روضات الجنات عن بعض حكام بغداد أنّهم عندما رأوا تعلق الناس الشديد بالأئمة والإقبال على زيارة قبر الإمام موسى بن جعفر (ع) ، عزموا على هدم القبر الشريف ، ثم قالوا : نقوم أولاً بنبش القبر فإذا وجدنا الجسد سالماً كما هو جسد الأحياء ، سمحنا لهم بزيارته ، وإلّا لا نسمح لهم بذلك . فقال أحد هؤلاء : إنّ الشيعة ينسبون إلى علمائهم هذا الاعتقاد . وعند أحد جسور بغداد يوجد قبر لأحد كبار علماء الشيعة وهو قبر محمد بن يعقوب الكليني ، ومن أجل القطع والاطمئنان إلى صدق عقيدة الشيعة ، قاموا بنبش قبر هذا العالم الكبير فوجدوا جسده سالماً كأنّه دفن في ذلك اليوم ، وإلى جانبه آثار لجسد طفل يعتقد أنّه ابنه . وبعد هذه الحادثة أمر حاكم بغداد بتعمير قبر هذا العالم الكبير وعمل قبة عظيمة له ، وأصبح مزاراً ومشهوراً في ذلك الوقت ونقل أيضاً في نفس الكتاب المذكور عن كرامات الشيخ الصدوق محمد ابن بابويه وقبره في الري (بالقرب من قبر الشاه عبد العظيم) وقد ظهرت هذه الكرامة في زماننا هذا ، وقد شاهدها جمع كبير من الناس . وهو بقاء جسد هذا العالم الكبير سالماً لم يعتريه الفناء . وتفصيل هذه القضية بأن سيلاً وقع في تلك المنطقة فجرف قسماً من القبر وانكشف السرداب الذي يوجد فيه الجسد ، وعندما أريد تعمير القبر شوهد الجسد سليماً طرياً كأنّه دفن لساعته ، فانتشر هذا الخبر في طهران وأصبح حديثاً يتناقله الناس حتى وصل إلى أسماع فتح على شاه قاجار ، فقال الشاه : أريد أن أرىٰ هذه الكرامة عن قرب . فسار هو وخواصه ووزرائه وعدداً من العلماء إلى مكان القبر ، ولكن خواص الشاه لم يَرَوْا من الصلاح نزول الشاه إلى السرداب ، فأمر الشاه العلماء والوزراء وأركان الدولة بالنزول إلى السرداب فرأوا الجسد كما وُصِف لهم . فأمر الشاه بتعمير القبر

---

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٥٦٨ .

الشـريف ، كما أمـر بتشييد بنـاء ضخم حـول القبـر ، وأصبـح من ذلـك الزمان وإلى يومنا هذا مزاراً يقصده الناس في إيران .

إنّ وفـاة ابن بابـويه كـانت في سنة ٣٨١ ، وحـادثة كشف الجسـد كـانت فـي سنة ١٢٣٨ ، لـذلك فـإنّ الفاصلة الـزمنية بين الـوفاة وكشف الجسد هي ٨٥٧ سنة .

والخلاصة : إنّ سبب الاعتقاد بعالم البرزخ وما يجري على الروح منذ الوفاة حتى يوم القيامة ، هو أنّ ما جاء به الوحي الإلّهي في القرآن ، والروايات المتواترة التي وصلتنا عن رسول الله (ص) تذكر ذلك . كذلـك الإيمان بالمـلائكة والقيـامة والصـراط والميزان والجنـة والنار ، فـالإيمان بكل ذلك هو إيمان بالغيب وسببه الوحي الإلّهي . ومن أجل دفـع الشك والجواب على شبهة المنكرين لعالم البرزخ وثوابه وعقابه وهم يقولـون : كيف تكـون الـروح في حـالـة عـذاب أو ثـواب ونحن لا نسمـع أو نـرىٰ ذلـك ؟ فنقول : كمـا أنّ النائم يسمـع ويرىٰ كـل شيء في منامـه ، أمّـا الـذين حولـه وفي نفس المكان ، فـلا يسمعون مـا يسمـع ولا يـرون مـا يرىٰ .

وأحياناً وفي عالم الرؤيـا نرى أمـواتاً ، إمّـا بحالـة فرح وسعـادة أو بحالة حزن وكآبة . ولكننا لا نستطيع من خلال هذه الرؤيا الإطـلاع على واقع الحقيقة ، لأنّ كثيـراً من هذه الـرؤيا هي أضغـاث أحلام ومن وحي الخيال والوهم ، كما أنّ أكثرها يكون غامضاً ويحتاج إلى تفسير وتعبيـر . نعم بعض هذه الرؤيا يكون صادقاً ويمكن الإطـلاع منها على الحقيقـة . لكن يجب أن نعلم أنّه وحتى في الرؤيا الصادقة ، لرأينـا الميت في حال فرح أو سعادة ، فلا يعني هذا أن جميع أوقاتـه كذلـك ، فقد يكـون وفي ذلك الوقت الذي حصلت فيه الـرؤيا وهـو يتمتع بثـواب ساعـات الطاعـة وأعمال الخير التي عملها في حياته ، وقد يكون في ساعات أخرىٰ أسيـر ذنوبه وأعماله الشريرة ، وبالعكس لو رأينا الميت في أشدّ حالات التعاسة

والكآبة فلا يعني هذا أنّ جميع أوقاته كذلك، فقد يكون في حال رؤيته وهو يلاقي جزاء أعماله المنكرة وذنوبه ، وقد ينتقل بعدها إلى التمتع بثواب ساعات طاعته ﴿ **فَمنْ يَعْمل مِثقال ذرّة خيراً يرهُ وَمَنْ يعمل مِثقال ذرّة شراً يَرَهُ** ﴾ . والغرض من تذكّر هذه المطالب ، هو أننا لو رأينا الميت في المنام في حالة سيئة فلا يدخلنا اليأس ، ويمكن بوسيلة الدعاء والصدقة ونيابة الأعمال الصالحة أنْ تنقل الميت إلى ساحة النجاة ، ولو رأينا الميت في حال فرح وسعادة فلا يعني هذا أن جميع أوقاته كذلك ، فعلينا نحن الأحياء أن نتدارك أنفسنا قبل فوات الأوان ، وأن نهتم بالفروض والواجبات وقضاء ما فاتنا منها ، والإبتعاد عن الذنوب ما أمكننا ، والإقبال على الأعمال الصالحة وعلى الخصوص الإنفاق الواجب والمستحب ، وتدارك سفر الآخرة (اللّهُم أرزقني التّجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل حُلولِ الفوتِ) .

الموت يقطع الروابط .

مطلب مهم آخر يجب أن نعرفه وهو أحد المصاعب في عالم البرزخ ، ألا وهو حرقة الفراق عن كل هؤلاء الذين كانت تربطني بهم علاقة في الدنيا . وتوضيح هذا المطلب أنّه إذا تعلق الإنسان بشيء وكانت تربطه به علاقة شديدة ، فإنّ فصله عن هذا الشيء ، هو أمرٌ لا يطاق بالنسبة له ، مثلاً ، لو كان عند أحدهم امرأة جميلة ، وهو متعلق بها تعلقاً شديداً ، فلا يطيق فراقها أبداً ، ومثل هذه الحوادث قد تؤدي أحياناً إلى جنون بعض الناس . أحد المنسوبين إلينا من السادة العلويين (رحمة الله عليه) ، كان عنده ولداً وهو شاب ابن عشرين سنة ، ابتلي هذا الشاب بمرض الحصبة ووقع مريضاً وكان في حالة احتضار ، وعندما رأىٰ الأب حال ابنه وقد ساء جداً ، توضأ وتوجه إلى الله وقال : إلٓهي إذا كنت تريد أن تأخذ ابني ، فخذني إليك أولاً ، فاستجيب دعاء الأب ومات هو وعاش ابنه الشاب .

وأمّـا معنى الموت ، مـا هو المـوت ؟ الموت يعني فـراق الأحبة ، فراق المرأة والولد والثروة وكل ما يحبه الإنسـان ، وهذا الفـراق هو أحـد أنواع العذاب لعالم البرزخ ، ويوجد له نظير في الدنيـا ، ولكن منتهىٰ ما يفـارقه الإنسـان في الدنيـا ، هو أنْ يتـرك شيئاً اعتـاد عليه ، مثـل شرب السيكارة وقراءة الجريدة وتعاطي الكحول ، وليس لهذه الأشياء وجود في عالم البرزخ .

المقصـود أنّ الإنسـان وقبـل المـوت يجب عليـه أن يقـطع جميـع علائقه بكل الأشياء التي تعلق بها في الدنيا ، حتى لا يتحرق لفراقها في عالم البرزخ .

ذهب قـيس بن عـاصم برفقـة جمـاعـة من بني تميم إلى المـدينـة لأجل التشرف بزيارة الرسول الأكرم (ص) ، وبعد تشـرفهم بزيـارته صلى الله عليه وآله وسلم طلب قيس من النبي (ص) موعظة جـامعة (يجب أن نعرف أنّ قيساً كان من كبار العلماء وقبل الإسلام كان يعد من الحكماء) فقـال النبي (ص) : « بعد كـل عزةٍ ذلـة ، وبعد الحيـاة الموت ، ولكـل عمـلٍ أجـر » . ومعنى هـذا الكـلام لا تنـظر الآن إلى كـل عمـل تـريـد انجازه ، فبعد كل عمل حساب .

العمل وحده هو الذي يكون معك .

من الأشياء التي تنفع الإنسان في عالم البرزخ ، هو العمل الصالح الذي يكون قرين الإنسان بعد موتـه ، أمّا العمـل الغير صـالح فهـو قرين الإنسـان أيضاً ، ولكن لا ينفعـه . يقول أميـر المؤمنين (ع) : إنّ الإنسان عند موته يخاطب ماله الذي جمعه فيقول : أيها المال لقد تعبت من أجل جمعـك ، فماذا أنت فـاعل من أجلي الآن ؟ فيقـول المـال ، ليس لـك عنـدي إلاّ الكفن . ثم يســأل أولاده : مــاذا أنتم فــاعلين من أجلي ؟ فيقـولون : نحن رفقـاؤك إلى القبر ، نـدفنـك ثم نعـود . ثم يسـأل عمله فيقول : أنا معك أينما تذهب .

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

يعني اصبر أيها النبي (ص) على حكم ربك ، فأنت تحت نظرنا ورعايتنا . والمراد من هذا الخطاب الإلٓهي ، هو إعطاء مهلة للمشركين ، واستمرار النبي (ص) في دعوتهم للإسلام وتحمل أذىٰ هؤلاء من أجل هذه الدعوة . ولم يقل سبحانه : اصبر على عذاب وأذىٰ المشركين ، بل قال : اصبر لحكم ربك . حتى تكون النتيجة بأن يكون النبي (ص) قادراً على الصبر وتحمل كلا الأمرين . لأنّ الرسول الأكرم (ص) عبدٌ مطلق ومحبٌ صادق لله تعالى . فعندما يأمره معبوده بأنْ اصبر لحكمي . يعني إنّي أنا الله قد حكمت فعلاً بإعطاء المشركين مهلة ، ولا آخذهم الآن بذنوبهم ، وعليك أنْ لا تترك الدعوة للإسلام وأنّ أذىٰ هؤلاء لك هو بعيني . وكنتيجة لهذا الخطاب الإلٓهي ، فإن الصبر بالنسبة للنبي (ع) سيكون هيناً وخصوصاً مع جملة ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

والخلاصة يجب على النبي (ص) أنْ يبقىٰ في مكة ثلاثة عشر سنة ، ليرىٰ طغيان قريش ويذوق صدّهم وجفاءهم وذلك في سبيل الله ، حتى إذا وقعت معركة بدر فانتقم من هؤلاء ، لذا فإنّ الله لو لم يعطِ هؤلاء ، حتى يدركهم العذاب ويهلكوا ، فإنّ الدعوة الإلٓهية تكون بدون نتيجة عملية أصلاً ، ولذا فإنّ إعطاء المهلة والمدة للكفار ، لعل البعض منهم يؤمن بإعطائه هذه المهلة ، وقد كانت هذه سنة إلٓهية مع جميع الأنبياء والمرسلين ، بل أنّ جميع المذنبين والمجرمين يعطون هذه المهلة الإلٓهية .

جاء في الزواية أنّه في الوقت الذي كان موسىٰ علىٰ نبينا وعليه السلام يلعن فرعون بعد أن يأس منه ، بقي فرعون أربعين سنة حتى هلك . إنّ الله سبحانه يعطي المهلة ، ولكن القليل من يستفيد منها ويستغلها من أجل صلاح نفسه .

الصبر رأس الإيمان .

إنّ الصبر مهم جداً ، والإمام الصادق (ع) يقول : « الصبر من الإيمان كالرأس مِنَ الجسد » فلو فصل الرأس عن البدن ، يصبح البدن ميّتاً . الإمام المعصوم يقول : رأس الدين الصبر ، والصبر عبارة عن حبس النفس عن الهوىٰ والرغبات ، وأن يعمل الإنسان بمقتضىٰ الشرع والعقل . مثلاً : أحد شعب الصبر هو الصبر في المصائب ، فإذا فقد الإنسان شخصاً عزيزاً عليه ، يجب عليه أن يصبر .

ينقل أن أحد الأشخاص توفي ولده فجزع عليه جزعاً شديداً ، فكتب الإمام الرضا (ع) إليه رسالة يقول فيها : يا عديم الصبر لقد جزعت لموت ولدك ، ألا تفكر بأنّك مسافر غداً سفر الآخرة ، فإنّ جزعك وعدم تدارك سفر الآخرة قبل الفوت ، لهو مصيبة أكبر من موت ولدك .

عن سماعة بن مهران قال : قال لي أبو الحسن (ع) : ما حَبَسَك عن الحج ؟ قلت : جُعلتُ فداك وَقَعَ عليّ دَينٌ كثيرٌ وذَهبَ مالي ، ودَيْني الذي لزمني أعظم من ذهاب مالي فلولا أنّ رَجلاً مِنْ أصحابنا أخرجني لما استطعت أن أخرج فقال (ع) : إنْ تصبر تغتبط وإنْ لا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كُنْتَ أَمْ كارهاً ، عن أصول الكافي .

الصبر على ترك المحرمات .

من موارد الصبر الأخرى ، هو الصبر على ترك المحرمات . مثلاً ، شاب بكامل قوته الشهوية ، وليس عنده أي مانع يمنعه من النظر إلى امرأة أجنبية ، ولكنه لا يفعل ذلك ، أو يكون الإنسان فقيراً ، ولديه أمانات كثيرة للناس ، ولكنه لا يخون أمانته . والخلاصة أن يمسك الإنسان بزمام نفسه حتى لا يقع في المحرمات ، ويقال لمثل هذا : الصبر على ترك المحرمات .

يذكر في حالات أحد الكبار من أهل الإيمان ، أنّه كان يسير يوماً في أحد الأزقة ، فقام شخص من فوق أحد المنازل برميّ الرماد على رأس هذا المؤمن ، فقال الرجل المؤمن : الحمد لله ، فإنّي مذنب والحق أنْ يلقىٰ على رأسي الحجارة وأشكر الله أن كان الرماد وحده هو الذي نزل على رأسي . المقصود أنّ هذا الرجل المؤمن صبر على الأذىٰ وتحمله ، ولم يقل ما يغضب الله .

عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله (ع) يَقُول : إنّ الحَرّ حُرٌ على جميع أحواله وإنْ نالته نائبة صبر لها ، وإنْ تداكّت عليه المصائب ، وإنْ أُسِرَ وقُهِرَ واسْتُبدِلَ باليُسْرِ عسراً ، كما كان يوسف الصدّيق الأمين صَلَواتُ الله عليه ، لم يضرر حريته أنِ اسْتُعبد وقُهِرَ وأسِرَ ، ولم تضرره ظُلمة الجبّ ووحشته وما ناله أنْ مَنّ الله عليه ، فجَعل الجَبار العاتي له عبداً بعد أنْ كان له مَلِكاً ، فأرسلَهُ وَرَحِمَ بِهِ أمة وكذلك الصّبر يُعقِب خيراً ، فاصبِرُوا ووَطّنُوا أنفسكم على الصبر تؤجروا .

العلامة المجلسي رضوان الله عليه قال في شرح هذا الحديث : إنّ الجبار الذي ورد في الحديث هو مالك يوسف (ع) ، وكان يوسف له عبداً . نقل عن الثعلبي وغيره إنّ ملك مصر كان اسمه (زيان بن الوليد) وعزيز مصر الذي اشترىٰ يوسف (ع) اسمه (قطفير) وكان وزيراً للملك ، ولأنّ يوسف (ع) تمكن من تفسير رؤيا الملك بعد أن عجز عن تفسيرها غيره ، قام الملك بعزل قطفير عن الوزارة وعيّن يوسف (ع) مكانه وأعطاه حكومة مصر . ووضع يوسف (ع) التاج على رأسه وجلس على عرش السلطنة ، وأعطاه الملك خاتمه الخاص ، وقد توفي قطفير بعد ذلك ، ثم قام الملك بتزويج زليخا من يوسف (ع) وقد أنجبت زليخا من يوسف (ع) اثنين من الذكور هما إفرائيم وميشا . وفي السنة الأولىٰ من السنين السبعة التي ابتلي فيها أهل مصر بالقحط الشديد ، وحيث أنّ يوسف (ع) كان قد خزّن القمح والشعير ، لذا جاء أهل مصر إلى

يوسف (ع) وأخذوا يشترون طعامهم منه طيلة هذه السنة حتى نفد ما عندهم من الأموال . وفي السنة الثانية أخذوا يشترون طعامهم بالجواهر والحلي حتى نفد ما عندهم منها . وفي السنة الثالثة أخذوا يشترون الطعام بما يملكون من الأغنام والدواب حتى نفدت جميعاً . وفي السنة الرابعة أخذوا يشترون الطعام بما يملكون من الغلمان والعبيد حتى لم يبق أحد منهم . وفي السنة الخامسة اشتروا طعامهم بما يملكون من الأرض والبيوت حتى لم يبق لهم شيء أبداً . وفي السنة السادسة باعوا أولادهم كغلمان من أجل الطعام . وفي السنة السابعة باعوا أنفسهم ليوسف (ع) حتى لم يبق أحد في مصر إلّا وهو غلام ليوسف (ع) ، ولكنه (ع) أعطاهم حريتهم وأطلقهم ، وأرجع لهم أموالهم وما يملكون من العقارات والثروات التي سبق وأنْ أخذها منهم في سنيِّ القحط . والحكمة الإلّهية التي جعل الله فيها يوسف (ع) مالكاً لجميع المصريين وأموالهم وثرواتهم ، كانت في مقابل ما آل إليه يوسف (ع) أن أصبح غلاماً ومملوكاً لملك مصر مدة من الزمان ، وهذه هي ثمرة الصبر والعبودية والطاعة لله سبحانه وتعالى . وهذا الذي جعل الإمام (ع) يقول : إنّ الله وبسبب صبر يوسف (ع) جعله وسيلة ورحمة لإنقاذ أمة من الهلاك (يشير إلى تصرف يوسف (ع) في تخزينه للقمح والشعير قبل سنيِّ القحط) كما أنّه جعله رسولاً ليدعو هؤلاء إلى الإيمان ، لينقذهم بذلك من الهلاك الأبدي بعد أن نجح بحسن تصرفه من إنقاذهم من بلاء القحط .

وفي الرواية إنّ زليخا بعد أنْ وصلت إلى يوسف (ع) قالت : الْحمدُ لله الّذي جَعَلَ العَبِيد ملوكاً بِطاعَتِهِ ، وَجَعَلَ المُلوكَ عبيداً بمعصيته .

وأيضاً فإنّ الرواية تقول : إنّ زليخا ببركة زواجها ومصاحبتها ليوسف (ع) ، أصبحت من أهل المعرفة والعبادة ومن أفضل نساء أهل زمانها .

والخلاصة إنّ الصبر من الفضائل التي لا تحصىٰ أثارها وبركاتها وأجرها . والله سبحانه في هذه الآية يخاطب نبيه (ص) بأنْ أصبر على الشدائد والعذاب وأذىٰ المشركين .

صبر النبي (ص) كان معجزة .

بموجب الأمر الإلٓهي للنبي (ص) بالصبر ، فإنّ الرسول الأكرم (ص) صبر على عناد المشركين وتحمل آذاهم . وفي الواقع إنّ صبر النبي (ص) كان معجزة ، فقد مارس المشركون أنواع الأذىٰ معه صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانوا يلقون بالرماد على رأسه الشريف ، وكان أراذل مكة يأتون بالأطفال لكي يسخروا من النبي (ص) ، وعندما توفي أبو طالب وخديجة زوج النبي (ص) ، فإنّ أبا لهب عم النبي (ص) والذي كان من أسوأ أعدائه ، قام وبمساعدة المشركين بأقسىٰ أنواع الأذىٰ مما حدا بالرسول الكريم (ص) أن يقلل الخروج من المنزل . وإجمالاً لقد بلغ العذاب والأذىٰ إلى درجة جعلت أبا لهب مع كل عناده وكفره يقول : إنّ محمداً (ص) منّا ، وثارت ثائرته من أجل النبي (ص) .

أم عقيل ، مثال للنساء الصابرات .

أم عقيل امرأة تسكن البادية ، قدم عليها في أحد الأيام عدداً من الضيوف ، وكان عقيل ولدها في ذلك الوقت مع الرعاة يرعون الإبل في البادية ، وبعد مدة رجع الرعاة مع الإبل ، وأخبروا هذه المرأة بأنّ ولدها عقيل وحين جاءت الإبل مسرعة إلى الماء لتشرب سقط في البئر ومات ، فأمرت المرأة الرعاة بأنْ لا يخبروا الضيوف بالخبر ، وبسرعة عمدت إلى خروف وأمرت بذبحه وانهمكت في إعداد الطعام للضيوف . بعد ذلك اطّلع الضيوف على الخبر وما حصل لإبن هذه المرأة المضيفة ، فتعجبوا من صبر هذه المرأة وجلادتها . وبعد أن تناولوا طعام الغداء ، قاموا بتعزية هذه المرأة على مصابها بولدها ، فقالت أم عقيل : لم أحب أنْ

أزعجكم بهذا الخبر لئلا أكدر عليكم صفوكم وتقل رغبتكم إلى الطعام ، فهل أجد بينكم من يقرأ القرآن ؟ فقال أحدهم : إنّي أستطيع القراءة . ثم قرأ بهذه المناسبة هذه الآية : ﴿ **وبشّر الصّابِرين الّذِينَ إذا أصابتهُمْ مصيبةٌ ـ إلى قوله تعالى ـ وأولئك هُمُ المُهتَدُونَ** ﴾ . ثم توضأت المرأة وصلّت عدداً من الركعات ، وبعدها قالت : إلٓهي إنّك أمرت بالصبر ، وإنّي صبرت طاعة لأمرك ، ووعدت بالعطاء للصابرين ، فامنحني عطاءك يا رب العالمين ، ثم قالت : فلو كان أحدٌ يبقىٰ لأحدٍ ، لبقِيَ محمد (ص) لأمتِهِ .

ولنرجع الآن إلى الآية الكريمة فقد وردت كلمة أعْيُن : جمع عين ، ولكن الله سبحانه منزه عن الجسم والجسمانيات ، فهو تعالى غني عن الآلات ليرىٰ بها ويسمع . إنّما جاء المعنىٰ هنا مجازياً ، فقد اعتادت العرب في كلامها أنّها إذا أرادت أن تودع مسافراً من الناس تدعو له وتقول : عين الله عليك ، يعني أنت في حفظ الله ، فيصبح معنى الآية الكريمة وهي خطاب إلٓهي موجه إلى النبي (ص) : إنّك بعين رعايتي وعنايتي يا محمد . وهنا تأتي نكتة لطيفة وهو أنّ الخطاب الإلٓهي الموجه إلى نبي الله موسىٰ (ع) جاء بصيغة المفرد : (وَلِتصْنَعَ على عيني) . أمّا الخطاب الموجه إلى النبي (ص) فقد جاء بصيغة الجمع : ﴿ **بأعْيُنِنَا** ﴾ . وفي هذا الاختلاف عدة وجوه من التفسير منها مثلاً ، إنّ موسىٰ (ع) كان عدوه فرعون ، وكان يسعىٰ دائماً لقتله والتخلص منه ، ولكن الله تعالى حفظه من شرّه حتى هلك فرعون ، وبعد فرعون لم يكن هناك أي أحد يريد قتل موسىٰ (ع) والتخلص منه كما كان يسعىٰ فرعون . أمّا النبي محمد (ص) فمنذ أنْ جاء إلى هذه الدنيا وإلى اليوم الذي رحل عنها ، فإنّ كل الذين تعرضوا له كانوا فراعنة ، وكلهم كان يسعىٰ لقتله والخلاص منه . فجميع المشركين واليهود والنصارىٰ والمنافقين الذين كانوا يمثلون العدو الداخلي المتربص للنبي (ص) والمؤمنين ، وكان خطر هؤلاء المنافقون قبل خطر المشركين في صدد

قتـل النبي (ص) والتخلص منه ، وقـد حفظ الله نبيـه من شـر جميـع هؤلاء .

ومن أجل التعرف على مدى المحافظة والعناية الإلّهية بالنبي (ص) راجع المجلد السادس من كتاب بحار الأنوار ، والمجلد الثاني من كتاب حياة القلوب للمرحوم العلامـة المجلسي ، وفي الواقـع إنّ كل مـورد من موارد حفظ النبي (ص) يعتبر معجزة قاهرة لأهل البصائر .

في كتـاب حيـاة القلوب ذكـر إنّ عـدد الغـزوات التي حضـرهـا النبي (ص) كـانت ستة وعشـرين غزوة ، وفي كـل واحدة منهـا مخـاطـر للنبي (ص) لـولا الحفظ الإلّهي لما بقي على قيـد الحياة . ومن جملتهـا أنّه في أحد الغزوات بينما كـان النبي (ص) في ساحـة المعركـة ، تحرك جماعة من الأعراب إلى موضـع يقال لـه ذي الأمر أو « ذي الـرمة » ، ثم صعـدوا إلى رأس جبل وتمـركزوا هنـاك ، ثم أنّ النبي (ص) انفصل عن الجيش وابتعد عنهم لقضاء حـاجته ، فشـاهدهُ هؤلاء النفر من الأعراب. وفي أثنـاء ذلك نـزل المطر بشـدة حتى ابتلت ثياب النبي (ص) بـالماء ، فقصـد شجرة قـريبة ونشـر ثيابـه عليها ثم نـام تحتها صلى الله عليـه وآله وسلم ، فـرصـده هؤلاء النفـر وتقـدم نحـوه كبيـرهـم ويـدعىٰ دعشـور بن الحـارث حامـلاً سيفه ووقف على رأس النبي (ص) وقـال : من يمنعـك عني يـا محمـد ؟! فقـال النبي (ص) : الله يمنعني . فضـرب جبـرئيـل بجناحه صدر هذا الكافر فسقط السيف من يده ، فقام النبي (ص) وأخـذ السيف ووقف على رأسه وقال : من ينجيك اليوم مني ؟! فقال الرجـل : لا أحد . ثم أسلم على يد النبي (ص) ونطق الشهادتين ودعىٰ قـومه إلى الإسـلام وقال لهم : لقـد رأيتُ رجلاً أبيضـاً طويـل القامـة ضربني على صدري فسقطت وسقط السيف من يدي ، وعرفت أنّه كان مَلَكاً .

وأيضاً رواية أخرى تذكر بأنّ أبا جهل والـوليد بن المغيـرة وجماعـة من بني مخـزوم اتفقـوا على قتـل رسـول الله (ص) عنـدمـا يـأتي إلى

المسجد ، وعندما جاء النبي (ص) ووقف يصلي ، أرسلوا الوليد بن المغيرة لقتله ، وعندما وصل إلى المكان الذي يصلي فيه النبي (ص) أخذ يسمع صوته فقط ولكنه لا يرىٰ شخصه . وعندما رجع إلى أصحابه وقصّ عليهم ما حصل ، لم يصدقوه واتفقوا على أن يأتوا بأجمعهم إلى المكان الذي فيه النبي (ص) ، فأخذ الجميع يسمع صوت النبي (ص) ولكنهم لا يرونه ، وكأنّ الصوت يأتي من خلفهم ، وعندما ينظرون إلى الخلف ، يعود الصوت وكأنّه يأتي من أمامهم حتى أصبحوا يدورون حول أنفسهم كالمجانين ، إلى أن يأسوا وتركوا المسجد .

كذلك زوجة أبي لهب عندما جاءت لإِذاء النبي (ص) ، غاب عنها ولم تراه ، وفي هذه الآية الشريفة إشارة إلى ذلك : **﴿ وإذا قرأتَ القرآن جعلنا بينك وبَين الّذين لا يُؤمِنُونَ بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾** .

كيد المشركين كان من أجل القضاء على النبي (ص) .

في أحد المرات حمل أبو جهل حجراً كبيراً وأراد أن يلقيه على رسول الله (ص) وكان يصلي ، فالتصق الحجر بيده ولم يستطع الخلاص منه حتى سألوا النبي (ص) ذلك . وعندها دعا النبي (ص) بدعوات فسقط الحجر من يده فوراً . فقال أبو جهل : ما أعجب هذا السحر ! ومرة أخرى حمل أبو جهل حجراً وأراد أن يلقيه على رأس النبي (ص) لقتله ، فتكسر الحجر وسقط على رقبته ولم يكتف أبو جهل بهذه المحاولات وحمل مرة أخرى حجراً ووقف ينتظر النبي (ص) وعندما وصل إليه أصابته رعدة في أوصاله وسقط الحجر من يده ، ورجع على أعقابه لا يقدر علىٰ شيء ، وعندما سأله أصحابه ماذا حدث لك ؟ قال : عندما اقتربت من محمد (ص) ، رأيت رجالاً غلاظاً شداداً يحيطون به ولو تحركت خطوة أخرىٰ لكان فيها هلاكي . وفي بعض الأحيان كانوا يستعينون بالكهان والسحرة من أجل القضاء على النبي (ص) فكان جبرئيل (ع) يخبر النبي (ص) بمكائدهم ، فيقوم أمير المؤمنين علي (ع)

بإبطال طلاسم الكهان والسحرة . وأحياناً أخرى استعانوا بالسم كوسيلة لقتل النبي (ص) . وفي معركة أُحد اجتمعت سيوف أغلب المشركين وقاموا بحملة واحدة على النبي (ص) ، فجرح صلى الله عليه وآله وسلم وأصابه حجر في وجهه الكريم وحفظه الله من كيد هؤلاء .

﴿ وَسَبِّح بحمد ربِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ .

يعني سَبِّحْ لخالقك الذي خلقك ، لأنّ الوقوف له والتحميد والتسبيح والتهليل والثناء والشكر لله على نعمه ، هي من وظائف العبد المؤمن . وهذا العبد يكون بعين الله وتحت رعايته ومراقبته وتدبيره . فمعنى سبحان الله ، أنّه تعالى منزّه وخالٍ من كل عيب أو نقص في ذاته أو في صفته أو في فعله . أمّا في ذاته ، فإنّ ذاته المقدسة أزلية وأبدية ، وأنّ وجوده عين ذاته ، ووجوده كائن في جميع موجوداته ، ليس مركباً من الأشياء ، وليس هو بجسم حتى يشاهد ، لا شريك له ، ولا يحتاج إلى المحل والمكان ، ولا هو بمحتاج إلى أحد الموجودات . بل أنّ الموجودات كلها محتاجة إليه . وأمّا في صفته ، فإنّ تمام الصفات الكمالية تعود إليه سبحانه ، وإنّ قدرته وعلمه لا حد ولا حجم ولا نهاية لها ، وهذه المعرفة والقدرة التي لا حدود لها ، هي عين ذاته ولا تزول ولا تفنىٰ ، أي لا زائد ولا عارض على ذاته سبحانه ، ولم يعطه أحد بل هو الذي أعطىٰ المعرفة والقدرة لجميع الكائنات (لا حول ولا قوة إلّا بالله) .

وأمّا في فعله ، فإنّ جميع مخلوقاته مقرونة بالحكمة والهدف والقصد من الخلق ، فلم يخلق الله عبثاً ، وإنّ ذاته المقدسة وصفاته لا حدّ لها ، فهو تعالى منزّه وأجلّ وأعلى من خطرات الأوهام وفكر المخلوقين ، وأنّ تسبيح وتنزيه الحق جلّ وعلا لا يقدر عليه ولا يدركه أعلم الناس ، ومن هنا يجب القول : (سُبحانَ الله كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وَلِعزِّ جلاله) .

وأمّا التحميد فهو أنْ نعلم بأنّ جميع الخيرات والنعم هي من الله سبحانه وإنّه وحده الذي يستحق المدح والثناء ؛ وحتى الخيرات التي تصلنا بوسيلة أحد مخلوقاته ، فهي منه تعالى ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نعمةٍ فمنَ الله** ﴾ ، ولأن الكمالات والخيرات والنعم كلها منه سبحانه ، فإنّ الحمد والمدح والثناء على الله لا تبلغه الخلائق وهو فوق قدرة الخلق أجمعين ، ولذا قال رسول الله (ص) : « ربّ لا أحصي ثنائي عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ، لذا يجب علينا نحن الفقراء إلى الله أن نقول : (الحمد لله كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وَلِعزِّ جلاله) .

ويجب أنْ نعلم أنّ تسبيح وتحميد الله سبحانه ، في جميع الأوقات مطلوب ومستحب ، ولكنه واجب في مورد واحد ، ومستحب في موارد أخرى . أمّا مورد وجوبه ففي ركوع وسجود كل صلاة ، ولذلك فإنّ جملة ﴿ **حِينَ تقوم** ﴾ ، التي وردت في الآية المباركة تشير إلى هذا المعنىٰ ، يعني حين تقوم للصلاة ، أمّا الموارد المستحبة المؤكدة فمن الممكن أن تكون الآية الشريفة قد أشارت إليها أيضاً .

وهناك مواضع لها خصوصية زائدة علينا أن نقتدي فيها بالنبي (ص) ، ومن هذه المواضع هو وقت الاستيقاظ من النوم لأجل صلاة الليل ، وكان رسول الله (ص) إذا أراد النوم يقول عشرة مرات (الله أكبر) ، وعشرة مرات (سبحان الله) ، وعشرة مرات (الحمد لله) ، وعشرة مرات (استغفر الله) ،لأنّ وقت نوم الإنسان هو مثل الموت بالنسبة له ، وأنّه ينتقل إلى الحياة مرة أخرىٰ عند استيقاظه من النوم ، وكثيراً ما مات أشخاص وهم نائمين ، وقد ذكر القرآن المجيد هذه الحالة : ﴿ **فَيُمسِكِ التي قضىٰ عَلَيْها الموتُ ويُرسِلُ الأُخرىٰ إلىٰ أجَلٍ مُسّمىً** ﴾ . ومن هنا كان النبي (ص) عندما يستيقظ من النوم يسجد لله من فوره ويدعو بهذا الدعاء « الحَمْدُ لله الذي أحياني بعدمٰا أماتني وإليهِ النشور ، الحَمدُ لله آلّذي ردّ عليّ رُوحي لِأحْمدُهُ وأعبُدُهُ » . وقد ذكر

الشيخ البهائي في مفتاح الفلاح أنّ قراءة هذا الـدعاء عنـد الإستيقاظ من النوم مستحب مع سجـدة أو بدونهـا . من المواقـع الأخرى التي يستحب فيها التسبيح والتحميد ومن المحتملٰ أنّ الآية الشريفة قد أشارت إليها هو ما قبل الشـروع بالصـلاة ، والأدعية التي تقـرأ قبل الصـلاة والتي تشتمل على تسبيح كثيرة جداً ، ومن جملتها هـذا الدعـاء : (اللّهُمّ أنتَ المَلِكُ الحقُّ لا إلّه إلاّ أنتَ سُبْحانِـكَ ظَلَمْتُ نفسي فاغفِـرْ لي ذنبي إنّه لا يَغفِـرُ الذنب إلاّ أنتَ) .

ومن الـوجوه الأخـرىٰ لعبارة ﴿ **حين تقـوم** ﴾ التي وردت في الآيـة الشريفة ، هو حينما تريد القيام من مجلسك فاذكر الله وسبّحْـهُ واحمده ، حتى لا يكون مجلسك مجلس غفلة ، بل مجلس يذكر فيه اسم الله .

حديث بين فضيل وضيفه .

ورد عن أحوال فضيل بن أيـاز أنّه : جـاء أحد المؤمنين لـزيارتـه ، وجلس مع فضيل ساعة من الزمن ، وقد انشغـل هذا المؤمن خـلال هذه الساعة بسـرد الحكايـات والروايـات والقصص ، وعندمـا أراد الإنصراف قـال : الحَمدُ لله لقـد كان مجلس سـرور . فقال فضيـل : لا ، لـم يكن مجلس سرور أبداً . إنّك خلال هذه الساعة كلفت نفسك وأنت تتحـدث وتروي لي الحكايـات ، لتدخـل السرور إلى نفسي ، وإنّي كلفت نفسي بـالحديث معـك والإستماع إليـك ، لأدخل السـرور إلى نفسـك ، فهـل فكرنا بأنّ الله الذي هو ناظر لنا وحاضر معنا ، هل هـو مسرور من عملنـا هذا ؟ لذلك كان فضيل يستوحش جداً كلما جاء أحد لزيارته .

قال الإمام الصادق (ع) : « ما مِنْ مَجلسٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ أبـرارٌ وفجّارٌ فَيقُـومُـونَ وَلَمْ يـذكـروا الله ولم يصلّوا على نَبِيِّهِمْ (ص) إلاّ كـانَ ذلـك المجلس حَسْرةً ووبالاً عليهم يَومَ القيامـة » . وروي عن رسول الله (ص) أنّه قال : « كل إنسان إذا طال به المجلس (مجلس لا غيبة فيه ولا تهمـة فيـه ولا كلام مـوجب لهتك حـرمة هـذا أو ذاك) ، فعنـدمـا ينفضّ هـذا

المجلس عليه أن يقول : « سُبحانَكَ اللّهُمّ وبحمدِكَ أشهَدُ أنْ لا إلَه إلاّ أنت ، استغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ » ، وهذا التسبيح هو كفارة هذا المجلس . وفي رواية أخرى عندما يريد الإنسان القيام من مجلسه عليه أن يذكر هذا التسبيح : (سُبحانِكَ اللّهُمّ وبحمدِكَ لا إلَه إلاّ أنت استغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ) ، فإذا كان مجلس خير ، فسيزداد ثوابه لهذا التسبيح ، وإذا كان مجلس شر ، فسيكون هذا التسبيح كفارة له . وفي رواية أخرىٰ إنّ قراءة ثلاث آيات من آخر السورة المباركة « الصافات » لتكون كفارة لذلك المجلس .

ألا بذكر الله تعمر الآخرة .

ورد في كتاب عدة الداعي رواية عن رسول الله (ص) ، إنّه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجل في بستان نخيل له ، فقال (ص) للرجل : أعلمك شيئاً إنْ عملته كان لك أشجار أصولها أثبت من أصول هذه الأشجار ، وثمارها أزكى من ثمار هذه الأشجار تنضج بسرعة ، وهي دائمة أكثر من دوام الأشجار العادية ؟ فقال الرجل : نعم يا رسول الله (ص) . فقال النبي (ص) : تقول في كل صباح ومساء (الحَمدُ لله ولا إلَه إلاّ الله والله أكبر) ، تنبت لك عشرة أشجار في الجنة تحمل أنواع الثمار . وعندما سمع الرجل كلام رسول الله (ص) ، قال : إنّي أتصدق ببستاني هذا على فقراء المسلمين .

وأيضاً ورد في كتاب عدة الداعي إنّ الله تعالى أعطىٰ لسليمان (ع) ملك الأنس والجن ، فقام الجن بعمل سجادة من الحرير لسليمان (ع) طولها فرسخان وعرضها فرسخان ، وكان حول منبر سليمان (ع) ستمائة ألف كرسي يجلس عليها الأنبياء والعلماء ، وخلفهم جماعة من البشر ، وخلف هؤلاء جماعة من أهل الجن وفوق هؤلاء الطيور تضلل بأجنحتها على رؤوسهم ، وكان لسليمان (ع) بساط يحمله في الهواء ، فكانت

المسافة التي تقطع بشهر من الزمان يطويها عليه السلام في يوم واحد ، وقد جعل الله الهواء طوع سليمان (ع) .

ذات يوم رأىٰ أحد الدهاقين سليمان (ع) على بساطه في الهواء ، فقال : لقد أعطىٰ الله لابن داود (ع) ملكاً عظيماً . فحمل الهواء كلام هذا الدهقان إلى أسماع سليمان (ع) ، فنزل من فوره ووقف قرب الدهقان وقال : جئت إليك لتطلب مني ما لم تستطع أنت عليه وأنت تريده وتتمناه ، وأيضاً ، لأريك أنّ كل هذه الأشياء لا قدرة لها بدون قدرة القادر سبحانه ثم قال (ع) : إنّ تسبيحاً واحداً يقبله الله ، هو خير مما أُعطي لإبن داود (ع) من الملك ، وذلك لأن ثواب التسبيح باقي ، وهذا الملك فاني وإلى انتهاء .

نعم إنه هو سليمان نفسه، الذي كان جالساً(ع)يوماً على سطح قصره ومتكأ على عصاه وينظر إلى ملكه العظيم،وفجأة جاء ملك الموت ولم يعط لسليمان (ع) أية مهلة ، فأخذ روحه وهو جالس على كرسيه وكما كان متكىء على عصاه ، وبقي على هذا الحال مدة من الزمن وكان الأنس والجن يتصورون بأنّه لا يزال حياً ، ولم يكن لأحد الجرأة الكافية للإقتراب منه ، حتى جاءت (حشرة العث) وأكلت عصاه ، فسقط سليمان (ع) جسداً لا روح فيه ، فكان هذا هو نهاية ملك سليمان بن داود (عليهما السلام) . فيجب على كل عاقل أن يحصر فكره بالعيش الأبدي الباقي والخالد ، والطريق الوحيد للوصول إليه وهو الإيمان والعمل الصالح .

وفي كتاب عدة الداعي أيضاً نقل رواية عن النبي (ص) أنّه قال : هل أدلّكم على خمس كلمات ، سهلة على اللسان ثقيلة في الميزان ، تُسِرّ الرحمان وتبعد الشيطان وهي من كنوز الجنة ؟ فقالوا نعم يا رسول الله (ص) . فقال النبي (ص) : قولوا (سُبْحانَ الله والحَمدُ لله ولا إلَه إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم) .

وفي رواية أخرىٰ عن النبي (ص) أنّه قال : في الليلة التي عُرِجَ بيَ إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها سهل من المسك ورأيت فيها ملائكة يبنون قصوراً من الذهب والفضة ، كما رأيتهم يبنون مرة ويتوقفون مرة أخرىٰ فسألت هؤلاء الملائكة ،لماذا تبنون مرة وتتوقفون أخرىٰ ؟ فأجابوا : نحن بانتظار النفقة . فقلت : وما هي نفقتكم ؟ فقالوا : قول المؤمن (سبحان الله والحَمدُ لله ولا إلّه إلّا الله والله أكبر) ، فهذه الكلمات أصلها في الأرض وفرعها في السماء ، وقد نزلت هذه الكلمات من السماء السابعة وهي من الباقيات الصالحات .

ويأتي هنا مطلب مهم وهو أن ثواب هذه الكلمات عظيم جداً ، بشرط أن تأتي مطابقة لأمر الله ورسوله (ص) ولا يفسدها الإنسان بارتكاب الذنوب فيبطل عمله .

وأيضاً في كتاب عدة الداعي عن رسول الله (ص) قال : كل من قال (سُبحان الله) غرست له شجرة في الجنة ، وكل من قال : (الحَمدُ لله) غرست له شجرة في الجنة ، وكل من قال : (لا إلّه إلّا الله) غرست له شجرة في الجنة ، وكل من قال : (الله أكبر) غرست له شجرة في الجنة . فقال رجل من قريش : حتماً ستكون لنا أشجاراً كثيرة في الجنة . فقال النبي (ص) : نعم ، ولكن بشرط أن لا تفسد عملك بإرتكاب الذنوب فتأتي النار على هذه الأشجار وتحرقها جميعاً ، فيبطل بذلك عملك . وقد قال تعالى : ﴿ **يا أيُها الّذِينَ آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ ولا تُبطِلُوا أعمَالكُمْ** ﴾ .

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإدْبَارَ النُّجُومِ ﴾

في هذه الآية يبرز موردان من موارد ذكر الله سبحانه ، وهي من الموارد المهمة والتي جاءت من موقع الأمر . المورد الأول : ﴿ **ومن الليل** ﴾ أي في قسم من الليل . ويروى عن الإمام الباقر والإمام

الصادق عليهما السلام أنّ المراد من العبارة ﴿ **ومن الليل** ﴾ التي وردت في الآية الشريفة ، هو وقت السحر أي ثلث آخر الليل ، والمراد بالتسبيح في هذا الوقت ، هو صلاة الليل ، وهي عبارة عن إحدىٰ عشرة ركعة (ثمانية ركعات) بنية صلاة الليل ، وركعتي الشفع وركعة الوتر . والمورد الثاني : ﴿ **وإدبار النجوم** ﴾ أي ركعتي نافلة الصبح وركعتي فريضة الصبح ، وبعض المفسرين قال : إنّ في هذه الآية إشارة على دوام ذكر الله ، يعني من الوقت الذي يقصد الإنسان فراشه للنوم ، وفي قسم من الليل ، وحتى الصباح يكون في حال ذكر الله سبحانه . ومن المحتمل أن الآية الشريفة : ﴿ **الّذِينَ يَذكُرُونَ الله قياماً وقعوداً وعلى جُنُوبِهِمْ** ﴾ فيها إشارة إلى هذا المعنىٰ ولكن ظاهر الآية الشريفة ﴿ **ومن الليل . . .** ﴾ فيه إشارة إلى خصوصية ذكر الله في مواقع مذكورة ، وخصوصاً وقت السحر ، حيث ورد في آيات أخرىٰ إشارة إلى ذلك ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ . إنّ الأذكار في السحر وصلاة الليل كانت في ابتداء البعثة النبوية واجبة على المسلمين لأهميتها ، ولكن فيما بعد ومن أجل التسهيل على المسليمن صارت من الموارد المستحبة ، ولكنها بقيت واجبة على رسول الله (ص) فقط ، وهذا ما أشارت إليه (سورة المزمِّل) . وحتى لا يقع المسلمون في العسر والحرج والمشقة ، أصبحت صلاة الليل من الأمور المستحبة المؤكدة ، وفي نفس الوقت استمر الحث عليها من قِبَلِ النبي (ص) والأئمة عليهم السلام وتبيان فضلها وثوابها ولكي لا يُحرم المسلمين من السعادة والثواب العظيم لصلاة الليل . ومن هنا جاء في الروايات أنّ من علامات شيعة أمير المؤمنين علي (ع) هي صلاة الليل والأذكار في السحر .

علامات الشيعة على لسان علي (ع) .

الإمام أمير المؤمنين (ع) في كلامه لأحنف بن قيس يستعرض علامات الشيعة إلى أن يقول (ع) : « ومن علاماتهم أنّك تجدهم في

الليل صافّون أقدامهم ركعاً سجداً ، تالين للقرآن ، تعلو أصواتهم تضرعاً وخوفاً من الله . . . الخ » . وضمن بيانه لصفات الشيعة لهمام يقول (ع) : « أمّا الليل فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً . . . الخ »[1] .

علامات أخرى للشيعة على لسان علي (ع) .

في هذا المقام اكتفي بهذا الحديث : في أحد الليالي المقمرة فرغ الإمام علي (ع) من صلاة الجماعة وخرج من المسجد ، وكان مجموعة من الأصحاب يسيرون خلفه عليه السلام ، فالتفت إليهم وقال : مَنْ تكونون ؟ فقالوا نحن شيعتك يا أمير المؤمنين (ع) . فقال (ع) : إنّي لا أرىٰ علامات الشيعة عليكم . فقالوا : وما هي علامات الشيعة ؟ فقال (ع) : إنّ شيعتي (صَفرِ الوجوه من السَّهَرِ ، عُمْشِ العُيُونِ مِنَ البكاءِ ، حدب الظّهُورِ مِنَ القيام ، خُمصِ البطونِ مِنَ الصّيَامِ ، ذُبْلِ الشّفَاهِ مِنَ الدُّعاءِ ، عليهم غبرةُ الخاشعين) .

الآثار الدنيوية لصلاة الليل .

في رسالة الإمام الحسن العسكري (ع) إلى ابن بابويه القمي رحمة الله عليه ، يذكر فيها ثلاث مرات : « عليك بصلاة الليل » .

ومن الأمثلة للفوائد الدنيوية لصلاة الليل : أولاً ، إنّها نافعة جداً لحفظ الصحة وسلامة البدن ، وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع) أن الإنسان كلما ازداد نومه وعلى الخصوص في وقت السحر ، يثقل جسمه ويتنابه الكسل ومن الفوائد الأخرىٰ لصلاة الليل أنّها تقوّي البصر وتوسع في الرزق وهي موجبة لزيادة المحبة .

روي أنّه جاءت امرأة إلى الإمام الصادق (ع) وقالت : يا ابن

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ .

رسـول الله (ص) أنّ زوجي لا يحبني فماذا أفعـل ؟ فقال عليـه السلام : « عليـك بصلاة الليـل » . فغابت تلك المـرأة فتـرة من الـزمن ثم عـادت وتشكـرت من الإمـام (ع) وقـالت : منـذ ذلـك الحين وزوجي لا يحب شخصاً بقدر حبه لي . فقال الإمام (ع) : لقد رحمك الله ، فامرأة تصلي صـلاة الليل ثم تـوقظ زوجهـا للصـلاة ، لهي جـديـرة بـأن يـرحمهـا الله سبحانه .

الآثار الأخروية لصلاة الليل .

إنّ الله تعـالى يتباهىٰ بـالعبـد الـذي يصلي صـلاة الله ، وأنّ هـذه الصلاة تكون لمن يصلّيها نوراً في القبر ، وفي الصراط ، وفي الميزان . وأنّ الله يدخل السرور على قلب من يصلّيها غداً في يوم القيامة ، ويصل إلى مقـام لا يبلغه أحـد بغير هـذا العمـل (أي صـلاة الليـل . وقـد بلغ رسـول الله (ص) بوسيلة صـلاة الليل المقـام المحمـود : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْـلِ فتهجّدْ بِهِ نَافِلَةً لكَ عَسىٰ أنْ يَبْعَثكَ ربّكَ مَقاماً مَحْمُوداً** ﴾ .

مقامات المقدس الأردبيلي بفضل بركات صلاة الليل .

المقدس الأردبيلي (أعلى الله مقامه) الذي إلتقىٰ بـالإمام الحجـة عـدة مرات وتكلم مـع الإمام أميـر المؤمنين (ع) في قبره . نقـل عنه أنّـه قال : إنّ السبب الذي أوصلني إلى هـذه الدرجـات ، هو أنّي في ابتـداء حياتي الدراسية لتحصيل العلوم الـدينية كنت أسكن مـع أحد الـطلبة في غرفة واحدة وقد تعاهدنا أنا وزميلي بأنْ مهما اعترضنا أو أصـابنا شيء في حياتنا فلا نخبر به أحد مهما كانت منزلته ، ثم مرت علينا فتـرة من الزمن لم نكن فيها نملك أي شيء ، وقد أصبـح زميلي من شدة الفقـر والجوع ضعيفاً جداً ، ولأنّنا تعاهدنا مع أنفسنا فلذلك لم نخبر أحداً بحالنا ، وفي أحد الأيام زار المدرسة أحد الأشخاص ، وفي غيـابي سأل صـديقي عن علة ما نحن فيه من الضعف ! في البـداية لم يخبـره صاحبي بـالحقيقة ،

ولكن الرجل أقسم عليه إلّا أن يخبره ، عندها أخبره صديقي بأنّ شدة الفقر والجوع هي التي جعلتني ورفيقي بهذا الشكل من الضعف . فقام الشخص من فوره وجاء بالطعام وكيس نقود لي ولصديقي . وعندما جئت إلى المدرسة وعلمت بما جرىٰ بين صاحبي وذلك الرجل ، اعترضت على صديقي وقلت له : لماذا أخبرت ذلك الرجل ، ألم نتعاهد فيما بيننا ؟ والخلاصة تناولنا الطعام أنا وصديقي وتقاسمنا النقود فيما بيننا .

وعندما نام المقدس الأردبيلي استيقظ في منتصف الليل وقد وجد نفسه محتلماً وعليه أن يغتسل ، فذهب إلى الحمام العمومي (وهي عادة أهل ذَلك الزمان حيث لم تتوفر جميع وسائل الراحة) فوجد صاحب الحمام قد أغلق عليه الباب من الداخل ، وعندما طلب منه فتح الباب رفض صاحب الحمام فتحها له ، أصر الأردبيلي (عليه الرحمة) على صاحب الحمام بفتح الباب لكنه لم يستجب له ، فقال له : أعطيك ضعف ما تأخذ من أجرة ، ولكن صاحب الحمام ما زال على موقفه من عدم فتح الباب ، فقال له : أعطيك ثلاثة أضعاف من الأجرة . والخلاصة وصل المقدس الأردبيلي إلى درجة كان فيها مستعداً لأن يدفع كل ما معه من المبلغ الذي تقاسمه مع صديقه إلى صاحب الحمام من أجل أن يفتح له الباب ، وأخيراً وافق صاحب الحمام وفتح الباب فدخل الأردبيلي (رحمة الله عليه) واغتسل وكان في عجلة من أمره حتى لا تفوته صلاة الليل. ومن تلك الليلة تلطف الله عليه بنفحات قدسية وخصه بألطاف إلٓهية ، كان من نتيجتها أن برزت لهذا العالم الكبير الكرامات وذاع صيته في البلاد .

تم بحمد الله الانتهاء من تفسير سورة الطور .

المحتويـــات